الماويّة : نظريّة و ممارسة

عدد 29 / جانفى 2018

شادي الشماوي

دفاعا عن الشيوعية الثوريّة و تطويرها

ضد مايكل هاردت ، أنطونيو نغرى، ألان باديو، سلافوج تزتزاك و برنار دى مالو

المقدّمة :

في العالم الراهن و في أيّامنا هذه ، أكثر من أيّ زمن مضى ، ينبغي على الماركسيّين الحقيقيين و الماركسيّات الحقيقيّات أن لا يكونوا إشتراكيين و إشتراكيّات و إنّما شيوعيين و شيوعيّات فهدف الماركسيّة و غايتها الأسمى ليست إلاّ الشيوعيّة على النطاق العالمي . هدف الشيوعيين و الشيوعيات الحقيقيين و ليس المزيّفين ، متبنّي الشيوعية كعلم الساعين جهدهم لإستخدام هذا العلم لبلوغ الهدف الأسمى : تحقيق المجتمع الشيوعي العالمي الخالى من الطبقات و تحرير الإنسانيّة قاطبة من جميع أصناف الإستغلال و الإضطهاد القومي و الطبقي و الجندري على كوكب الأرض برمّته ؛ و ليس الإشتراكية مفهومة كغاية أسمى بالنسبة لأنواع من الإشتراكيين الديمقراطيين و محرّفى الشيوعيّة فيما هي لا تعدو أن تكون في الواقع رأسماليّة بمساحيق مزوّقة ببعض الإجراءات الإجتماعيّة .

الإشتراكيّة من وجهة النظر الماركسيّة مغايرة لذلك الفهم الإشتراكي الديمقراطي أو التحريفي ؛ إنّما ، وهي وليدة الثورة الإشتراكيّة ، هي مكوّنة من أضلع ثلاث متكاملة كالمثلّث أو الهرم و قاعدتها أنّها أوّلا و قبل كلّ شيء مرحلة إنتقاليّة بين الرأسماليّة و الشيوعيّة كما حدّدها ماركس و شدّد على إبراز ذلك التحديد لينين في **" الدولة و الثورة "** . و الإشتراكية ثانيا نمط إنتاج له ميزاته و يسعى إلى خدمة مصالح البروليتاريا و أوسع الجماهير الشعبيّة و تجاوز بقايا الرأسماليّة و إرساء أسس المجتمع الشيوعي في البنية الفوقيّة و البنية التحتيّة للمرور إلى تكريس من " كلّ حسب عمله " المميّز للمرحلة الإشتراكية إلى " كلّ حسب حاجياته " كشعار معبّر عن فحوى المجتمع الشيوعي و يسعى طبعا إلى مدّ يد المساعدة للثورة البروليتاريّة العالمية. و الإشتراكية فضلا عن ذلك دولة دكتاتوريّة البروليتاريا أي دولة تحت قيادة البروليتاريا و حزبها الشيوعي الثوري بالتحالف مع الطبقات و الفئات الشعبيّة وهي تمارس الديمقراطية البروليتاريّة أي الديمقراطية فى صفوف الشعب و الدكتاتوريّة ضد أعداء الشعب و الثورة الشيوعية .

ماركسيّا ، الإشتراكيّة إذن مجتمع طبقي إنتقالي بين الرأسماليّة و الشيوعيّة و الشيوعيون و الشيوعيّات الحقيقيّين ليس هدفهم الأسمى الإشتراكية كمجتمع طبقي و إنّما هو تجاوز حتّى هذه الإشتراكية وليدة الثورة الإشتراكية الضرورية و المرغوب فيها ، نحو الشيوعية على الصعيد العالمي . على طول المرحلة الإشراكية الإنتقاليّة ، تظلّ هناك طبقات و يظلّ هناك صراع طبقي يتّخذ شكل صراع بين الطريق الرأسمالي من جهة (و له قاعدته الماديّة و الفكريّة في المجتمع الإشتراكي ليس هنا مجال الخوض فيها ، و من يرنو لدراسة المسألة فعليه / عليها بكتاب بوب أفاكيان**" المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ "** ، لا سيما الفصل المتعلّق بنظريّة و ممارسة مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا ، وهو متوفّر بالعربيّة بمكتبة موقع الحوار المتمدّن ، ترجمة شادي الشماوي) و الطريق الإشتراكي الساعى إلى تخطّى بقايا الرأسماليّة و ما يفرزه المجتمع الإنتقالي في قاعدته الماديّة و الفكرية و محاصرة " الحق البرجوازي " في التوزيع إلى أبعد حدّ ممكن في كلّ مرّة ، و إلى بناء نمط إنتاج بملكيّة و علاقات إنتاج و علاقات توزيع تعالج تدريجيّا لكن بلا هوادة أهمّ التناقضات المولّدة للطبقات و المجتمع الطبقي و نقصد تلك بين العمّال و الفلاّحين و بين الأرياف و المدن و بين العمل الفكري و العمل اليدوي و بين النساء و الرجال .

و بالتالى ، تحتمل الإشتراكية بما هي مرحلة إنتقاليّة مديدة كما تبيّن ذلك التجربة التاريخيّة للثورة البروليتاريّة العالميّة و المجتمعات الإشتراكية لا سيما في الإتّحاد السوفياتي بين 1917 و 1956 و في الصين بين 1949 و 1976 و كما لخّص ذلك ماو تسى تونغ ، إمكانيّتين : التقدّم نحو الشيوعيّة و نقيضها إعادة تركيز الرأسماليّة . لهذا و لما تقدّم أعلاه ولأنّ الإشتراكية دولة طبقيّة و مرحلة إنتقاليّة في حين أنّ الشيوعيّة الهدف الأسمى مجتمع تكون فيه الطبقات و الدول قد إضمحلّت و يطبّق فيه " كلّ حسب حاجياته " تماما و على نطاق عالمي ، ينبغي على الشيوعيين و الشيوعيات الحقيقيين أن لا يكونوا إشتراكيين و إشتراكيات و إنّما ينبغي عليهم أن يكونوا شيوعيين و شيوعيات .

منذ تأسيس علم الشيوعيّة ، في **" بيان الحزب الشيوعي "** ، نقد مؤسّسو هذا العلم نقدا لاذعا ضروبا مختلفة من " الإشتراكيّة الرجعيّة " ؛ من " الإشتراكيّة الإقطاعيّة " إلى " الإشتراكيّة المحافظة أو البرجوازيّة " مرورا ب " الإشتراكيّة البرجوازيّة الصغيرة ". و أعلنا بلا مراء و لا لفّ و دوران : **" إنّ الثورة الشيوعيّة تقطع من الأساس كلّ رابطة مع علاقات الملكيّة التقليديّة ، فلا عجب إذن إن هي قطعت بحزم أيضا ، أثناء تطوّرها ، كلّ رابطة مع الأفكار و الآراء التقليديّة ."** و لاحقا ، طوّر ماركس ما أضحى الماويّون منذ عقود عدّة يطلقون عليه " الكلّ الأربعة " كتجسيد واضح و جلي لما تعنيه الثورة الشيوعية :

" هذه الإشتراكية إعلان للثورة المستمرّة ، الدكتاتورية الطبقية للبروليتاريا كنقطة ضروريّة للقضاء على كلّ الإختلافات الطبقيّة ، و للقضاء على كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها و للقضاء على كلّ العلاقات الإجتماعيّة التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و للقضاء على كلّ الأفكار الناجمة عن علاقات الإنتاج هذه ".

(كارل ماركس : " **صراع الطبقات فى فرنسا من 1848 إلى 1850**" ، ذكر فى الأعمال المختارة لماركس و إنجلز ، المجلّد 2 ، الصفحة 282).

و من اليسير على من لا ينظر من ثقب إبرة ، من اليسير على العين الفاحصة الناقدة و التي تتحلّى بالصرامة العلمية في البحث لتشعل شمعا للحقيقة و تفضح ما تظلّله شجرة الكذب أن ترصد أنّه على الصعيد العربي ، عقب خسارة الصين الماويّة كقلعة للثورة البروليتارية العالمية منذ أواسط سبعينات القرن الماضي و خضوعا لضغط الهجوم الإمبريالي - الرجعي على الشيوعية خاصة منذ أواخر ثمانينات القرن العشرين و تذبذب البرجوازية الصغيرة و تراجع تألّق و توهّج النضالات الثوريّة بقيادة شيوعية و تنامى القوى الفاشيّة ذات المرجعيّة الأصوليّة الدينيّة ، بات الكثير من الشيوعيين سابقا أو الشيوعيين قولا فحسب يحدّدون هويّتهم و غايتهم الأسمى على أنّها الإشتراكية و يحدّدون مرجعيّتهم على أنّها الإشتراكية العلمية أو البلشفيّة . و نظرا لكون مجال هذه المقدّمة لا يسمح بالتوغّل في نقاش تفاصيل و مراجع كلاسيكيّة و غير كلاسيكيّة ، نحيل القرّاء على جدالات شيّقة لناظم الماوي بهذا الصدد على صفحات الحوار المتمدّن و بمكتبته ، لا سيما منها تلك التي وردت في كتابه " **نقد ماركسية سلامة كيلة إنطلاقا من شيوعية اليوم، الخلاصة الجديدة للشيوعية** " و تحديدا في النقطة السادسة من الفصل الأوّل و عنوانها " خطّان متعارضان في فهم الإشتراكيّة " .

و في نفس السياق ، ينبغي على الشيوعيّين الحقيقيّين و الشيوعيّات الحقيقيّات ألاّ يكونوا ديمقراطيين برجوازيين فيصيروا من خدم الرجعيّة ، إصلاحيين يساعفون في تأبيد الوضع السائد فالديمقراطية البرجوازية في أفضل تجلّياتها في البلدان الإمبريالية أفضت تاريخيّا إلى الفظائع التي إرتكبتها القوى الإمبريالية في بلدانها و عالميّا و لا نظنّ أنّنا في حاجة إلى أمثلة و قرائن لإثبات ذلك فهي متوفّرة للعيان يوميّا ، لا بل كلّ ساعة من كلّ يوم عبر العالم قاطبة . هكذا كانت و لا تزال الديمقراطية البرجوازية في البلدان الإمبريالية فما بالك بها في المستعمرات و المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات حيث تتّخذ شكل ما يسمّيه البعض ديمقراطية الإستعمار الجديد . و يكفى الإلتفات يمنة و يسرة للتأكّد من تبعاتها على الجماهير الشعبيّة ، هذا طبعا إن لم نكن كالأعمى بعيون أمريكيّة أو عيون برجوازيّة كمبرادوريّة أو حتّى عيون برجوازيّة صغيرة. و عليه من أوكد واجباتنا الشيوعيّة أن نضع حدّا للهراء الخيالي عن " الديمقراطيّة الخالصة " و الشكلانيّة البرجوازيّة.

و لا ينبغي على الشيوعيّين و الشيوعيات الحقيقيين أن يكونوا ديمقراطيين و لا حتّى ديمقراطيين بروليتاريين فالديمقراطية طبقيّة دائما وهي شكل للدولة الطبقيّة التي يرمى المشروع الشيوعي إلى تجاوزها ببلوغ المجتمع الشيوعي الخالى من الطبقات حيث تضمحلّ الدولة كجهاز قمع طبقة أو طبقات لطبقة أو طبقات أخرى و قد أجلى لينين المسألة في مؤلّفه الذى تعرّض لتحريفات و تشويهات جمّة ، " **الدولة و الثورة** " . و مسألة الدولة مركزيّة في الصراع بين الماركسية الحقيقيّة و الماركسيّة الزائفة (و غيرها من التيّارات الرجعيّة) أو التحريفيّة . الديمقراطيّة شأنها شأن الإشتراكية شكل إنتقالي للحكم الطبقي حتّى و إن كانت شعبية أو بروليتاريّة و هي بالتأكيد ليست الغاية الأسمى للشيوعيين و الشيوعيّات و لا يجب أن تحلّ محلّ غايتهم الأسمى ، المجتمع الشيوعي على الصعيد العالمي .

و لزاما على الشيوعيين و الشيوعيات الحقيقيين أن يتركوا الضفّة الإصلاحيّة و ثلّة المثقّفين المنبهرين و المفتونين ب " الديمقراطيّة الخالصة " و الذين ما إنفكّوا يكيلون المدائح المرسلة لها مضلّلين الجماهير الشعبيّة ، و يعبروا إلى الضفّة الأخرى ، ضفّة الشيوعيّة الثوريّة كي يورق و يزهر الشجر و يرسخ علم الشيوعية كسلاح يقود تمكين الشعوب و على رأسها البروليتاريا و حزبها الشيوعي الثوري من صنع التاريخ و كسر الحجر، حجر الإستغلال و الإضطهاد الجاثم على صدر الغالبيّة الغالبة للإنسانيّة و خانق أنفاسها . لا ينبغي أن يغيب الهدف الأسمى الشيوعي عن أنظار الشيوعيات و الشيوعيين و لا لحظة واحدة ، ينبغي أن يكون حاضرا في برنامجهم الأقصى و إستراتيجيّتهم و سياساتهم و أشكال نضالهم و تنظيمهم كما يجب أن تخدم التكتيكات المتوخّات في نهاية المطاف هذا الهدف الأسمى ؛ لا يجب أن يبتلع التكتيك الإستراتيجيا نهائيّا . هدفنا الأسمى الشيوعي هو البوصلة التي إن أضعناها أضعنا الطريق المؤدّية إلى تحرير الإنسانيّة و تدحرجنا عن وعي أو لا وعي إلى الإنخراط في مشاريع إصلاحيّة من هذا الطراز أو ذاك.

و في مقال سابق لنا نشر كمقدّمة لكتابنا الثاني أو للعدد الثاني من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " المعنون ب" **عالم آخر، أفضل ضروري و ممكن ، عالم شيوعي ... فلنناضل من أجله !!!** "(مكتبة الحوار المتمدّن) ، شرحنا بإقتضاب إعتمادا على أمثلة ملموسة ثمّ لخّصنا كيف أنّ :

" المشاريع القومية و السلفية لم تحدث و لا تحدث قطيعة جذرية مع النظام الإمبريالي العالمي بل هي بدائله (الأصوليون السلفيون) أو هي قوى تتحوّل تحت الضغط الإمبريالي و تصاعد النضال الشعبي من قوى وطنية إلى قوى برجوازية كمبرادورية تصبح جزءا لا يتجزأ من دولة الإستعمار الجديد فى أشباه المستعمرات . و مرّة أخرى تسطع حقيقة شدّد

عليها ماو تسى تونغ منذ 1939 هي أن " الثورة البرجوازية القديمة قد دخلت حقيبة التاريخ . " فقد قال في " **حول الديمقراطيّة الجديدة** " :

" **هنالك نوعين من الثورة العالمية : النوع الأوّل ينتسب إلى الثورة العالمية من النمط البرجوازي أو الرأسمالي . و لقد إنقضى عهده منذ زمن طويل ، إذ إنتهى حين إندلعت الحرب الإمبريالية العالمية الأولى عام 1914 ، و على وجه الدقّة منذ ثورة أكتوبر الروسية 1917 و حينذاك بدأ النوع الثاني ، ألا وهو الثورة العالمية الإشتراكية البروليتارية** " .

و بناء على ما تقدّم ، في طيّاته يحمل هذا الكتاب الجديد بمناسبة الذكرى 160(1848- 2018) لصدور " **بيان الحزب الشيوعي** " عنوانا معبّرا هو " دفاعا عن الشيوعيّة ..." و ليس دفاعا عن الإشتراكيّة سواء كرأسماليّة مقنّعة أم كمرحلة إنتقاليّة بين الرأسماليّة و الشيوعيّة (أو كإشتراكيّة علميّة في تناقض مع الإشتراكية الطوباويّة) . و فضلا عن ذلك ، إنطلاقا من العنوان ، لا يتعلّق الأمر بالشيوعيّة كقناع يتقنّع به محرّفو علم الشيوعيّة ، التحريفيّون بشتّى مشاربهم ، في الوقت الذى يفرغونها من مضامينها و أساليبها الثوريّة ليحشوها حشوا بالفعل بأرهاط من الإصلاحيّة و الديمقراطية البرجوازية الإمبريالية أو الإستعماريّة و الشوفينيّة القوميّة.

الماركسيّة أو الشيوعيّة كعلم ثوريّة كما يتبيّن ذلك منذ " **بيان الحزب الشيوعي** " ذاته فهي مرّة أخرى " **تقطع من الأساس كلّ رابطة مع علاقات الملكيّة التقليديّة ، فلا عجب إذن إن هي قطعت بحزم أيضا ، أثناء تطوّرها ، كلّ رابطة مع الأفكار و الآراء التقليديّة** ."

و من هنا يفهم لماذا لم نكتف في العنوان بالدفاع فحسب عن الشيوعيّة التي تعرّضت لإفتراءات و تشويهات جمّة على يد الإمبرياليين و الرجعيين و التحريفيين عبر العالم قاطبة ، بل أضفنا إليها نعت الثوريّة . قبل سنوات و عند إلقاء نظرة على بعض صفحات شبكة التواصل الاجتماعي ، إستوقفتنا جملة خطّها على صورة حسابه الفيسبوكي ناشط على الفايسبوك آنذاك لا ننسى فضله في المساهمة في التعريف بمقالاتنا و كتبنا ، ألا وهي جملة " الماركسيّة ثوريّة أو لا تكون " ما يفيد قنصه لحقيقة عميقة غاية العمق ففعلا هي كذلك ؛ الشيوعيّة ثوريّة أو لا تكون ، ثوريّة أو تتحوّل إلى مسخ من الإيديولوجيا المشوّهة التي تنضاف إلى ترسانة الرجعيّة العالميّة في تأبيد النظام الرأسمالي الإمبريالي العالمي و تأبيد إضطهاد و إستغلال الطبقات الشعبيّة المشكّلة لغالبيّة الإنسانيّة و سحقها .

و لأنّ التحريفيّة نقيض للشيوعية الثوريّة وهي كإنحراف يميني بمعنى ما ملازمة للشيوعيّة كعلم ، يترتّب على الشيوعيين و الشيوعيات الحقيقيين مقاتلتها بلا هوادة و إلاّ سقطوا في أحابيلها و أمسوا عن وعي أو عن غير وعي من أعداء الشيوعيّة الثوريّة و خدما للإمبريالية و الرجعيّة بشكل من الأشكال . و يساوى عدم تولّى النهوض بواجب الدفاع عن الشيوعيّة الثوريّة و نقد التحريفيّة الإلتحاق آجلا أم عاجلا و أردنا ذلك أم أبينا ، بأعداء القيام بالثورة الشيوعيّة و تحرير الإنسانيّة و الهدف الأسمى الشيوعية على الصعيد العالمي .

و لم يقف العنوان عند الدفاع عن الشيوعيّة الثوريّة فحسب بل تعدّاه إلى الدفاع عن تطويرها . و هنا نسلّط الضوء على نقيض آخر ملازم أيضا للشيوعيّة كعلم ألا وهو الدغمائيّة أو الجمود العقائدي بما هي إنحراف يساري قد يتحوّل و قد تحوّل في أحيان كثيرة إلى تحريفية أو دغمائيّة تحريفيّة . فهي تنظر إلى الشيوعيّة على أنّها قالب جامد بينما علم الشيوعية ككلّ علم يتطوّر بنقد ذاته و بتطوّر ممارسته و تطبيقه و بالتفاعل مع المستجدّات في شتّى الحقول و بالإكتشافات في مختلف مجالات الإنسانيّة الأخرى . و لطالما صارع الماركسيّون – اللينينيّون – الماويّون في العقود الأخيرة الدغمائيّين من مدعى الشيوعيّة الذين جعلوا من ستالين أيقونة لا تقبل النقد و من تجربة البلاشفة نموذجا لا يطاله إعمال الفكر النقدي و بجرّة قلم ألغوا التجربة الإشتراكية في الصين الماويّة إلخ و كان على رأس هؤلاء الخوجيون بمختلف ألوانهم . و يحنّط الدغمائيّون التحريفيّون الخوجيّون تجربة البروليتاريا العالميّة في الإتّحاد السوفياتي فلا يجرون التقييم الضروري بالتحليل و التلخيص العلميين لإبراز المكاسب و الدفاع عنها دفاعا مبدئيّا و صلبا و مصمّما و كشف الأخطاء و نقدها و فهم منابعها و إنعكاساتها و طرح تجاوزها لإنجاز ما هو أفضل مستقبلا . و بهكذا سلوك يقف هؤلاء الدغمائيّين ضد لينين و ستالين ذاتهما و المنهج الجدلي و تطبيق التقييم العلمي كما يقفون صراحة ضد ما نادى به ماركس عندما صرّح بأنّ الثورات الإشتراكيّة " **تنتقد ذاتها على الدوام ، و تقاطع نفسها بصورة متواصلة أثناء سيرها ، و تعود ثانية إلى ما بدا أنّها أنجزته لتبدأ فيه من جديد ، و تسخر من نواقص محاولاتها الأولى و نقاط ضعفها و تفاهاتها بإستقصاء لا رحمة فيه ، و يبدو أنّها تطرح عدوّها أرضا لا لشيء إلاّ ليتمكّن من أن يستمدّ قوّة جديدة من الأرض و ينهض ثانية أمامها وهو أشدّ عتوّا ، و تنكص المرّة تلو المرّة أمام ما تتصف به أهدافها من ضخامة غير واضحة المعالم ، و ذلك إلى أن ينشأ وضع جديد يجعل أي رجوع إلى الوراء مستحيلا و تصرخ الحياة نفسها قائلة بصرامة : هنا الوردة ، فلترقص هنا !** "

(كارل ماركس ، " **الثامن عشر من بروميرلويس بونابرت** ")

و غالبا ما يرفع الدغمائيّون (و التحريفيّون) الأخطاء المقترفة لنقص في فهم و تطبيق المنهج المادي الجدلي أو في التجربة أو لظروف تاريخيّة ، إلى مبادئ مناهضة لأهمّ المكاسب التاريخيّة و القطيعة مع الأخطاء و الإضافات والتطويرات الحاسمة للشيوعيّة الثوريّة التي ليس بوسعها كعلم و ككلّ علم إلاّ أن تتطوّر و إلاّ سيتهدّدها الموت و ستعاجلها المنيّة . و في الواقع الموضوعي للصراع الطبقي ، شاهدنا تحوّل الكثير من هؤلا الدغمائيّين إيديولوجيّا من الإنحراف اليساري إلى الإنحراف اليميني أي إلى التحريفيّة و سياسيّا إلى الإصلاحيّة متبنّين بدلا من الشيوعيّة الثوريّة و عمليّا مكرّسين أشخاصا و منظّمات و أحزاب الديمقراطيّة البرجوازيّة و منافحين بشكل أو آخر عن الإمبرياليّة و الرجعيّة و تأبيد الوضع السائد الساحق للطبقات الشعبيّة و مثل هؤلاء مبثوثون في الأقطار العربيّة و عبر العالم بأسره و يمثّلون الخطّ السائد صلب الحركة الشيوعيّة العالميّة .

و لسوء الحظّ ، نخر مرض الدغمائيّة المناهضة لتطوير علم الثورة البروليتارية العالميّة ، الماركسية – اللينينية – الماويّة ، صفوف حتّى الماويين عالميّا إذ إنبرى منذ سنوات الآن قسم منهم ليوقف تطوّر هذا العلم عند التجربة الماويّة في الصين و يناهض إضافات الشيوعيين الثوريين عبر العالم منذ أواسط السبعينات ، عقب وفاة ماو و حدوث الإنقلاب التحريفي و إستيلاء البرجوازيّة الجديدة على مقاليد الحكم هناك بصعود التحريفيّة إلى السلطة و مضيّها في إعادة تركيز الرأسماليّة هناك . و الأدهى أنّهم لم ينجزوا التقييم العلمي المطلوب ، من منظور شيوعي ثوري ، لتلك التجربة و طفقوا يعلون راية حتّى ما تبيّن بحكم تطوّر الأحداث و الواقع أو بالتحليل العلمي و المبدئي أنّها أخطاء و رفعوها هم أيضا إلى مصاف المبادئ فألحقوا ضررا ما بعده ضرر بالشيوعية الثوريّة ذاتها .

و قد أفرز إنقسام الماويّة على إثنين بروز أشخاص و منظّمات و أحزاب تكتّلت حول الخلاصة الجديدة للشيوعيّة التي صارت معروفة كذلك بالشيوعيّة الجديدة و بوب أفاكيان رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكيّة مهندسها . و بإعتبار نشرنا سابقا لعديد الوثائق المتّصلة بهذه الشيوعية الجديدة و بالصراعات حولها ، نكتفى هنا بالدعوة بإلحاح للإنكباب على دراسة هذه الخلاصة الجديدة للشيوعيّة و الصراع حولها دراسة جدّية فنحن ندرك و نلمس فعلا حقيقة موضوعيّة هي أنّ الشيوعية في مفترق طرق و أنّ الرهان ليس أقلّ من مستقبل الشيوعيّة الثوريّة عالميّا .

و ما نخطّه هنا ليس البتّة مجرد كلام على كلام و قول يحاذى القول و إنّما هو قبل كلّ شيء سواه صدى لحقائق كشف النقاب عنها و أمسك بها كما يمسك بالجمر معلّمو البروليتاريا العالمية منذ عقود و من واجب الشيوعيين و الشيوعيّات إدراكها و إستيعابها و النضال إنطلاقا منها و على أساسها في سبيل تغيير العالم تغييرا شيوعيّا ثوريّا . و حسبنا هنا أن نذكّر بأنّ ماركس بعدُ في **" الثامن عشر من بروميير لويس بونابرت "** قد أعلن أنّه على الثورات القادمة - القرن التاسع عشر قال ، و نحن الآن في القرن الواحد و العشرين ! - أن ترفع النظر و لا تخفضه ، أن ترفعه و تستلهم ليس من الماضي الذى يجب أن تقضي على كلّ " إحترام خرافي " له و إنّما من " المستقبل فحسب ". و في عصرنا هذا ، عصر الإمبرياليّة و الثورة الإشتراكية ، مفاد ذلك ليس تخلّى الشيوعيين و الشيوعيّات عن تراث الحركة الشيوعية العالمية الذى يمثّل المستقبل الذى مني بالهزيمة المؤقّتة في صراعه المرير و حربه المديدة مع الماضى كما ألمح إلى ذلك ماركس في إستشهاد من الإستشهادات أعلاه ، و هذا التراث البروليتاري الثوري ينبغي أن يدرس و أن تستخلص منه الدروس و العبر لإنجاز ما أفضل في قادم الثورات الشيوعية ؛ مفاده هو كما قال ماو تسى تونغ في ما مرّ بنا أنّ الثورات البرجوازيّة القديمة فات أوانها (الديمقراطية الإشتراكية و الديمقراطيّة البرجوازيّة فات أوانهما فما بالك بالقوميّة و الأصوليّة !) و أنّ المستقبل تجسّده الثورة الديمقراطية الجديدة بقيادة البروليتاريا و حزبها الشيوعي الثوري في المستعمرات و المستعمرات الجدية و أشباه المستعمرات كتيّار من تيّاري الثورة البروليتاريّة العالمية و التيّار الآخر هو الثورات الإشتراكية في البلدان الرأسماليّة – الإمبرياليّة .

جاء على لسان ماركس منذ 1852 ، في مؤلّفه الآنف الذكر (الصفحة 155 من ، ماركس و إنجلس **" مختارات في أربعة أجزاء "**، الجزء الأوّل ، الطبعة العربيّة دار التقدّم ، موسكو) :

" إنّ ثورة القرن التاسع عشر الإجتماعيّة لا يسعها أن تستمدّ أشعارها من الماضي بل من المستقبل فحسب . إنّها لا تستطيع أن تبدأ بتنفيذ مهمّتها قبل أن تقضي على كلّ إحترام خرافي للماضي . لقد كانت الثورات السابقة في حاجة إلى إستعادة ذكريات ما مضى من حوادث تاريخ العالم لكي تخدع نفسها بشأن محتواها هي بالذات ، أمّا ثورة القرن التاسع عشر فيترتّب عليها لكي تستوضح لنفسها محتواها الخاص أن تدع الموتى يدفنون موتاهم ".

و كرّس إنجلز و لينين و ستالين هذا التوجّه الماركسي الشيوعي الثوري الذى أعطى أكله تقدّما لا بل منعرجا عاصفا في تاريخ الإنسانيّة بمكاسبه العظيمة وهي جانبه الرئيسي و بنقائصه و هناته و أخطائه وهي جانبه الثانوي . و صدح ماوتسى تونغ مواصلا السير على خطاهم المبدئيّة بحقيقة ساطعة حمل وزرها على أكتافه و سعى طاقته و رفاقه

و رفيقاته من جميع أصقاع العالم ، و ما فتأ يدعو و ما فتئوا يدعون ، إلى تكريسها عمليّا ألا وهي " **الماركسية لا بدّ أن تتقدّم ، و لا بدّ أن تتطوّر مع تطوّر التطبيق العملى و لا يمكنها أن تكفّ عن التقدّم . فإذا توقّفت عن التقدّم و ظلّت كما هي فى مكانها جامدة لا تتطوّر فقدت حياتها** " .

(ماو تسي تونغ ، " **خطاب فى المؤتمر الوطنى للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية** " 12 مارس/ أذار 1957 " **مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ** " ، ص21-22)

و ينطوى العنوان الفرعي لكتابنا هذا على تحديد دقيق لمن يتمّ الجدال ضدّهم و هم مفكّرون جلّهم أكاديميّون يزعم بعضهم صراحة مناهضة الرأسماليّة و حتّى أحيانا تبنّى الشيوعية و منهم من ناضل في ماضي الأيّام في صفوف الماويين (مثلا ، ألان باديو الفرنسيّ) فيما هم يعرضون على القرّاء منظومات أفكار ضارة في جوهرها معادية للشيوعيّة الثوريّة كما يكشف ذلك النقاش العميق و الحيوي لأمّهات أطروحاتهم .

و في مناسبات متفرّقة ، قد تولّى مسؤوليّة خوض هذا الحانب من المعركة الإيديولوجيّة الضروريّة و فضح لبّ هذه الأطروحات المشوّهة للشيوعيّة الثوريّة ، الأطروحات " الشيوعيّة دون ثورة " و الموضوعات الخافضة للنظر و التي لا تمثّل أصلا بديلا للرأسماليّة و لا تستهدف " إلغاء نظام العمل المأجور " و المشوّهة لجوهر الماويّة و المتنكّرة لتطوير علم الشيوعيّة إلخ ، تولّى هذه المسؤوليّة الجسيمة أساسا (بمعيّة نايبى دنيا في الكتاب المفرد لنقد أفكار ألان باديو) منظّران شيوعيّان معروفان في الأوساط الماوية العالميّة من أنصار الخلاصة الجديدة للشيوعية أو الشيوعيّة الجديدة و هما كلّ من ك. ج. أ. و ريموند لوتا . و الأوّل ، ك. ج. أ، حسب موقع مجلّة " **تمايزات** " ، مجلّة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة و رابطها على الأنترنت تعثرون عليه في ثنايا هذا الكتاب ، كاتب يساهم بمقالات عميقة و طويلة نسبيّا بمفرده أو بالتعاون مع غيره في أعداد المجلّة (ساهم في العدد الأوّل و الثاني و الرابع بمقالات قيّمة) و قد ترجمنا له و نشرنا مقال خطّه بمعيّة إشاك باران هو " **آجيث – صورة لبقايا الماضي** " ضمن كتابنا " **من ردود أنصر الخلاصة الجديدة للشيوعية على مقال " ضد الأفاكيانيّة " لآجيث** ".

أمّا ريموند لوتا فقد أنف لنا ترجمة أعمال له و نشرها و جاء فى التعريف المقتضب به في مقدّمة كتاب " **عن بوب أفاكيان و أهمّية الخلاصة الجديدة للشيوعية تحدّث قادة من الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة** " :

" أمّا ريموند لوتا فلا شكّ فى أنّ المطّلعين على ما أصدرنا من كتب قد عرفوه لا سيما و قد إنطوى الكتاب 23 على حواره الصحفي المعنون " **لا تعرفون ما تعتقدون أنّكم " تعرفون " ... الثورة الشيوعية و الطريق الحقيقي للتحرير : تاريخها و مستقبلنا** ". و ريموند لوتا عالم إقتصاد ألّف المقالات فى هذا المجال منذ سبعينات القرن العشرين و مثال ذلك مقال " **حول الرؤية المنشفيّة للأزمة : الرأسمالية تعمل فى النهاية** " المتوفّر على الرابط التالي :

http://bannedthought.net/USA/RCP/TheCommunist/TheCommunist-RCP-04-Summer-Fall1978.pdf

و ساهم بمقالات فى مجلّة الحركة الأممية الثوريّة " **عالم نربحه** " منها مثلا :

- " **عن ديناميكيّة الإمبريالية و عرقلة التطوّر الإجتماعي** "

http://bannedthought.net/International/RIM/AWTW/1985-2/index.htm

- " **التمرّد فى الصين : أزمة التحريفية ...أو لماذا كان ماو تسى تونغ على صواب** "

-http://bannedthought.net/International/RIM/AWTW/1989-14/AWTW-14-ChinaCrisis

وهو صاحب كتاب " **إنهيار أمريكا** " ألّفه بمعيّة فرانك شانون و كتاب " **و خامسهم ماو** " و له مقالات لا تحصى و لا تعدّ عن الإشتراكية والتخطيط و العولمة إلخ و من أهمّ نصوص محاضراته التى نشرنا نصّ محاضرة " **الإشتراكية أفضل من الرأسمالية و الشيوعية ستكون أفضل حتى !** " (" **الماوية : نظريّة و ممارسة** " عدد 2 - **عالم آخر، أفضل ضروري و ممكن ، عالم شيوعي ... فلنناضل من أجله !!!**) . و لأكثر من عقد من الزمن الآن ، صار مشرفا أيضا على مشروع " وضع الأمور فى نصابها " أي الدفاع عن الشيوعية فى وجه الهجمات الرجعيّة والإمبريالية و توضيح الحقائق و المكاسب التاريخية – وهي الرئيسيّة – فى تراث البروليتاريا العالمي و تجاربها الإشتراكية السابقة

و نقد بعض الأخطاء متّبعا فى ذلك كما يقول هو نفسه قيادة بوب أفاكيان و مطبّقا ما توصّلت إليه الخلاصة الجديدة للشيوعية . و موقع إنترنت " هذه هي الشيوعية " يشهد بذلك :

. " www.thisiscommunism.org

و متّبعين في عرض النصوص المستقاة من مجلّة " **عالم نربحه** " مجلّة الحركة الأممية الثوريّة كمنظّمة عالميّة وحّدت إلى 2006 أهمّ الأحزاب و المنظّمات الماويّة في العالم ، أو من مجلّة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكيّة " **تمايزات** " أو من جريدة هذا الحزب عينه " **العامل الثوري** " التي صارت منذ 2005 تحمل إسم " **الثورة** " ، ترتيبا تاريخيّا . و مهّدنا لجدالات هذا المصنّف الجديد الدسمة بفصل أوّل يعاد فيه التذكير بقصّة " **بيان الحزب الشيوعي"** و نقاطه المحوريّة التي لا تزال تشكّل منارات لمن يتطلّع لإدراك أوجه من جوهر المشروع الشيوعي الثوريّ . و قد شملت النقاشات التي تستدعى لا محالة القراءة و التفحّص بتؤدة و تمعّن و التأملّ مليّا و التحلّى بالفكر النقديّ قضايا إيديولوجيّة منها و سياسيّة عدّة في غاية الأهمّية تتعلّق بالتغيّرات التي طرأت على الواقع الموضوعي و بالتجربة التاريخيّة للحركة الشيوعيّة العالميّة و بماهيّة الماويّة و إنقسامها إلى إثنين و نحو ذلك مثلما يمكن للقرّاء تبيّن هذا حتّى من نظرة أولى على محتويات هذا المصنّف .

و **محتويات** هذا الكتاب 29 ، أو العدد 29 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " إضافة إلى هذه المقدّمة :

- ما الذى يدفع ماذا ؟

- إعادة إحياء نظريّة روزا لكسمبورغ

- سيادة وحيدة ؟

III- التحرّر الوطني و الدولة

- الإمبرياليّة و أنماط الإنتاج ما قبل الرأسماليّة

- التحرّر الوطني - لا يزال مهمّة من مهام البروليتاريا

- تواصل أهمّية الفلاّحين و المسألة الزراعيّة

IV – قانون القيمة و " العمل غير المادي "

- تحليل طبقي مضطرب

- أجر مضمون إجتماعيّا

V – الديمقراطية و الفوضويّة و الشيوعيّة

- الديمقراطية و الحكم الطبقي

- إضمحلال الدولة ... في ظلّ الرأسماليّة !

3- الفصل الثالث : ألان باديو و دكتاتورية البروليتاريا أو لماذا يساوى نبذ " إطار الدولة - الحزب " نبذا للثورة

I- لماذا تصلح الدولة الإشتراكية وكيف ستضمحلّ و لماذا ينتهي ألان باديو إلى جانب الدولة البرجوازية

1- ملاحظة سريعة عن الفلسفة

2- ألان باديو لاطبقية الدولة و الشكلانية

II- الحزب في المجتمع الإشتراكي : " غير ملائم " أم وسيلة للتحرير ؟

1- مرّة أخرى عن روسو و التمثيليّة

2- " الخضوع البيروقراطي اللاطبقي " أم مرّة أخرى ، هل الخطّ هو الحاسم ؟

3- القيادة الشيوعية المؤسساتيّة و تناقض القادة – المقادين و رأي الخلاصة الجديدة بهذا الصدد

4- الفصل الرابع : القدح في الشيوعية و التزلّف للإمبريالية - تزييف سلافوج تزتزاك للحقائق و جلبه العار لنفسه

I- تحدّيات حقيقيّة و بدائل حقيقيّة و مسؤوليّات حقيقيّة

II- يرفض الخوض في الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان بينما يهاجمها هجوما غير مسؤول

III – مناهضة مسعورة للشيوعيّة تلبس قناع التفكير الجديد

IV – موقف تزتزاك المعادي لمناهضة الإمبرياليّة

٧ - خاتمة : تصفية حساب و دعوة إلى نقاش جريئ و صريح

- ملحق : سلافوج تزتزاك أحمق متعجرف يتسبّب في ضرر كبير

5- الفصل الخامس : فهم الماويّة فهما علميّا و الدفاع عنها بصلابة و تطويرها ، بهدف بلوغ مرحلة جديدة من الشيوعية : أفكار جداليّة حول مقال برنار دى مالو " ما هى الماويّة ؟ "

مفهوم دى مالو للماويّة :

نهاية مرحلة و بداية مرحلة جديدة :

الديمقراطيّة الراديكاليّة أم الشيوعيّة العلميّة :

المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ :

الصراع من أجل الدفاع عن ماو تسى تونغ و إرساء أرضيّة مزيد التقدّم :

ماو (و ماركس) ك " ديمقراطيّين راديكاليّين " :

الخلط بين الشيوعيّة و الديمقراطيّة :

تجاهل دروس الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى :

الثورة الوطنيّة الديمقراطيّة :

ما معنى القيادة البروليتاريّة ؟

ماركسيّة العالم الثالث ؟

الخطّ الجماهيري :

" الممارسة معيار الحقيقة " :

ملاحظات نهائيّة :

-++-

الفصل الأوّل :

لا يزال " بيان الحزب الشيوعي " صحيحا و خطيرا و أمل الذين لا أمل لهم

-1- قصّة " بيان الحزب الشيوعي "

بمناسبة الذكرى 150 لصدوره

" **العامل الثوري** " (جريدة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية) عدد 936 ، 14 ديسمبر 1998

مجلّة " **عالم نربحه** " عدد 24 / 1998

http://bannedthought.net/International/RIM/AWTW/1998-24/onComManif24Eng.htm

أواسط فيفري 1848 ، صدر كرّاس شيوعي جديد عن مطبعة صغيرة بحصن أساقفة في لندن . كُتب باللغة الألمانية و كان يحمل عنوان *Manifest der Kommunistischen Partei* ؛ **بيان الحزب الشيوعي** . و بسرعة وُزّعت منه

نسخ على أراضي أوروبا . حينها كانت إنتفاضات و إضطرابات قد إندلعت في أغلب المراكز السكّانيّة الأساسيّة في القارة إيّاها . و كان عدد من الناشطين الممثّلين للبّ صلب من الثوريّين ينتظرون بفارغ الصبر بيانا قويّا يقود عملهم و يوحّد الجماهير الشعبيّة في حركة ثوريّة تماما .

و رفعت الجمل الإفتتاحية الجريئة تحدّيا :

" هناك شبح يجول في أوروبا - هو شبح الشيوعيّة. وقد إتّحدت كلّ قوى أوروبا العجوز في حلف مقدّس لملاحقته و التضييق عليه ... الشيوعيين قد آن لهم أن يعرضوا أمام العالم بأسره مفهوماتهم و أهدافهم و ميولهم ، و يدحضوا خرافة شبح الشيوعيّة ببيان من الحزب نفسه ."

و قد ترجم هذا العمل إلى عدّة لغات أوروبيّة و أمريكيّة . و في الترجمة الأنجليزيّة صار معروفا ب " **البيان الشيوعي** ". و في طبعة أنجليزيّة من أوائل الطبعات ، نشرت سنة 1850 ، لأوّل مرّة يجرى إعلان إسمي المؤلّفين غير المعروفين سابقا : كارل ماركس و فردريك إنجلز .

و في حين أنّ وثائق و بيانات أخرى كانت منسيّة أو غمرها الغبار في أرشيف المكتبات ، لا يزال هذا البيان اليوم ينبض حياة وهو يدرس بعمق في الغيتو و في مناطق الإرتكاز في الغابات و حتّى في فصول الدراسة ، عبر العالم قاطبة ـ و لا يزال يلهم و يدرّب جيلا بعد جيل من الثوريّين و الثوريّات الجدد .

بيان الحزب الشيوعي وثيقة تأسيسيّة للحركة الشيوعية المعاصرة ذات نظرة ثاقبة . إنّه البيان الإفتتاحي لهذه الإيديولوجيا العلمية المعروفة الآن كماركسية ـ لينينيّة ـ ماويّة . و إعلاءا للذكرى 150 لصدوره ، نقدّم هنا قصّة ولادة هذا البيان .

كانت الحركة الشيوعيّة أواسط أربعينات القرن التاسع عشر في حاجة إلى بيان توحيدي جديد ـ فإلى أبعد حدّ ، كان المجتمع يشهد تغيّرا سريعا و لم تعد العقائد الثوريّة القديمة المنقولة عن و المتأقلمة مع الثورة البرجوازيّة الفرنسيّة الكبرى لسنة 1789 ، بعد الآن تفي بالغرض .

بمعانى ما ، كانت تلك الأوقات صعبة بالنسبة للثوريين . و قد إنتهت الثورة الفرنسيّة الكبرى إلى الهزيمة . بداية وقعت خيانتها من الداخل ـ حيث تجاسر نبليون بونابرت على إعلان نفسه إمبراطورا . ثمّ سحقت فرنسا من الخارج ـ سنة 1815 ، منيت جيوشها بالهزيمة في مواجهة قوى الأنظمة الملكية الأوروبيّة المتّحدة . و لعقود ، كان " الحلف المقدّس " للأنظمة الملكيّة المنتصرة يبقى الناس تحت قبضة حديديّة . و أعاد تركيز الملوك و الأمراء و جرى قمع السياسات الثوريّة المناهضة للأنظمة الملكيّة و جرت مراقبة عن كثب للحدود و زُرع المخبرون و الوشاة في كلّ مكان .

لكن بينما كانت القوى الرجعيّة تبدو مظفّرة ، كانت تغييرات كثيفة في الإقتصاد تقوّض سلطتها و تخلق قوى غاضبة جديدة قويّة . و كانت التكنولوجيا و كان الإنتاج يثوّران . و تطوّر ما سمّي ب " نظام المصنع " في مناطق صناعيّة جديدة قليلة في أنجلترا و كانت مصانعه الهشّة العنيفة تُنسخ هنا و هناك في معظم أوروبا . و كان الأطفال الصغار ذوو التسع سنوات عادة ما يقذف بهم في المصانع ليشتغلوا 60 و حتّى 72 ساعة أسبوعيّا . و كان الفلاّحون المزارعون يطردون من أراضيهم جرّاء الضغوطات الرأسماليّة الجديدة في الفلاحة و كان بعضهم يصبحون جزءا من طبقة جديدة متمرّدة ـ البروليتاريا المعاصرة .

و وُجدت علامات أوّليّة لنهوض ثوريّ جديد . ففي جويلية 1830 ، ثارت باريس كالبركان في قتال شوارع و متاريس . و في 1831 ، نظّم نسّاجو الحرير في ليون مسيرة خارج المعامل التي يشتغلون بها و كانوا ينشدون :

" عندما يأتي حكمنا

عندما يزول حكمكم

عندها سنهزّ أركان العالم القديم

أصغوا إلى غليان الثورة " .

و بعد سنوات عشر ، جدّت عدّة " مسيرات خبز " بحيث غدت العشريّة مسمّاة ب " أربعينات الجوع " .

و في ذلك الوقت ، كانت القوى الأكثر راديكاليّة تُنشئ حركة جديدة أطلقت عليها إسم " الشيوعية " ـ و كانت تحلم بإقتسام ثروة المجتمع و إلغاء الإختلافات الطبقيّة . و كانت هذه الشيوعيّة الأولى مزيجا من نظرات ثاقبة لامعة و أمنيات " طوباويّة " غير ممكنة التحقيق و أعمال جسورة . و قد فكّر بعض أوائل الشيوعيين في حركات جماعيّة محلّية قد تدرّب تدريجيّا الإنسانيّة على طرق جديدة دون الإطاحة الثوريّة بالنظام القديم . و فكّر آخرون في أنّ المؤامرات الصغرى قد تغيّر مجتمعا ، دون أن يكون لها جذورا عميقة وسط الجماهير الشعبيّة .

و بشكل متصاعد ، تبيّن أنّ هذه المخطّطات و هذه المناهج غير مجدية . و شرع شابان ألمانيّان ثوريّان في كسب أتباع بفضل تحاليلهما القويّة الجديدة . و إجتمع كارل ماركس و فردريك إنجلز في بروكسال لتصوّر طريق للثورة الشيوعيّة . و قد أتى كلّ منهما بجوانب قوّة لشراكتهما . و قد وُلد كارل ماركس سنة 1818 و نقد و بحث مليّا كافة النظريّات و الفلسفات الثوريّة المختلفة لزمنها . و كصحفي في الجريدة التقدّميّة ، **" الجريدة الرينانيّة "** ، أخذ ينجز تحاليلا مفصّلة للسياسات و النزاعات وقتها ـ خاصة حياة الفلاّحين في سهول الراين الألمانية . و قد وصف شخص يعرفه شخصيّا الشاب ماركس بأنّه : " جريئ و مندفع و متحمّس و يزخر بالثقة في النفس و لكنّه كان في الوقت نفسه ، بعمق جدّيا و مثقّفا و جدليّا لا يهدأ ".

و في 1843 ، عقب حظر **" الجريدة الرينانيّة "** ، إضطرّ ماركس إلى الذهاب إلى فرنسا التي كانت عهدذاك مركز النشاط الثوري في أوروبا .

و وُلد إنجلز سنة 1820 و كان عصاميّا و تعليمه من درجة عالية وهو منحدر من عائلة ألمانيّة رأسماليّة ثريّة . و في 1842 ، بعثته أسرته إلى منشستر بأنجلترا ليعمل بمصنع نسيج العائلة . في تلك الأيّام ، كتب لاحقا ، كان ذهنه مليئا بالأغاني الثوريّة للثورة الفرنسيّة و كان يتوق إلى إعادة ظهور مقصلة الرعب الأحمر الباريسيّ الشهير .

في أنجلترا ، شاهد إنجلز البدايات الأولى للتطوّرات الرأسماليّة الأكثر تقدّما ـ وسائل الإنتاج الصناعيّة القويّة ، و مدن الصفيح و الآفات المريرة للمدن الصناعيّة الجديدة . و قد درس حركة الجارتيين الأنجليزيّة ـ وهي حركة من أوائل الحركات الجماهيريّة العمّاليّة . و كان إنجلز يمقت الرأسماليّة و عاين بوضوح كيف كانت تغيّر العالم القديم تغييرا سريعا.

فعمل ماركس و إنجلز اليد في اليد لإنجاز خلاصة جديدة متطوّرة و حديثة إعتمادا على دراسة عميقة للسياسة و الاقتصاد و التاريخ و الفلسفة . و أخرجت مقاربتهما العلميّة الشيوعيّة من قبضة أحلام اليقضة الطوباويّة إلى عالم مذهل من السياسة العمليّة .

<u>منظّمة شيوعيّة جديدة ، بيان شيوعى جديد</u>

" الدعاية السرّية أُوتيت هي أيضا أكلها : فكلّما كنت فى كولونيا أو في إحدى الخمّارات الصغيرة المحلّية ، ألاحظ نجاحات جديدة و مهتدين جددا . و قد أسفر الاجتماع في كولونيا عن نتائج مذهلة ـ و شيئا فشيئا تتكشّف فرق شيوعيّة منفردة ،

تطوّرت حتّى الآن خفية ، بدون مساهمتنا المباشرة ... العقول قد نضجت و ينبغي طرق الحديد ما دام حاميا ." (من رسالة مؤرّخة في 1845 بعث بها فردريك إنجلز إلى كارل ماركس)

و بداية من 1846 ، إشتغل ماركس و إنجلز لنسج روابط مع عدّة مجموعات شيوعيّة مختلفة ظهرت في أوروبا . و مجموعة من المجموعات الواعدة أكثر من غيرها ، " عصبة العدل " في لندن التي كان ينتمى إليها حوالي مائة عضو منهم عديد الثوريين الألمان المنفيّين . و كانت هذه العصبة مهتمّة بكتابات ماركس و إنجلز و تبعا لإقتراح الأخيرين أعيد تنظيمها كعصبة شيوعيّة . و صارع ماركس (الذى لم يحضر المؤتمر التأسيسي) من أجل تغيير الشعار القديم " كلّ الرجال أخوة " معلّلا ذلك بوجود رجال لا يرغب المرء في أن يكون أخا لهم . و صارت صرخة المعركة الجديدة " يا عمّال العالم إتّحدوا ".

و قد وصف رفيق لماركس و إنجلز الرجلان أيّامها :

" كان ماركس حينها لا يزال شابا له من العمر 28 سنة غير انّه كان يتمتّع بتأثير كبير علينا . و كان متوسّط القامة ، عريض الكتفين ، بنيته قويّة و كان حيويّا في وقاره ... كان خطابه موجزا مقنعا و منطقه مسنودا بأدلّة قاطعة ... لم يكن بخطاب ماركس أي شيء حالم ... و كان فردريك إنجلز ، الأخ الروحي لماركس ،... نحيفا ، حيويّا و له شعر كثيف و شاربان ، كان أشبه بملازم شاب وسيم من الحرس أكثر منه بالمثقّف ."

في سبتمبر 1847 ، أصدرت العصبة الشيوعية الجديدة مشروع " إعتراف بالإيمان شيوعي " فكان وثيقة طوباويّة من النمط القديم قائمة على مبادئ منفصلة عن الحياة الحقيقيّة ، وإتّخذت مثالا لها التعاليم الدينيّة . لذلك رفض ماركس و إنجلز تبنّيها . و تحرّك إنجلز ليتولّى هو نفسه صياغة مشروع جديد .

و في أكتوبر ، وضع إنجلز المشروع بين يدي ماركس و إقترح عليه " أعتقد أنّ أفضل شيء نقوم به هو التخلّص من شكل التعاليم الدينيّة و ليكن عنوان هذا المشروع : بيان الحزب الشيوعي . و فيه يجب أن نقدّم قدرا معيّنا من العرض التاريخي فالشكل الحالي لا يتماشى مع هذا بصورة جيّدة ". كما إقترح أن يعالج البيان مسائل التنظيم الحزبي و نبّه إلى أنّ يتمّ ذلك فقط " طالما أنّه سيتعيّن نشره للعموم ".

و قصد ماركس و إنجلز معا المؤتمر الثاني للعصبة الشيوعيّة ـ و طوال عشرة أيّام ، في نوفمبر و ديسمبر 1847 ، ناقش المؤتمرون إنطلاقة مقاربتهم السياسيّة الشيوعيّة الجديدة . و قُبلت إقتراحاتهما .

و عوّضت العصبة الشيوعيّة برنامجها القديم للدعاية من أجل " تشارك في السلع " و تبنّت هدفا أشمل و أصعب في مناله ألا وهو " الإطاحة بالبرجوازيّة و هيمنة البروليتاريا و إلغاء المجتمع البرجوازي القديم القائم على العداء الطبقي و إرساء مجتمع جديد خالى من الطبقات و من الملكيّة الخاصة ".

و نشأت منظّمة شيوعيّة على أسس جديدة و عاد ماركس لينكبّ على إتمام كتابة البيان . و أقام في بروكسال ليشتغل ـ بمثابرته ودقّته و عمقه المعهودين . و نفذ صبر رفاقه في لندن . فقد إندلعت الثورة في ميلانو و بالرمو بإيطاليا و كان الرفاق في حاجة إلى بيانهم الجديد لينشروه في الشوارع. و في جانفي 1848 ، أرسلوا إلى ماركس محدّدين موعدا أخيرا: إن لم ينه ماركس العمل في بدايات فيفري 1848 ، " ستتّخذ إجراءات أخرى " . و أنهى ماركس العمل في بدايات فيفري 1848 و بعث بسرعة بالمخطوط اليدوي إلى لندن .

سلاح لخوض النضال

" إن الفلاسفة لم يفعلوا غير أن **فسّروا** العالم بأشكال مختلفة و لكن المهمّة تتقوّم في **تغييره** ".(كارل ماركس ، 1845)

صدر *Manifest der Kommunistischen Partei* ، ***" بيان الحزب الشيوعي "*** أواسط فيفري كبرنامج رسمي للعصبة الشيوعيّة . و بعد بضعة أيّام ، إندلع تمرّد فى باريس أطاح بالملك الفرنسي من السلطة . و فى غضون أسابيع ، إنتشرت الثورة التى كان يترقّبها الشيوعيّون إلى فيننا و برلين . و فى غضون شهور وقعت الإطاحة بالحكام فى منطقة واسعة عبر تلك القارة .

و قد إستُقبل بيان ماركس و إنجلز إستقبالا حماسيّا . و صار التيّار الشيوعي الصغير عبر أوروبا الآن يملك سلاحا من العيار الثقيل لخوض المعركة . و سرعان ما تمّت ترجمة البيان من الألمانيّة إلى الأنجليزيّة و الفرنسيّة و البولنديّة و الدانماركيّة .

و ذُعرت الشرطة البلجيكيّة فأوقفت كارل ماركس كما جرى إيقاف جيني ماركس وهي تبحث عن زوجها و سجنت بتهمة عدم إمتلاك مأوى . ثمّ طُردا كلاهما من بلجيكا و نُفيا إلى باريس . و أعاد ماركس و إنجلز تنظيم اللجنة المركزيّة للعصبة الشيوعيّة و أسّسا نادى العمّال الألمانيين الذى سرعان ما أضحى أعضاؤه يعدّون 400 عضو . و كانت عيون الجميع تتركّز على ألمانيا . فقد كتب إنجلز : " بالفعل كانت الأمور تسير سيرا حسنا جدّا فالمسيرات كانت فى كلّ مكان ...".

و فى بدايات أفريل ، تسلّل ماركس و إنجلز عبر الحدود إلى ألمانيا – التى كانت وقتها متشكّلة من عدّة دول شبه مستقلّة خاضعة لمملكة برّوسيا و حملا معهما ألف نسخة من البيان كانت وصلت للتوّ من لندن .

و أرسى ماركس و إنجلز مركز عمليّاتهما فى كولونيا حيث كانت الحركة الثوريّة الأكثر تقدّما . و نمت العصبة الشيوعيّة المحلّية إلى 8 آلاف عضو فى فقط البضعة أشهر الأخيرة – إلاّ أنّه كان يهيمن عليها خطّ يميني حدّد العمّال فى خوض نضالات مطلبيّة و حتّى دعّم دعوات من أجل نظام ملكي دستوري . فأسّس ماركس تنظيمه الثوري الخاص الذى سرعان ما حلّ محلّ العصبة الشيوعية الذابلة . و حدّدت هذه المنظّمة الجديدة مهمّة لها الإلتحام بالجماهير العريضة و قيادتها فى القيام بالثورة . و لاحقا كتب إنجلز : " لم نكن جيّدين فى الصراخ فى البرّية ؛ لقد درسنا جيّدا الطوباويين بحيث لم نسقط فى هذا الخطأ ".

و مع غرّة جوان 1848 ، أخذ ماركس و إنجلز ينشران جريدة ثوريّة ، " **الجريدة الرينانيّة الجديدة** " . و قد هاجمت الأنظمة الملكية الأوروبية و إستنهضت الجماهير من أجل ثورة ديمقراطية راديكاليّة ضد الإقطاعيّة و الأوتوقراطية . و بلغت هذه الجريدة إصدار حوالي 5000 نسخة فكانت أكبر الجرائد إنتشارا في ألمانيا .

و في بروسيا ، لم تنجح الثورة أبدا في الإطاحة بالنظام الملكي . نهضت الجماهير في موجات متكرّرة خلال 1848 و 1849 . و نجحت إقتراحات الحكومة بتنظيم انتخابات في إستمالة البرجوازيّة بينما تقدّم الجيش البرّوسي لسحق المراكز الثوريّة .

و في سبتمبر ، إنتخب اجتماع جماهيري كلاًّ من ماركس و إنجلز و عديد مسانديهما إلى مواقع في " لجنة الأمن العام " التي أرست على خطى أجهزة السلطة الثوريّة التي نفّذت حكم الإعدام في الأرستقراطيّين الفرنسيين قبل خمسين سنة . و في 25 سبتمبر ، أرسلت السلط قوّاتا لإيقاف القادة المفاتيح . و جرى إلصاق معلّقات مطلوب للعدالة بالنسبة إلى إنجلز . و قد فرّ هو و كتّاب آخرون ل" **الجريدة الرينانيّة الجديدة** " عبر الحدود و إختفوا لبضعة أشهر .

و قد لعب ماركس دورا قياديّا لكنّه لم يكن الناطق الرسميّ في الإجتماعات العامة . فلم تكن للسلط أدلّة لربط الصلة بينه و بين " المؤامرة ". لذا بينما إضطرّ آخرون للمغادرة ، ظلّ ماركس في كولونيا و تقريبا لوحده أعاد إصدار " **الجريدة الرينانيّة الجديدة** " متحدّيا السلط العسكريّة . و سرعان ما أحيل على المحاكمة هو الآخر . و أطلقت المحكمة سراحه عقب دفاعه السياسي الكاسح فيما كانت جمهرة كبيرة من الناس تهدّد بشدّة بإطلاق سراحه بالقوّة .

و في ديسمبر ، بلغ ماركس إستنتاجا راديكاليّا جديدا : دلّلت البرجوازيّة على عدم قدرتها على قيادة الثورة للإطاحة بالإقطاعيّة و الأنظمة الملكيّة . إذا لم تقد الطبقة العاملة الحركة إلى الأمام ستفشل هذه الحركة .

و في مارس 1949 ، حاصر جنود برّوسيّون منزل ماركس و هم مسلّحون بالسيوف . و طلبوا من ماركس تسليم أحد كتّاب الجريدة و إلاّ فإنّ الأشياء " ستسوء". فأجاب ماركس بأنّ تهديداتهم " لن تفيد في أيّ شيء مطلقا معى " . و فجأة إكتشف الجنود أنّ ماركس كان يحمل مسدّسا يطلّ من جيبه . ففقدوا حماسهم و تركوا المكان . و لاحقا ، تندّر إنجلز قائلا إنّ الحامية البرّوسيّة كانت تعدّ 8000 رجلا مسلّحا - بينما " حصن " " **الجريدة الرينانيّة الجديدة** " كان متسلّحا فقط ببعض البنادق و بعض الخراطيش و القبّاعات الحمراء للراقنين .

فى أواخر ربيع 1849 ، شدّد الجيش البرّوسي من قبضة إحتلاله للراين و تصدّى له الناس . و قاتل إنجلز في المتاريس القريبة من المدينة مسقط رأسه ألبار فالد . و في التاسع من ماي ، تلقّى ماركس أوامرا من رئيس الشرطة بمغادرة البلاد في غضون 24 ساعة . فقد إنتهت الصلوحيّة القانونيّة لوثائقه ما يجعله أجنبيّا بلا وثائق . و إتّهمه رئيس الشرطة بأنّه " داس بلا خجل الضيافة " بندائه " للصراع ضد الحكومة القائمة و للإطاحة العنيفة بها و بتركيز جمهوريّة إشتراكيّة ".

و لم تستطع " **الجريدة الرينانيّة الجديدة** " مواصلة المشوار ذلك أنّ كافة ناشريها كانوا يواجهون المنفى أو الإيقافات . فنشر ماركس عددا أخيرا في 18 ماي طُبع كلّيا بالحبر الأحمر . و قد إستهزأت الكلمات الأخيرة بالسلط التي حجبت قمعها

الدموي بتعلاّت واهية : " ما فائدة جملكم المنافقة المتوتّرة بعد محاولات مستحيلة ؟ نحن ليست لدينا رحمة أيضا و لا نطالبكم بأي تقدير لنا . عندما يأتي دورنا لن نقدّم أعذارا لبثّنا الرعب ".

و قد طبعت عشرون ألف نسخة من هذا " العدد الأحمر " الذى سرعان ما صار شهيرا . و لسنوات مرّرت النسخ من يد إلى أخرى في صفوف العمّال الثوريّين في أوروبا و أمريكا الشماليّة ـ غالبا بصحبة **" بيان الحزب الشيوعي "** .

و مع تقدّم الثورة المضادة ، تراجع ماركس و إنجلز جنوبا ، على طول نهر الراين . و غير قادر على البقاء طويلا دون ورق ، قصد ماركس باريس حيث إنغمس في النضال ، باسم مستعار.

و ظلّ إنجلز في ألمانيا و إلتحق بالكفاح المسلّح ضد الجيش البرّوسي المتقدّم . و قاتل في أربع معارك قبل الإضطرار إلى المغادرة إلى سويسرا عابرا الحدود . وفي رسالة إلى جيني ماركس ، قال إنّ " صفير الرصاص مسألة تافهة تماما " ، و تباهى بأنّ لا أحد بمقدوره قول إنّ الشيوعيين لم يقفوا بصلابة حينما إشتدّ القتال .

و مثّلت أحداث ماي نهاية هذه المرحلة من الثورة في ألمانيا . و إستمرّ قمع الحكومة لسنوات . و وصف شاعر ثوريّ كيف أنّ الناس كانوا مروّعين في منازلهم بفعل إطلاق النار الفجئي لفرق الموت التي كانت تنفّذ حكم الإعدام في الثوريّين. و قد كان يقع في الحال إيقاف من كانوا يحملون **" بيان الحزب الشيوعي "** .

بيان من أجل حركة عالميّة جديدة

و إلتقى ماركس و إنجلز في أنجلترا أين عملا على إعادة تركيز المنظّمة الشيوعيّة و خطّطا إلى جهاز ثوري جديد . كان سنّ ماركس آنذاك 31 سنة و لم يبلغ إنجلز سنّ الثلاثين سنة .

و قد تعلّم ماركس الكثير من الممارسة الثوريّة الكثيفة ل 1848-1849 . و كتب أنّ الثورات البروليتاريّة :

" تنتقد ذاتها على الدوام ، و تقاطع نفسها بصورة متواصلة أثناء سيرها ، و تعود ثانية إلى ما بدا أنّها أنجزته لتبدأ فيه من جديد ، و تسخر من نواقص محاولاتها الأولى و نقاط ضعفها و تفاهاتها بإستقصاء لا رحمة فيه ، و يبدو أنّها تطرح عدوّها أرضا لا لشيء إلاّ ليتمكّن من أن يستمدّ قوّة جديدة من الأرض و ينهض ثانية أمامها وهو أشدّ عتوّا ، و تنكص المرّة تلو المرّة أمام ما تتصف به أهدافها من ضخامة غير واضحة المعالم ، و ذلك إلى أن ينشأ وضع جديد يجعل أي رجوع إلى الوراء مستحيلا و تصرخ الحياة نفسها قائلة بصرامة : هنا الوردة ، فلترقص هنا **!** "

[**" الثامن عشر من بروميير لويس بونابرت "** ـ المرتجم] .

و بعد 1848 ، لم تعد الشيوعيّة " شبحا " و إنّما حركة أمميّة حقيقيّة من دم و لحم . و ظهر **" بيان الحزب الشيوعي "** كأكثر وثائقها تقديرا و تأثيرا . و كتب إنجلز لاحقا أنّ البيان أرسى " خطّ عمل " للشيوعيين للقتال " كجيش واحد تحت راية واحدة ".

و بالضبط لأنّ البيان جسّد تحليلا ماديّا و مثّل خلاصة حيّة ، كانت بعض الأجزاء المختلفة من الوثيقة تبدو قد فات أوانها عندما كان ماركس و إنجلز ينظران إلى الوراء بعد سنوات . و خلال ال150 سنة الأخيرة ، تغيّر العالم تغيّرا أشكاله متنوّعة ، و صارت التجربة الثوريّة الجديد أثرى و يجب تلخيصها ـ كما يجب توسيع فهم الشيوعيين و تعميقه بطرق نوعيّة عدّة .

لكن رغم كلّ ذلك ، لا يزال جوهر هذا البيان البارز ـ منهجه المادي الجدلي و إستنتاجاته ذات النظرة الثاقبة حول إمكانيّة إلغاء الطبقات و تحليله للدور التاريخي للطبقة البروليتاريّة الصاعدة الجديدة ـ قد حافظت على نضارتها و قوّتها و عكسها للحقيقة طوال 150 سنة .

في **" بيان الحزب الشيوعي "** ، أعرب ماركس و إنجلز عن : " إنّ الثورة الشيوعيّة تقطع من الأساس كلّ رابطة مع علاقات الملكيّة التقليديّة ، فلا عجب إذن إن هي قطعت بحزم أيضا ، أثناء تطوّرها ، كلّ رابطة مع الأفكار و الآراء التقليديّة ." و بعد سنوات ثلاث ، غداة 1848 ، عاد كارل ماركس إلى هذا الموضوع ، ملخّصا أنّ الشيوعية " إعلان للثورة المستمرّة ، الدكتاتورية الطبقية للبروليتاريا كنقطة ضرورية للقضاء على كلّ الإختلافات الطبقية ، و للقضاء على كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها و للقضاء على كلّ العلاقات الإجتماعية التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و للقضاء على كلّ الأفكار الناجمة عن علاقات الإنتاج هذه ".

[" **صراع الطبقات فى فرنسا من 1848 إلى 1850**" - المترجم]

هذان المفهومان الماركسيّان ، اللذان يشير إليهما الماويّون على أنّهما " القطيعتين الراديكاليّتين " و " الكلّ الأربعة " ، يظلاّن مركزيّان لفهمنا للتغيّرات العميقة المعنيّة في السيرورة العالميّة للثورة الشيوعيّة .

في 1869 ، في سويسرا ، ظهرت طبعة روسيّة ل" **بيان الحزب الشيوعي** " ترجمها باكونين و مُرّرت عبر الحدود إلى داخل المملكة القيصريّة . و عندما إفتكّت الطبقة العاملة السلطة لأوّل مرّة أثناء كمونة باريس لسنة 1871 التي لم تعمّر طويلا ، صار " **بيان الحزب الشيوعي** " مرشدا لجيل من الثوريين الجدد عبر أوروبا و أمريكا الشماليّة . و أضحى عديد الشيوعيّين الآن يسمّون أنفسهم " ماركسيّين ".

و في الولايات المتحدة الأمريكيّة ، طُبعت عدّة ترجمات في سبعينات القرن التاسع عشر ، منها ترجمة لألبار بارسن ، قائد العمّال الثوريّين بشيكاغو ، الذى برز في أحداث هايماركت الشهيرة . و في 1882 ، ظهرت طبعة روسيّة جديدة لتدرّب جيلا من الماركسيّين الذين أعدّوا الأرضيّة لحزب لينين البلشفي .

و بعد سبعين سنة من كتابة البيان ، إفتكّت البروليتاريا الثوريّة و حافظت على السلطة لأوّل مرّة - في 1917 في روسيا . و دلّل الإنتصار التاريخي عمليّا على صحّة الكثير من الأفكار المفاتيح الواردة في البيان . و في الوقت نفسه ، عنيت سلطة الدولة الجديدة أنّ الأعمال الماركسيّة غدت في المتناول لأوّل مرّة عبر العالم . و بعد قرن من زمن تأليف " **بيان الحزب الشيوعي** " ، كان القائد الشيوعي ماو تسى تونغ يكاد يفتكّ السلطة عبر البلاد في الصين و قد كتب : " لقد جلبت لنا طلقات مدافع ثورة أكتوبر الماركسية - اللينينيّة ".

خلال القرن العشرين ، جرت ترجمة " **بيان الحزب الشيوعي** " إلى تقريبا كلّ اللغات المكتوبة على كوكب الأرض - و درسه بنهم الملايين من الباحثين عن سبيل للتحرّر . طوال 150 سنة ، كان يهرّب و يطارد و يمنع و يعتزّ به . إنّه مثال حيّ عن الأفكار التي تغيّر المادة . لقد صاغ تماما هذا العمل التاريخ الإنساني و أثّر في حياة مئات ملايين الناس . و تأثيره شاهد على قوّة الإيدجيولوجيا العلميّة التي تقود النضال البروليتاري إلى تحرير الإنسانيّة . و نحن نقترب من نهاية القرن العشرين ، لا تزال الكلمات الختاميّة ل " **بيان الحزب الشيوعي** " تعدّ مرجعا و عقيدة لكافة الذين يكرهون الإضطهاد :

" يترفّع الشيوعيون عن إخفاء آرائهم و مقاصدهم ، و يعلنون صراحة أنّ أهدافهم لا يمكن بلوغها و تحقيقها إلاّ بدكّ كلّ النظام الاجتماعي القائم بالعنف . فلترتعش الطبقات الحاكمة أمام الثورة الشيوعيّة . فليس للبروليتاريا ما تفقده فيها سوى قيودها و أغلالها ، و تربح من ورائها عالما بأسره ."

يا عمّال العالم ، إتّحدوا **!**

-2- " بيان الحزب الشيوعى " اليوم :

لا يزال صحيحا و لا يزال خطيرا و لا يزال أمل الذين لا أمل لهم

ريموند لوتا

جريدة **" العامل الثوري "** عدد 958 ، 24 ماي 1998

http://revcom.us/a/v19/950-59/958/cmnyc1.htm

[في غرّة ماي 1998 ، بمدينة نيويورك ، ألقى الاقتصادي السياسي ريموند لوتا محاضرة هامة بمناسبة إحياء الذكرى 150 ل **" بيان الحزب الشيوعي "** . و تنشر هنا جريدة **" العامل الثوري "** نصّ المحاضرة بأكمله] .

عثرت لأوّل مرةّ على **" بيان الحزب الشيوعي "** أواخر ستّينات القرن العشرين و كنت حينها طالبا راديكاليّا و كان جيلي بصدد إكتشاف ماركس و الماركسيّة . و أقرّ بأنّي لم أفهم كلّ ما جاء فيه . لكن أتذكّر أنّ شيئين إثنين أذهلانى : الصورة البانورامية للتاريخ في **" بيان الحزب الشيوعي "** إذ هو لا يحلّل الماضي فحسب بل يتحدّث أيضا عن المستقبل ، عن إلى أين يتّجه المجتمع ؛ و كان هذا الموقف في " مواجهتك " . و أذكر هذه الجملة : " تشدّق البرجوازيين الفارغ عن العائلة و التربية " . كان سنّى 19 و أحببت ذلك حبّا جمّا . و لمّا كتب ماركس البيان [بمعيّة إنجلز] كان له من العمر 29 سنة .

وثيقة تغيّر التاريخ

أواسط فيفري 1848 ، أتمّ كارل ماركس ، هذا المحرّض الثوري الشاب ، المشروع النهائي لكرّاس هام . فقد كلّفت مجموعة صغيرة من الثوريين ماركس و رفيقه ، فردريك إنجلز بصياغة وثيقة سياسيّة الغرض منها توحيد و توجيه عمل الثوريين و توحيد الجماهير من شتّى البلدان .

و كانت ثلاثينات و أربعينات القرن التاسع عشر سنوات مضطربة في أوروبا . فالأنظمة الملكيّة القديمة و الدول ذات الأنظمة المطلقة على القارة كانت تمارس القمع للبقاء على قيد الحياة . و كان الغضب و المعارضة في تصاعد . و في الوقت نفسه ، كان نظام المصانع الرأسماليّ ، بمعامله الهشّة و مدن الصفيح الصناعيّة يمدّ جذوره . و قد صلب عوده في أنجلترا و أخذ ينتشر في فرنسا و ألمانيا . و كان الفلاّحون يدفعون إلى مغادرة أراضيهم . وكانت طبقة جديدة من العمّال ، البروليتاريا ، تنمو ... و معها ينمو تمرّدها .

و كانت من المهام الملحّة طباعة هذه الوثيقة إلاّ أنّ ماركس و إنجلز رفضا تبنّي المشروع الأوّلى الذى كتب في شكل سؤال – جواب ، كالمنشور الديني . لذا تطوّع إنجلز و ماركس لإعادة كتابته " أعتقد أنّ أفضل شيء نقوم به هو التخلّص من شكل التعاليم الدينيّة و ليكن عنوان هذا المشروع : بيان الحزب الشيوعي . "

و ألّف ماركس فعلا بيانا و كان وثيقة تأسيسيّة للحركة الشيوعية العالميّة ذات نظرة ثاقبة . و كانت عرضا موجزا لكيف يصنع حقّا التاريخ ، فالتاريخ ليس نتيجة لأعمال رجال عظام ، أو إرادة الإلاه ، أو مجرّد سلسلة من الحوادث . لا ، التاريخ يصنع نتيجة للنضال بين مجموعات إجتماعيّة مختلفة ، أو طبقات ، و هذا الصراع الطبقي متجذّر في الأساس الاقتصادي للمجتمع . و **بيان الحزب الشيوعي** هو أيضا أوّل صيغة و أوجز صيغة لأهداف و غايات الثورة البروليتارية و هو يزخر بالشعر و الحماس .

و لا نغالى إن قلنا إنّ **" بيان الحزب الشيوعي "** قد غيّر مجرى التاريخ . على الأرجح هو أكبر وثيقة سياسيّة مؤثّرة كتبت أبدا و درسها الملايين حول العالم . و كان كتابا محظورا قانونيّا . عندما كنت في الفليبين ، قبل سنوات ثلاث ، قال لى فلاّحان ثوريّان أنّه كان عليهما أن يخفيا كتب ماركس في حقولهما .

و هناك دائما شيء خطير بشأن **" بيان الحزب الشيوعي "** . هناك الجمل الإفتتاحيّة الشهيرة الشهيرة : " هناك شبح يجول في أوروبا – هو شبح الشيوعيّة . " و هناك البنادق و الخناجر التي تقذفنا بها الطبقات الحاكمة . إستمعوا إلى ماركس : " يهولكم و يروعكم أنّنا نريد محو الملكيّة الخاصة . و لكن في مجتمعكم هذا ذاته تسعة أعشار أعضائه محرومون من أيّة ملكيّة خاصة ، و إذا كانت هذه الملكيّة موجودة فلأنّ هؤلاء الأعشار التسعة محرومة منها ... تتّهموننا بأنّنا نريد محو ملكيّتكم أنتم . و حقّا هذا الذى نريد . " و ينتهى بندائه الشهير : " ليس للبروليتاريا ما تفقده فيها سوى قيودها و أغلالها ، و تربح من ورائها عالما بأسره . "

ونحن الآن في نهاية القرن العشرين و قد كان قرنا نهضت فيه الشعوب المضطهَدَة في نضالات كبرى . لقد رأينا الثورتين البلشفيّة والصينيّة تصل إلى السلطة وتشرع في بناء مجتمعات جديدة . لكن هذه الثورات أطاحت بها قوى رأسماليّة جديدة.

و بالتأكيد أنّ العالم الرأسمالي تماسك لفترة أطول ممّا توقّع ماركس . و نواجه بإستمرار بالحكم البرجوازي بأنّ الشيوعيّة فاشلة ، طوباويّة غير ممكنة التطبيق تحوّلت إلى كابوس . يريدوننا أن نعتقد أنّ رسالة القصّة هي : الرأسماليّة هي أفضل ما يمكننا الحصول عليه . " عاش الجشع و عاشت اللامساواة ".

لذا ل " **بيان الحزب الشيوعي** " ما يخاطبنا به اليوم ؟ نعم ، له ما يخاطبنا به اليوم . هو يحدّثنا عبر تحليله للمجتمع الرأسمالي . يحدّثنا عبر نظرته لعالم خالى من الطبقات . يحدّثنا عبر التجربة العمليّة للثورة البروليتاريّة في هذا القرن – في ما تحقّق و ما تمّ تعلّمه بصدد ما يتطلّبه التخلّص من هذا النظام . يحدّثنا لأنّ تقدّم المجتمع الإنساني ، في فجر الألفيّة القادمة ، يقتضى لا أقلّ من الثورة .

<u>ماركس بشأن صعود البرجوازية و مهمّتها</u>

مثلما إقترحت ، " **بيان الحزب الشيوعي** " حقّا شيئان . إنّه تحليل تاريخي للمجتمع الطبقي و الصراع الطبقي و المجتمع الرأسمالي بخاصة ؛ وهو نظرة ثاقبة لما يجب و يمكن أن يحلّ محلّه . و أودّ أن أنطلق بالحديث عن تحليل الرأسماليّة في ال**بيان** . يتفحّص ماركس الرأسماليّة من أفق مادي تاريخي . و هذا يعنى عدّة أشياء .

أوّلا ، يعنى أنّ الرأسماليّة ليست أبديّة . الرأسماليّة شكل تاريخي للإنتاج الاجتماعي . لها بدايتها . ففي القرن السادس عشر، كانت تتراكم ظروف تطوّر مستقبلي للرأسماليّة . و ستكون للرأسماليّة نهايتها . ظهرت الراسماليّة في مرحلة معيّنة من تطوّر المجتمع الإنسانيّ . كانت قوى الإنتاج تتطوّر في رحم المجتمع الإقطاعي ؛ و الطبقة الجديدة ، البرجوازيّة ، كانت تظهر معها . و بقوى الإنتاج أقصد الوسائل و الأدوات و الأرض و المواد الأوّليّة و الناس أنفسهم . و تمثّل البرجوازيّة طرقا جديدة لإستعمال هذه القوى المنتجة و تنظيم الإنتاج . لكن علاقات الإنتاج الجديدة كانت تعرقلها علاقات الإنتاج الإقطاعية القديمة .

و بعلاقات الإنتاج أقصد علاقات المجموعات المختلفة في المجتمع بوسائل الإنتاج – من يملكها و من يتحكّم فيها ؛ و مختلف الأدوار التي يضطلع بها الناس في سيرورة الإنتاج ؛ و كيف و أيّة حصّة من الثروة المنتجة في المجتمع توزّع على شتّى المجموعات في المجتمع . في المجتمع الطبقي ، مختلف هذه المجموعات و العلاقات الإجتماعيّة هي طبقات و علاقات طبقيّة .

لقد كان النظام الإقطاعي للعقّارات في الفلاحة و نظام النقابة للصناعة التقليديّة يعرقل قدرة هذه البرجوازيّة على تطوير الأسواق و إستخدام أدوات و مناهج جديدة للإنتاج . و كان على البرجوازيّة أن تطيح بالأنظمة الإقطاعيّة و أن ترسي سلطة دولتها و نظامها الاجتماعي الخاصين .

كان كارل ماركس يمقت الرأسماليّة و قد كتب : " يولد رأس المال في العالم و الدم يقطر من كلّ مسامه ". غير انّ التحليل المادي التاريخي قاده إلى إستنتاج أنّ البرجوازيّة تحمل مهمّة تاريخيّة موضوعيّة . و هذه المهمّة هي تطوير قوى الإنتاج بطريقة جديدة نوعيّا .

تغيّر البرجوازية وسائل الإنتاج الفرديّة مثل الأدوات الصغيرة للحرفيين إلى وسائل إنتاج إجتماعيّة ، كالآلات و خطوط التركيب و ما على ذلك ، التي لا يمكن تشغيلها إلاّ من قبل عدد كبير من الناس . إنّها تخلق أنظمة إنتاج جماعيّة إجتماعيّة تكون فيها المنتوجات ليس ثمرة جهود شخص أو قلّة من الأشخاص بل بالأحرى هي ثمرة النشاطات الواسعة و المترابطة لعديد الناس . فكّروا في سيّارة و كلّ ما يستدعيه إنتاجها . على خلاف الحرفي أو المزارع ، لا أحد من العمّال يمكن أن ينظر إليها و يقول " صنعتها " **فهي إنتاج جماعي للآلاف** من الناس .

لكن ما هدف الإنتاج في ظلّ الرأسماليّة و من أجل من يتمّ الإنتاج ؟ الهدف هو الربح و المزيد من الربح . إنّه الإنتاج الذى يخدم مصالح الطبقة البرجوازيّة ، أولئك الذين يملكون وسائل إنتاج . و ما هو منبع هذا الربح ؟ المنبع هو إستغلال البروليتاريا ، طبقة البروليتاريين الذين ليس لهم ما يبيعونه غير قوّة عملهم .

الرأسماليّة ديناميكيّة . و هذا من المواضيع الكبرى ل " **بيان الحزب الشيوعي** " . ما يحرّك الرأسماليّة هو قوّة المنافسة للتوسّع و التجديد . يقول ال**بيان** الآتى عن البرجوازية : " خلقت البرجوازيّة ، منذ تسلّطها الذى لم يكد يمضى عليه قرن واحد ، قوى منتجة تفوق في عددها و عظمتها كلّ ما صنعته الأجيال السالفة مجتمعة ." إنّه يتحدّث عن مصانع الفولاذ و الكهرباء و البواخر و السكك الحديديّة .

الرأسماليّة مضطربة و تغييريّة . قال ماركس : " هذا الإنقلاب المتتابع في الإنتاج ، و هذا التزعزع الدائم في كلّ العلاقات الإجتماعيّة ، و هذا التحرّك المستمرّ و إنعدام الإطمئنان على الدوام ، كلّ ذلك يميّز عهد البرجوازيّة عن كلّ

العهود السالفة . " و هي تقذف بالناس معا في المصانع و المدن . كما تجرّد الرأسماليّة العلا قات الإنسانيّة إلى مصالح ذاتيّة عارية و إلى الدفع نقدا – ما أملكه ، ما قيمتى ، ما قيمتك أنت ؟

و تكسر الرأسماليّة الحدود و تهاجم أي شيء يقف في طريقها . و يضع ماركس ذلك على النحو التالى : " و بدافع الحاجة الدائمة إلى أسواق جديدة تنطلق البرجوازيّة إلى جميع أنحاء الكرة الأرضيّة ". و عندما كان ماركس يكتب ، كانت أنجلترا تنهب بعنف و تستعمر الهند و تدمج الصين بقوّة البنادق في نظامها التجاري . وإنتشر الإنتاج السلعي الذى يكون فيه عمليّا كلّ شيء ينتج ينتج للتبادل، عبر العالم . و بالقيام بذلك ، ترجّ الرأسماليّة مجموعات سكّانيّة بأكملها و تخلق بروليتاريين جدد و تستغلّهم .

و حلّل ماركس كيف أنّ سيرورة تطوّر رأس المال تسفر عن تمركز وسائل الإنتاج بيد فئة أصغر فأصغر عددا. إنّها سيرورة يقع فيها إستقطاب متزايد في المجتمع : الثراء من جهة و الكدح و الفقر و الحطّ من القيمة من الجهة الأخرى . و قد إرتهنت الثورة الصناعيّة في أنجلترا بالإنضباط الرهيب في المصانع و 14 ساعة من العمل يوميّا و تشغيل الأطفال و قد تركت مدن الصفيح تعجّ بالأمراض و سوء التغذية . و اصبح العمل في ظلّ الرأسماليّة إمتدادا للآلة و لا يحقّ للعامل أو العاملة الشغل إلاّ طالما أنّه يخدم توسّع رأس المال .

و في 1825 ، شهد العالم الرأسمالي هزّة أو أزمة إقتصاديّة كبرى . فلأوّل مرّة عرف الملايين الجوع ليس بسبب قلّة الإنتاج بل بسبب فائض في الإنتاج و لم يكن ممكنا بيع المنتوجات الفائضة و لم يكن من الممكن بالتالى إستخدام وسائل إنتاج كثيرة بشكل مربح . كان هذا أوّل تمرّد لقوى الإنتاج الكبرى الجديدة ضد علاقات الإنتاج الرأسماليّة – ضد علاقات الملكيّة الفرديّة لوسائل الإنتاج .

الرأسماليّة نظام إنتاج فوضويّ . لا وجود لتنسيق واعي للإنتاج عبر المجتمع . كم من الفولاذ يجب صنعه ، كم من البنايات يجب تشييدها – هذا لا يقرّر وفق مخطّط عقلانيّ . هناك الصورة الخارقة للعادة في **" بيان الحزب الشيوعي "** أين يقول ماركس : " كلّ هذا المجتمع البرجوازي الحديث الذى خلق وسائل الإنتاج و التبادل العظيمة الهائلة أصبح يشبه الساحر الذى لا يدرى كيف يقمع و يخضع القوى الجهنّميّة التي أطلقها من عقالها بتعاويذه . " و يبلغ ماركس إستنتاجا ماديّا تاريخيّا آخر في ال**بيان** . و قد صمدت الرأسماليّة بعد نهاية صلوحيّتها . غدت البرجوازيّة غير مؤهّلة للحكم .

الرأسماليّة اليوم

و الآن نحن في 1998 . هل أنّ هذا التحليل يساعدنا على إستيعاب العالم اليوم ؟

في هذه ال150 سنة ، إنتشرت الرأسماليّة و باتت أكثر تركيزا . و قد أكّدت نفسها عبر تقنيات و صناعات جديدة تكتسح العالم . و قد أدّت المراكمة الرأسماليّة إلى أسرع نموّ لإنتاجيّة العمل الإنساني في تاريخ الإنسانيّة . و قد مضت التقنية الإنتاجيّة من المناسج الميكانيكيّة التي يُسيّرها فريق إلى روبوتات أو صناعات إنسان آلي . إستغرقت الإنسانيّة حوالي 100 ألف سنة لإختراع القوارب البحريّة ؛ و 5 آلاف سنة أخرى لإختراع البواخر ؛ لكن فقط 100 سنة لإختراع مركبة فضائيّة . لقد أمست الرأسماليّة معولمة بدرجة كبيرة . و أوجدت تقسيمات عمل عالميّة جديدة . و لنضرب مثلا حذاء " نايك ": فالجلد الخارجي ينتج في البرازيل و أستراليا ، و النعال المطّاطي في تيلندا و تتمّ خياطة الأحذية معا في الصين.

لكن ما هي الديناميكيّة ، ما هو الواقع الاجتماعي الكامن وراء كلّ هذا ؟ الجواب هو : المزيد من الإستغلال المكثّف للعالم الإنساني و المزيد من النهب الوحشي للكوكب . مثّل القرن و نصف القرن نموّا لا نظير له و تحطيما و عذابا لا نظير لهما. و قد شهد القرن و نصف القرن أزمة كبرى و حربين عالميّتين و إضطهادا فظيعا لما يسمّى بالعالم الثالث .

و لينين هو الذى حلّل كيف أنّ الرأسماليّة قد تطوّرت عمليّا إلى مرحلة أعلى تسمّى الإمبريالية. و يشمل هذا تغييرات في تنظيم رأس المال و هيكلته ، خاصة نموّ الإحتكار و رأس المال المالي . كما يشمل إندماجا نوعيّا أكبر للعالم . لكن لينين شدّد كذلك على أنّ العولمة الرأسماليّة تحدث بشكل غير متساوى : في عالم منقسم إلى حفنة من الأمم و الدول الإمبريالية المسيطرة و المضطهِدة من جهة و من الجهة الثانية ، الأمم المضطهَدَة للعالم الثالث .

و أقرّ بأنّ نضال هذه الأمم المضطهَدَة من اجل حرّيتها – بقيادة البروليتاريا في تحالف مع الفلاّحين المطالبين بالأرض و الراديكاليين – سيكون قوّة محرّكة للثورة البروليتاريّة العالميّة .

لكن الإمبرياليّة تقوم على أساس الرأسماليّة و قوانين حركتها مثلما حلّلها ماركس .

لذا لنلقى نظرة على بعض معطيات عالم اليوم .

1- 300 شركة متعدّدة الجنسيّات تملك مباشرة رُبع الممتلكات المنتجة في العالم . و أغنى ال2 بالمائة من سكّان العالم يسيطرون على 85 بالمائة من مداخيل العالم . و في الولايات المتّحدة ، أكبر 200 شركة صناعيّة تملك 60 بالمائة من القدرة الصناعيّة .

2- لقد نما عدد البروليتاريا العالميّة بشكل ضخم منذ زمن ال**بيان** . يسحق عشرات ملايين الفلاّحين و يجتثّوا من أراضيهم كلّ سنة في العالم الثالث . ففي بنغلاداش قبل 20 سنة ، لم تكن هناك صناعة نسيج . و اليوم هناك مليون عامل في قطاع النسيج و معظمهم من النساء المتركّزات في داكا ، العاصمة . إنّ إقتصادا صناعيّا عالميّا قائم على اليد العاملة البخسة جزء حيوي من السير العالمي للرأسماليّة . ويوجد بروليتاريوها الجدد في المناطق الصناعيّة التي يحرسها الجيش، في معامل هشّة ذات معدّلات حوادث قاتلة مرتفعة و إستغلال جنسيّ ، و في مدن الصفيح المجاورة لها ماء مسموم ، و تستغلّ عمل 200 مليون طفل !

و هناك بروليتاريا حقيقيّة في الولايات المتّحدة : في محلاّت الملابس ، في مصانع الدجاج ؛ و هناك عمّال الفلاحة و ممرّضو المستشفيات ، و المراهقون الذين يطاردون زوايا الشوارع جنوب البرونكس و جنوب وسط لوس أنجلاس .

3- أكثر من نصف البشر على الكوكب بالكاد يعيشون بدخل أقلّ من دولارين في اليوم . و غدا ليلا ، يكون قد مات 40 ألف طفل آخر في العالم الثالث بفعل سوء التغذية و أمراض يمكن الوقاية منها : و 30 بالمائة من قوّة العمل العالميّة لا تجد شغلا أو هي تشغّل بأقلّ من قدراتها . و 1 من 9 عمّال في أوروبا يعرف البطالة . و 75 مليون عامل مهاجر يتركون سنويّا بلدانهم بحثا عن الشغل .

4- في الولايات المتّحدة ، أغنى بلد في العالم ، 40 بالمائة من الأطفال السود و اللاتينيين يعيشون في فقر ؛ و 7 مليون شخص بلا مسكن ؛ 33 مليون إنسان لا تأمين مرض لديهم ؛ و 1 من 3 من الرجال الشباب السود إمّا في السجن أو هو تحت مراقبة نظام العدالة الإجرامي . و ثلث قوّة العمل في الولايات المتّحدة تشتغل في أعمال أجرها متدنّى . و بين 1992 و 1995 ، 15 بالمائة من الناس الذين كان لديهم شغل ل 10 سنوات أو أكثر فقدوا مواطن شغلهم و الشغل الجديد الذى وجدوه يحصلون منه على أجور أقلّ ب 14 بالمائة .

5- الإنهيار الاقتصادي في آسيا . إستحضروا كيف أنّ ماركس تحدّث عن أنّ الساحر لم يعد يستطيع السيطرة على القوى التي جمّعها ؟ حسنا ، الأزمة الماليّة في آسيا مثال مناسب للغاية . في تسعينات القرن العشرين ، تدفّقت كمّيات ضخمة من رأس المال المالى العالمي إلى بورصات و أسواق المال الآسيويّة و قد تيسّر ذلك بواسطة التقنيات الألكترونيّة و المعلوماتيّة . و قد إستثمرت كمّيات هائلة من رأس المال الصناعي العالمي لتوسيع الإنتاج في كلّ شيء من السيّارات إلى رقائق الحواسيب . و أعلى بنايتين في العالم شيّدتا في ماليزيا . ثمّ تداعى كلّ شيء . و إنهارت هذه الإقتصاديّات . و أغلقت المصانع و وجد الملايين أنفسهم دون شغل و تبخّرت إدّخارات أعداد كبيرة من الناس .

6- و في الختام ، يُواجه كوكب الأرض أزمة بيئيّة أبعادها غير مسبوقة . فنصف الغابات التي تغطّى المناطق الإستوائيّة من العالم لم تعد موجودة . و كلّ يوم ، ينقرض 74 نوعا . هذا إلى جانب تحطيم طبقة الأوزون و ارتفاع حرارة العالم و إستنزاف موارد المحيطات و إستخدام العالم الثالث لدفن النفايات السامة . كلّ هذا من تبعات المنطق الرأسمالي : كلّ شيء من أجل الربح .

و يرفع الرأسماليّون السوق الحرّة كأمل للإنسانيّة . لكن نظامهم كارثة بأتمّ معنى الكلمة . إنّه نظام وحشيّ ، فات أوانه و لم يعد ضروريّا . و شيء مغاير نوعيّا ممكن .

عالم مغاير ممكن

الواقع أنّ قوى الإنتاج في العالم قادرة على إنتاج ما يكفى من الغذاء و اللباس و المسكن و الرعاية الصحّية و الحاجيات الضروريّة الأخرى لكلّ فرد في العالم و في نفس الوقت ، هي قادرة على توفير فائض كبير يخصّص للتطوّر الشامل المستقبلي للمجتمع الإنساني و البشر الذين سيكوّنونه . لكن بداهة ليس هذا يحدث على أرض الواقع . و ما الذى يقف حجر عثرة أمام هذا ؟ علاقات الملكيّة الرأسماليّة و الحكم الطبقي السياسي لرأس المال .

جميع ما كنت أصفه تعبير عن التناقض الأساسي لعصر البرجوازيّة . إنّه تناقض بين الإنتاج الاجتماعي الطابع و التملّك (أو الملكيّة) الخاصة . و البروليتاريا هي الطبقة التي تمثّل العمل التعاوني و الجهود التعاونيّة عامة و التي تتناسب و الطبيعة الإجتماعية العالية لقوى الإنتاج . يمكن أن تطلق طاقة هذه القوى المنتجة .

هناك جملة شهيرة في " **بيان الحزب الشيوعي** " يتحدّث فيها ماركس الصناعة التي تطوّرها البرجوازيّة ثمّ يقول : " إنّ البرجوازيّة تنتج قبل كلّ شيء حفّارى قبرها ". و يقصد البروليتاريا . و الآن تذكّروا أنّي قلت إنّ البرجوازيّة قد إضطلعت بمهمّة موضوعيّة . حسنا ، للبروليتاريا مهمّة موضوعيّة ألا وهي إنجاز ثورة تهدف إلى تركيز ملكيّة إشتراكيّة ، عامة لوسائل الإنتاج و تنظيم الناس بطرق تعاونيّة لإنجاز العمل و توزيع ما يتمّ إنتاجه حسب حاجيات الناس .

البروليتاريا تقود ثورة فريدة من نوعها . لأوّل مرّة ، يمكن إنجاز ثورة في مصلحة غالبيّة الإنسانيّة – ليس لتعويض شكل من الإستغلال و الإضطهاد بشكل آخر ، و إنّما للتخلّص من جميع الإستغلال و الإضطهاد . وكما شدّدت على ذلك ، قوى الإنتاج اليوم مترابطة إلى درجة عالية على الصعيد العالمي و بالفعل لا يمكن إستخدامها بالطريقة الأكثر عقلانيّة إلاّ على الصعيد العالمي . لذا الثورة البروليتارية في نهاية التحليل ثورة عالميّة . و تهدف هذه الثورة إلى إلغاء الطبقات و بناء نوع جديد تماما من المجتمع على النطاق العالمي . هذه هي النظرة و المهمّة الموصوفتين في " **بيان الحزب الشيوعي** " و هذا ما أودّ التعمّق فيه أكثر .

النظرة الشيوعية

يتقدّم " **بيان الحزب الشيوعي** " بنظرة جليلة لمجتمع جديد و عالم جديد . و يصف ماركس النظرة في عدّة أماكن : " مجتمع جديد تكون حرّية التطوّر و التقدّم لكلّ عضو فيه شرطا لحرّية التطوّر و التقدّم لجميع أعضائه . " و في قسم آخر ، يقول ماركس ، " إنّ الثورة الشيوعيّة تقطع من الأساس كلّ رابطة مع علاقات الملكيّة التقليديّة ؛ فلا عجب إذن إن هي قطعت بحزم أيضا ، أثناء تطوّرها ، كلّ رابطة مع الأفكار و الآراء التقليديّة ."

مفهوم " القطيعتين الراديكاليّتين " يخبرنا بالكثير عن المهمّة الثوريّة للبروليتاريا . و قد شرحت أنّ علاقات الإنتاج متعلّقة بمن يملك وسائل الإنتاج و أي دور تنهض به مختلف مجموعات الناس في الإنتاج الاجتماعي و كيف يتمّ توزيع الثروة المنتجة في المجتمع . و مثلما أشرت سابقا ، تهدف الثورة الشيوعيّة إلى مشركة وسائل الإنتاج و تطويرها إلى درجة – و يمكن أن يجري هذا عبر مراحل – يمكن خلالها أن تصبح ملكيّة جماعيّة للمجتمع .

و تتخلّص الثورة الشيوعيّة من الإنتاج من أجل الربح و تهدف إلى إيجاد وفرة ماديّة مشتركة و تتخلّص من الإنتاج السلعي و التبادل عبر النقد / المال . غايتها هي تغيير هياكل العمل و العلاقات في صفوف الناس كي يشتغل الجميع في تعاون للمساهمة بأكثر ما أمكن في المجتمع و الحصول من المجتمع على ما يحتاجون إليه . سيكفّ تسليم الإنسان أو الإنسانيّة قوى حياتها الحيويّة لقوى غريبة تهيمن عليها ؛ سيكفّ إرتباط الفرد بتقسيم عبودي للعمل – فيه البعض يأمرون و البعض يرسمون و البعض يخلقون و البعض يكدحون .

ستتجاوز هذه الثورة البون بين العمل الفكري و العمل اليدوي . و سيكون الناس في آن معا منتجين و مبدعين . لن يكون أي مظهر من مظاهر المجتمع حصرا على البعض ؛ سيساهم الجميع في تسيير المجتمع . كما تهدف هذه الثورة على إلغاء كافة الإختلافات الطبقيّة و التناقضات الإجتماعيّة العدائيّة و إلى القضاء على أرضيّة هيمنة أيّة مجموعة من الناس على المجتمع . بإختصار ، غايتها هي التخلّص من الدولة .

جميع هذه التغييرات متصلة بالقطيعة الراديكاليّة الثانية التي صاغها ماركس ، القطيعة مع الأفكار التقليديّة و يعنى هذا تغيير طرق التفكير و الدوافع و الأخلاق . و يعنى القطيعة مع اليد الميّتة للماضى ، بمعتقدات و قيم و تطيّر متخلفين . و يعنى أنّ الثورة ليس بوسعها إلحاق الهزيمة بالرأسماليّة إذا لم تناضل ضد الإيديولوجيا البرجوازيّة ل " أنا أوّلا ".

و للشيوعيّة فهمها الخاص للحرّية . تنهض النظرة البرجوازية للحرّية ، و قد تحدّث ماركس عنها في " **بيان الحزب الشيوعي** " ، أساسا على حرّية الشراء و البيع ، بما يعنى حرّية الهيمنة و الإستغلال . و تتمحور النظرة البرجوازية للحرّية حول الفرد - يتّبع الفرد مصالحه الخاصة ، الحق الفردي في الحصول على الثروة والسلطة على حساب الآخرين ؛ و حقّ البعض في التحكّم في الآخرين بينما لا يتحكّم فيهم أحد .

و النظرة الشيوعيّة للحرّية مختلفة . ستحرّر الأفراد من علاقات الإستغلال و الإضطهاد و سيتطوّرون من كلّ الجوانب . لكن هذا سيجرى في إطار تجمّع الناس على نحو جديد كلّيا . و مثلما وضع ذلك بوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، " سيدرك الناس أنّ مصالح الجميع تتحقّق عبر تغيير المجتمع ، لتوسيع مجال الحرّية للجميع ".

و الثورة الشيوعيّة ثورة عالميّة هدفها إلغاء الطبقات على النطاق العالمي . إنّها تهدف إلى إنشاء مجتمع عالمي حقيقي فيه معا الوحدة و التنوّع القائمة على تجاوز كلّ اللامساواة و العلاقات الإضطهادية بين مختلف الشعوب و الأمم ، و التقسيم نفسه للعامل إلى أمم منفصلة . و سيخوّل بلوغ هذا للإنسانيّة التحرّك كراعية حقيقيّة لكوكب الأرض و موارده ، معتنية

ليس بالحاضر و حسب بل بالمستقبل و أجيال المستقبل أيضا . و ستُنشئ الشيوعية مجتمعا عالميّا من الاجتماع و التعاون الحرّين بين البشر . و قد أصاب ماو تسى تونغ حين قال : " عندما تبلغ البشريّة جميعها مرحلة تغيّر فيها نفسها و العالم تغييرا واعيا ، يكون العالم قد دخل عصر الشيوعيّة ." [**" فى الممارسة العمليّة "، مؤلفات ماوتسى تونغ المختارة** ، المجلّد الأوّل ، صفحة 451 – المترجم].

و الآن سبب أساسي لكتابة ماركس ل **" بيان الحزب الشيوعي "** كان توضيح ما الذى سيتطلّبه بلوغ النظرة الشيوعيّة و تحقيق هدفها . حين تقرأون ال**بيان** ، هناك قسم في النهاية حيث ينقد ماركس النظرات الأخرى للإشتراكيّة و الشيوعيّة . أساسا ما يقوله ماركس هنا و في كتابات أخرى هو أنّ الطرق المتنوّعة الأخرى لوضع حدّ للظلم – سواء شملت التذيّل وراء حكّام " مستنيرين " أكثر أو وضع بعض أصحاب النوايا الحسنة يدهم على مقاليد الدولة و تغيير سياساتها ، أو الانسحاب و إنشاء مجموعات شيوعيّة – طوباويّة صغيرة على هامش المجتمع – هذه الطرق الأخرى لن تنفع و لن تفلح لأنّها تترك العلاقات الإقتصاديّة الرأسماليّة و الحكم السياسي الرأسمالي دون مساس .

لا يمكن أن يتمّ تحرير البروليتاريا إلاّ على يد البروليتاريا نفسها . و مثلما جاء في النشيد الشهير ، **نشيد الأمميّة** :
" يـكـفي عـزاء بـالخـيال/عليـنا العـبء لا منــاص/ فـيا عـمّــال للنـضال / ففي يميــنـنا الـخلاص" . و ما قاله ماركس في ال**بيان** و الكتابات السياسيّة التي ستليه هو أنّ البروليتاريا ينبغي أن تنظّم نفسها كطبقة و يجب أن تصبح واعية بمهمّتها ، مهمّة تحرير الإنسانيّة قاطبة . و بالضرورة يجب أن تطيح بالبرجوازيّة و تحطّم جهاز دولتها . و يجب أن تشكّل نفسها كطبقة حاكمة و تركّز دكتاتوريّتها الطبقيّة ضد البرجوازيّة .

دكتاتوريّة البروليتاريا وسيلة لبلوغ المجتمع الخالى من الطبقات . إنّها البروليتاريا وهي تحكم المجتمع و تغيّره . و هذه هي الإشتراكيّة : مرحلة إنتقاليّة بين الرأسماليّة و الشيوعية .

معالم ثلاث لقضيّتنا

لكن البرجوازية تقول إنّه أينما و كلّما تمّت محاولة القيام بهذا ، كانت النتائج كارثيّة . و تقول لنا إنّ هذا هو درس ال150 سنة الماضية . إلاّ أنّ الماركسية – اللينينيّة – الماويّة تستخلص الدرس العكسي . أينما و عندما أنجزت هذه الثورة ، كانت النتائج عميقة و تحريريّة . و التجربة التاريخيّة للقيام بالثورة بإنتصاراتها و هزائمها ، توفّر دروسا حول طريق تحرير الإنسانيّة . و هذا ما أرغب في الحديث عنه الآن .

لقد وُجدت معالم كبرى ثلاث في تاريخ الثورة البروليتاريّة – و كلّ إختراق وفّر نقطة إنطلاق جديدة للإختراق التالى .

جدّ الإختراق الأوّل في فرنسا – كمونة باريس سنة 1871 . فلأوّل مرّة إفتكّت الطبقة العاملة السلطة . و فرّت البرجوازيّة من باريس . و طوال 70 يوما بطوليّا ، كان ينشئ شيء جديد و غير مسبوق أبدا . جرى تركيز حكم الطبقة العاملة . و أدخلت إصلاحات خدمة للشعب . و شرع العمّال في تسيير المدينة تسييرا مباشرا . و كانت النساء في الخطوط الأماميّة لهذه المعركة و التجربة . لكنّ هذه الأخيرة لم تعمّر طويلا إذ تمكّنت البرجوازية من تجميع قواها ثمّ إنقضّت على الكمونة و سحقتها في الدم .

و وقع تعلّم درس حيويّ . مثلما لخّص ماركس نفسه و قد أدمج هذا في مقدّمة الطبعات اللاحقة ل **" بيان الحزب الشيوعي "** ، " الطبقة العاملة لا يمكنها أن تكتفي بالإستيلاء على جهاز الدولة القائم و إستخدامه في غاياتها الخاصة " . لم تدرك البروليتاريا الباريسيّة أهمّية مطاردة العدوّ و سحقه .

و جدّت القفزة الكبرى التالية في روسيا في 1917 . هنا ، شيّد لينين و البلاشفة صرحا على أساس هذه الدروس . و بيّن لينين أيضا الحاجة إلى حزب طليعي لتمكين البروليتاريا من الوعي الثوري و خوض صراع ثوري .

و أرست الثورة البلشفيّة أجهزة سياسيّة و أجهزة إجتماعيّة جديدة للحكم الشعبي . و إعترفت بحقّ تقرير المصير للأمم المضطهَدَة في الإمبراطوريّة الروسيّة القديمة و شكّلت دولة متعدّدة القوميّات و اللغات . و حصلت النساء على حقّ الطلاق و تغييرات أخرى في العلاقات الأسريّة و إلتحقن بحقول كلّ من الإنتاج و السياسة على نحو غير مسبوق . و وفّر الإتحاد السوفياتي الإلهام و الدعم الأممي للحركات الثوريّة عبر العالم قاطبة . و قد أنشأت هذه الثورة أوّل إقتصاد إشتراكي مخطّط في تاريخ الإنسانيّة . و صادرت ملكيّة الطبقات المستغِلّة السابقة و أرست نظام ملكيّة عامة – الدولة . و كان الإنتاج يُنجز على قاعدة مخطّط واعي لتلبية حاجيات المجتمع .

لكن من البداية و بلا هوادة ، كانت الثورة تواجه ظروفا صعبة لا تصدّق . فقد غزت الإمبرياليّة البلاد بُعيد تشكيل دولة البروليتاريا . و وُجد حصار إمبريالي دائم . و في نهاية المطاف ، واجهت الدولة العمّاليّة الشابة القسم الأساسي لآلة الحرب النازيّة .

طوال 40 سنة ، وقع الدفاع عن الإشتراكية إلاّ أنّه بعد ذلك هُزمت الإشتراكية في الإتحاد السوفياتي نتيجة منتهى الضغط من الخارج و التداعى الداخلي المتنامي . في أواسط خمسينات القرن العشرين ، إستولت طبقة راسماليّة جديدة على السلطة عقب وفاة ستالين .

و التقدّم الكبير التالى في قضيّة الثورة البروليتاريّة حدث في الصين في 1949 . إنتصرت حرب ثوريّة طويلة الأمد بقيادة الطبقة العاملة و حزبها الشيوعي و على رأسه ماو تسى تونغ . فحرّرت الثورة الصينيّة رُبع الإنسانيّة من الإستغلال . فكّروا في هذا : مثّل الإصلاح الزراعي المنجز في الصين أكبر نقل ضخم للثروة من الأغنياء إلى الفقراء في تاريخ الإنسانيّة .

و قد لخّص ماو تسى تونغ دروس التجربة الإشتراكيّة السوفياتيّة و إعادة تركيز الرأسماليّة . و بالرغم من المكاسب العظيمة ، وقع الثوريّون السوفيات أيضا في أخطاء ، إذ لم تفهم أشياء معيّنة بصدد طبيعة المجتمع الإشتراكي فهما جيّدا .

و حلّل ماو دلالة مخلّفات المجتمع الرأسمالي داخل المجتمع الإشتراكي . فهذه المخلّفات هي أشياء من مثل واقع أنّ بعض الناس ينخرطون أساسا في العمل الفكري بينما يقوم آخرون أساسا بالعمل اليدوي ، و واقع أنّ مسؤوليّات الإدارة و القيادة ليست بعدُ موزّعة بشكل عادل ؛ و لا تزال هناك لامساواة بين المدن و الأرياف و بين المناطق ، و بين النساء و الرجال ؛ و إختلاف في الدخل ؛ و المال و الإنتاج السلعي يتواصل لعبهما دورا هاما في ظلّ الإشتراكية .

لا يمكن إلغاء هذه الأشياء بين ليلة و ضحاها . لكن يجب أن تتمّ محاصرتها و يتمّ تقليصها و تغييرها كما يجب قتال الإيديولوجيا التي تتناسب معها . لكن طالما وُجدت هذه الظواهر فإنّها ستولّد قوى طبقيّة برجوازيّة ستبحث عن صياغة المجتمع حسب مصالحها الطبقيّة . و قال ماو إنّ الإشتراكيّة مرحلة طويلة من الصراع بين الطريق الرأسمالي و الطريق الإشتراكي ، بين الطبقات الإجتماعيّة العدائيّة و أنّ مسألة من سيكسب و متى مسألة لم تحسم بعدُ .

و كذلك حلّل ماو نقاط ضعف المقاربة السوفياتيّة لبناء الإشتراكيّة . فقد وُجد تشديد مبالغ فيه على بناء صناعة ثقيلة فحسب. و أيضا وُجد تشديد مغالى فيه على القبول بالطرق الرأسماليّة في تنظيم الأشياء و لم يحصل تغيير كافى في العلاقات في صفوف الناس . فعلى سبيل المثال ، في الإتّحاد السوفياتي ، ظلّت المصانع تعمل بنظام إدارة الرجل الواحد . و جرى التعويل أكثر من اللازم على الخبراء و لم يجرى التعويل على الجماهير في معالجة المشاكل . و لخّص ماو أنّه لو توجّه عناية كافية إلى " القطيعة الراديكاليّة الثانية " – تغيير نظرة الناس إلى العالم و النضال حول القضايا الإيديولوجيّة .

و مسألة ذات أهمّية تاريخيّة حيويّة هي أنّ الثوريين السوفيات لم يعثروا على طريقة قتال محاولات القوى البرجوازيّة الجديدة ، لا سيما الموجودة صلب الحزب ، لإعادة تركيز الرأسماليّة . لكن ماو ، إلى جانب الجماهير ، إكتشف هذه الطريقة و هذه الوسيلة : الثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى .

إنطلقت الثورة الثقافيّة في 1966 و إنتهت في 1976 . وهي المعلَم الثالث في تاريخ الثورة البروليتاريّة العالميّة . هي قمّة ما إستطاعت البروليتاريا إنجازه . و يتساءل الناس " أهناك شيئا ملموسا و ذات معنى بوسعكم قوله عن كيف ستسيّر البروليتاريا المجتمع ؟ " . نعم لدينا ما نقوله .

الثورة الثقافيّة تكتسح أرضا جديدة

لقد كانت الثورة الثقافيّة ثورة داخل الثورة : صراعا طبقيّا في ظلّ الإشتراكيّة مخاض صراحة لمنع إعادة تركيز الرأسماليّة و خيانة الثورة . في ظلّ قيادة ماو تسى تونغ و أنصاره داخل الحزب الشيوعي الصيني ، نهضت الجماهير لتطيح بالقوى الرأسماليّة الجديدة التي ظهرت صلب ذات هياكل و مؤسّسات المجتمع الإشتراكي ، و التي كان مركز قوّتها صلب الحزب الشيوعي ذاته .

كانت هذه الثورة الثورة الأعمق والأشمل في تاريخ العالم. لقد جسّدت تجسيدا حيّا ما تعنيه جملة ماركس" إقتحام السماء ". و شهدت الثورة الثقافية الشباب في نقاش ملتهب بشأن ما يجرى في المجتمع . و شهدت العمّال من المدن الكبرى

يحتشدون ببطولة لإسترجاع السلطة من نخب متخندقة ، أثناء سيرورات معقّدة من صياغة أشكال حكم بروليتاريّة جديدة أكثر راديكاليّة و شعبيّة .

و في أثناء الثورة الثقافية ، تفجّر روتين الحياة اليوميّة و بكثافة إنخرط الناس من كلّ مجالات الحياة في نقاش واسع النطاق – حول الاقتصاد السياسي و حول النظام التعليمي و حول العلاقات بين الحزب الشيوعي و الجماهير . و لم يُستثنى و لا موظّف رسمي من النقد . كان الناس العاديّون يتصارعون مع العلماء و الإداريين حول عجرفتهم و أفكارهم المسبّقة .

و كان الفلاّحون يناقشون كيف أنّ القيم الكنفيشيوسيّة للنظام الأبوي / البطرياركي و العبوديّة لا تزال تؤثّر في حياتهم . في الصين الثوريّة ، كانت " خدمة الشعب " – كيف تساهم حياتى في تلبية حاجيات المجتمع و الثورة العالميّة – معيارا إيديولوجيّا وفقه كان عشرات ملايين الناس يقيّمون أنفسهم و الآخرين .

خلال الثورة الثقافيّة ، نُظّمت حملات للنشر الشعبي لبعض المفاهيم الماركسيّة . و من المفاهيم التي تمّت دراستها على نطاق واسع مفهوما من عمل لماركس [" **صراع الطبقات فى فرنسا من 1848 إلى 1850**" - المترجم] يقول إنّ الشيوعيّة : " إعلان للثورة المستمرّة ، الدكتاتورية الطبقية للبروليتاريا كنقطة ضرورية للقضاء على كلّ الإختلافات الطبقية ، و للقضاء على كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها و للقضاء على كلّ العلاقات الإجتماعية التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و للقضاء على كلّ الأفكار الناجمة عن علاقات الإنتاج هذه ".

و يسمّى الماويّون هذا ب " الكلّ الأربعة " . و هذا يفيد أنّ الثورة لا تقف في نصف الطريق . تظلّ البروليتاريا تقوم بالثورة لتثوير كلّ الأنظمة و كلّ العلاقات و كلّ المؤسّسات و كلّ الأفكار التي تجسّد و تعزّز الإنقسام الطبقي .

و ماذا يعنى هذا بالملموس ؟ لنأخذ مسألة علاقات الإنتاج . أثناء الثورة الثقافيّة ، جرى تثوير إدارة الصناعة و المصانع . و تمّ نقد ضوابط العمل الإضطهاديّة التي باسم الإنتاجيّة و الإنضباط كانت تحدّ من مبادرة العمّال و تمّ التخلّص منها . و محلّ نظام إدارة الرجل الواحد حلّ نظام إداري جماعي . و أمضى العمّال وقتا في النهوض بالمهام الإداريّة و أمضى الإداريّون وقتا في العمل في محلّ الإنتاج . و حلّل التقنيّون و عمّال الإنتاج المشاكل معا و تطوّرت فرق تقنيّة من ضمن العمّال . و تداول العمّال المهام في العمل كجزء من جهود الإطاحة بالروتين و التخصّص المبالغ فيه . و كان أسمى الإداريين يحصلون على أجور تساوى خمسة مرّات فقط أجور العمّال الذين لا مؤهّلات لهم . قارنوا هذا بالقادة التنفيذيين في الولايات المتحدة الذين يحصلون على أجور تساوى 150 مرّة أجور العمّال .

و تعاونت المصانع مع الجماعات المحلّية و بعثت مندوبين إلى الريف . و كان هذا وسيلة ملموسة لكسر الإختلافات بين المدن و الأرياف . و كانت الحياة في أماكن الشغل أكثر من أماكن إنتاج ، فقد وُجد الشعار الذى رفعه أنصار ماو خلال الثورة الثقافيّة و كان يقول " المصانع لا تصنع فقط منتوجات بل هي تصنع أيضا الناس " . و أدخلت في المصانع النقاشات و الجدالات السياسيّة و الثقافة و التعليم إلى جانب العمل .

العلاقات الإجتماعيّة جزء آخر من " الكلّ الأربعة " . أنظروا إلى الثورة و المؤسّسات في النظام التعليمي . حينها ، صار العمّال و الفلاّحون مسجّلين في الجامعات بأعداد كبيرة ؛ و وقع تعديل البرنامج القديم ليتناسب و حاجيات بناء مجتمع مساواة ؛ و جرى التخلّص من الإمتحان التنافسي التقليدي و أنظمة التدرّج ؛ و جرى نقد مناهج التعليم الأوتوقراطيّة ؛ و بات من المنتظر من الأساتذة أن يتعلّموا من الطلبة ؛ و وجّهت دعوات للعمّال و الفلاّحين للحضور في الجامعات و إلقاء المحاضرات في الأقسام . و ربط النظام التعليمي الجديد الدراسة بالعمل اليدوي . و قبل مضيّ الطلبة إلى مؤسّسات تعليميّة من مستوى عالى ، كانوا يقضّون سنة أو سنتين في صفوف العمّال و الفلاّحين و ترشّحهم الجماهير للقبول بهم في الجامعات ، و مقياسا هاما هو نيّتهم خدمة الشعب .

التغيّرات كانت عميقة بيد أنّها لم تكن يسيرة التحقيق . و تعرّضت للهجوم . كلّ هذا تمّ بفضل النضال و تحقّق كجزء من الصراع الطبقي في المجتمع الصيني . و كان محور هذا الصراع من سيُحدّد توجّه المجتمع و في نهاية المطاف ، من سيسيّر المجتمع – البروليتاريا أم البرجوازيّة الجديدة . و إشتدّ هذا الصراع في سبعينات القرن العشرين و كان للوضع العالمي تأثير كبير على مآل الصراع الطبقي في الصين . فقد خاضت القوى الثوريّة نضالا شرسا و بطوليّا للدفاع عن حكم البروليتاريا . غير أنّ أتباع الطريق الرأسمالي و على رأسهم دنك سياو بينغ تمكّنوا من مراكمة قوّة لتنظيم إنقلاب عسكري . و أطاحوا بسلطة الطبقة العاملة في 1976 .

<u>إمتلاك أفق تاريخي</u>

ثلاث مرّات – أوّلا ، في باريس ثمّ في الإتحاد السوفياتي و تاليا في الصين – إقتحمت البروليتاريا السماء . مرّتان في هذا القرن العشرين ، حقّقت البروليتاريا العالميّة عمليّا إختراقا و شرعت في سيرورة حكم المجتمع و بناء عالم جديد – طوال 30 سنة في الإتّحاد السوفياتي و طوال أكثر من 25 سنة في الصين . لكن في كلّ مرّة ، تهُزم الثورة . لم " تفشل " بل **مُنيت بالهزيمة** . و أتت هذه الهزائم التي منيت بها البروليتاريا على يد العدوّ الطبقي و النظام العالمي العدّو .

و جدّت كلّ واحدة من هذه المحاولات لبناء نوع جديد من المجتمع في بلد تحاصره و تضغط عليه قوى معادية . و لا يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ ، فقد جدّت في عالم فيه نمط / أسلوب الإنتاج الرأسمالي و أفكاره و نظرته إلى العالم لا تزال مهيمنين . و من هذا نستخلص درسا هاما . مصير أيّة ثورة فرديّة مرتبط في نهاية المطاف بما إذا كانت الثورة العالميّة تتقدّم أم لا . و هذا يعنى حيثما تحقّق الجماهير إختراقات لتفتكّ السلطة و تبنى الإشتراكيّة ، يجب على المجتمع الجديد أوّلا و قبل كلّ شيء أن يكون قاعدة إرتكاز لتقدّم الثورة العالميّة .

خلال جولات ثلاث ، كانت البروليتاريا في السلطة . لكنّها لم تعد إلى نقطة الإنطلاق لأنّ البروليتاريا قد تعلّمت من هذه التجارب . فقد تعلّمت ما يعنيه الحكم و ما تعنيه إعادة تشكيل المجتمع برمّته . و قد عمّقت فهمها للسيرورة الثوريّة و الماركسية – اللينينيّة – الماويّة تلخّص هذا . هناك الذين يقولون إنّ ماركس على حقّ في تحليله للرأسماليّة لكنّه كان مخطئا في كيف ستقود البروليتاريا ثورة تحرّريّة بيد أنّ البروليتاريا في هذه 150 سنة ، قد بيّنت أنّها الطبقة الوحيدة القادرة على تثوير المجتمع .

و من المهمّ إمتلاك أفق تاريخي . و المقصود هنا هو نضال تاريخي – عالمي بين نظام جديد صاعد ، الشيوعية و نظام قديم و متداعى ، الرأسماليّة – الإمبريالية – الشكل الأخير و الأكمل للإنتاج الاجتماعي القائم على العداء الاجتماعي . صحيح أنّ النظام القديم تماسك لمدّة أطول ممّا توقّع ماركس . لكنّه لم يصبح بتاتا حميدا و لطيفا . نعيش اليوم في عالم ما كان قبل أبدا أشدّ إستقطابا بين من يملكون و من لا يملكون ، عالم ينفصل فيه الناس عن بعضهم البعض و عن إبداعهم . إنّه عالم تستعبد فيه التكنولوجيا الناس و لا تحرّرهم . هذا النظام حقّا نظام فات أوانه . ظروف البؤس تدفع الجماهير إلى النهوض و النضال . و الثورة البروليتارية وحدها بوسعها معالجة تناقضات هذا النظام و السماح للإنسانيّة بالتقدّم أبعد من هذه المرحلة العنيفة من التاريخ .

لكن ما تعلّمناه هو أنّ القضاء على هذا النظام سيتطلّب نضالا طويل الأمد و معقّدا ، عصرا كاملا . و قد تعلّمنا أيضا أنّ الثورة البروليتاريّة العالميّة ستستغرق وقتا أطول و تمرّ عبر منعرجات عديدة أكثر ممّا توقّعه ماركس . إلاّ أنّه علينا أن نتذكّر أنّ البرجوازيّة إستغرقت أربعة قرون – منذ زمن بدايات البرجوازية في المدن الدول الإيطاليّة – قبل أن تعزّز في النهاية حكمها . بطبيعة الحال ، كانوا يناضلون من أجل نظام إستغلال جديد . و الثورة البروليتاريّة لا تشبه أي جهد إنساني سابق . لذا لا ينبغي أن نيأس إن تعرّضت ثورتنا للصعوبات و الهزائم .

و ها نحن في منعرج الألفيّة الجديدة . و ترغب البرجوازيّة في أن نخفض أنظارنا . يريدون منّا أن نعتقد بأنّه لا بديل للرأسماليّة ، لا مستقبل أبعد من الرأسماليّة . لكن لدينا هذه التجربة التاريخيّة في بناء عالم مغاير . و الشيوعيّة لا تزال تنبض حياة وهي موجودة وجودا جيّدا في عالم اليوم . فهناك الحركة الأممية الثوريّة (RIM) التي توحّد القوى الماركسية – اللينينيّة – الماويّة عبر العالم . و هناك حرب الشعب في البيرو و النيبال بقيادة أحزاب منتمية إلى الحركة الأمميّة الثوريّة . و في الفليبين ، هناك حرب شعب ماويّة . و هنا بالذات في " قلب الغول " ثمّة حزب طليعي يعمل في صفوف الجماهير و يعدّ الأرضيّة للثورة .

و قد كتب بوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، في غرّة ماي من السنة الفارطة : " إن كان بوسعكم أن ترتؤوا عالما دون إمبريالية و إستغلال و إضطهاد ، كيف يمكنكم ألاّ تشعروا بالإندفاع إلى المشاركة النشيطة في النضال العالمي – التاريخي لتحقيق ذلك ؟ "

الإخوة و الأخوات ، لا يزال " **بيان الحزب الشيوعي** " صحيحا و لا يزال خطيرا و لا يزال أمل من لا أمل لهم .

الفصل الثانى :

حول " الإمبراطوريّة " : الشيوعية الثوريّة أم " الشيوعية " دون ثورة ؟

ك. ج. أي

مجلّة " عالم نربحه " عدد 32 / 2006

http://www.bannedthought.net/International/RIM/AWTW/2006-32/AWTW-32-2006-compressed.pdf

---

- " **الإمبراطوريّة** " - مايكل هاردت و أنطونيو نغرى ، منشورات جامعة هارفارد ، كمبريدج ، ماساشوستس2000 .
- " **الحشد** " - مايكل هاردت و أنطونيو نغرى ، منشورات بنغوين ، نيويورك ، 2004 .
- " **نقاش الإمبراطوريّة** " – الناشر غوبال بلاكريشنام ، فرسو ، لندن ، 2003.

نادرا ما دحضت تطوّرات الحياة نفسها الأطروحة الجوهريّة لكتاب بسرعة و عمق كبيرين مثلما فعلت مع كتاب أنطونيو نغرى و مايكل هاردت ، " **الإمبراطوريّة** " ، فبعد كلّ شيء رسم ناغرى و هاردت صورة لعالم فيه تمّ تجاوز الإمبريالية من قبل نظام عالمي جديد ، نظامهما العالمي الجديد الذى يحيلان عليه بكلمة " الإمبراطوريّة " . و لكن لم يمرّ وقت طويل على مباركة نغرى و هاردت لهذا النظام " الإمبراطوري " الجديد حتّى أعادت المظاهر الإمبريالية المعروفة ، و الإمبريالية الأمريكيّة بوجه خاص ، تأكيد ذاتها بشكل شديد و عنيف للغاية . و إثر تفجير حرب العراق الكثير من المقدّمات المنطقيّة ل " **الإمبراطوريّة** " ، نشر نغرى و هاردت تتمّة تحت عنوان " **الحشد** " حاولا فيها معالجة بعض قضايا عالم ما بعد 11 سبتمبر ، لكن دون أن يعيدا حقّا تفحّص أطروحاتهما المركزيّة .

لماذا إذن جذب هذان الكتابان جمهورا كبيرا ؟ (1) يزعم نغرى و هاردت أنّهما إكتشفا تغيّرا جوهريّا في المجتمع و لشرح رؤاهما يقيمان مروحة عريضة من الأمثلة ذات المظاهر المختلفة من الحياة الإجتماعيّة و المجتمع الإنساني . و يقولان إنّ المرحلة الجديدة التي يطلقان عليها تسمية " الإمبراطوريّة " مجتمع في مرحلة إنتقاليّة يمضى **بعيدا** عن النظام الإمبريالي . و بالخصوص ، يتفحّص المؤلّفان شتّى مظاهر ما صار معتبرا دليلا على كيف أنّ العالم يتقدّم نحو الشيوعيّة – نحو إضمحلال الدولة – الأمّة و ستكون الإنسانيّة منظّمة لذاتها و مسيّرة لشؤونها .

و يعبّر المؤلّفان عن مشاعر الملايين بوجود الظروف التي تخوّل للإنسانيّة المضيّ قدما إلى مكان مختلف ، حيث لا يحتاج المجتمع إلى أن يكون منظّما وفق مبادئ رأسماليّة للجشع و القرصنة . و يكثّف هذا في خاتمة كتاب " **الحشد** " : " بوسعنا بعدُ أن نعترف بأنّ الزمن اليوم منقسم بين حاضر هو بعدُ ميّت و مستقبل بعدُ ينبض حياة . و البون الشاسع بينهما يغدو هائلا ". تعيد إمكانيّة تنظيم مجتمع إنساني على أساس مغاير تماما تأكيد ذاتها بإستمرار ، و هذه الإمكانيّة تجد التعبير عنها ليس في التطلّعات و النضالات السياسيّة فحسب و إنّما أيضا في كلّ مجال من مجالات الحياة الإجتماعيّة (الفنّ و الثقافة و مناهج البحث العلمي و الفلسفة و هلمّجرّا .) النضال من أجل الشيوعية حقيقي على أنّه ممكن بوعي متفاوت . و قد أشار لينين إلى هذا على أنّه الشيوعيّة تنبثق من آلاف المسام . و لا غرابة نظرا لكون نغرى و هاردت يحاولان التعبير عن هذه النزعة ، في أن يجد عمليهما بعض الصدى .

والمشكل مع هذه الصورة هو أنّ المجتمع ليس بوسعه عفويّا أن يتغيّر من مجتمع اليوم الطبقي إلى مجتمع الغد الشيوعي. أولئك الذين يوجدون راهنا في أعلى هرم المجتمع الإنساني يفعلون و سيفعلون ما بوسعهم بما في ذلك إطلاق حمّام دم جماهيري للحفاظ على النظام الرأسمالي القائم .

و يخفق كتاب " **الإمبراطوريّة** " في أن يضع في مركز المرحلة الحاجة إلى تحطيم ما يقول إنّه " بعدُ ميّت " – الإمبريالية و الرجعيّة و تمظهراتها الإيديولوجيّة – تحطيما و قبرا نهائيّا . و ينتهى المؤلّفان غالبا إلى تبرير العالم و مدحه ليس كما يمكن أن يكون لكن كما " نعيشه بعدُ " – و الذى لا يزال في الواقع تعرقله و تميّزه الملكيّة الخاصّة و الإنقسامات الطبقيّة و الفرق بين البلدان المضطهِدة و المضطهَدة و كافة الفظائع و الظلم في النظام الاجتماعي المعاصر . بإختصار ، يريدان شيوعيّة دون صعوبات و تضحيات و لا يريدان يقينيّات ثوريّة . و سنرى لاحقا أنّ نظرة نغرى و هاردت للشيوعية لا تتخطّى حقّا حدود النظام القائم ، و لعلّ هذا هو سبب إستعدادهما لإطلاق صيحة الإنتصار مع أنّ المعركة لم تُخض بعدُ .

سنرى أنّ في جميع المجالات ، نظرة نغرى و هاردت تتّسم بتقديس للعفويّة و إعتقاد بأنّ السيرورات الإجتماعيّة ستؤدّى بحدّ ذاتها إلى نتائج مواتية ، و هكذا يستهينان بدور الشعب كعامل واعي في إعادة توجيه التطوّر الإجتماعي . و بالفعل ، البناء النظري لنغرى و هاردت في حدّ ذاته درسٌ في العفويّة : إنّه يمثّل التذيّل للتيّارات الفكريّة لعديد العقود الأخيرة . و يعانق المؤلّفان بالخصوص كتابات ما بعد الحداثة المتنوّعة و ينهلان كثيرا من مفاهيمها و مفرداتها . و بإستمرار يحيل نغرى وهاردت على العالم المعاصر على أنّه " ما بعد الحداثة " غير أنّهما لا يريدان تصنيف أنفسهما ك" مابعد حداثيين".كتب المؤلّفان أنّه " رغم أنّهم [يقصدان ما بعد الحداثيّين ـ المرتجم] بصفة مرتبكة أو غير واعية يشيرون إلى المرور إلى تشكّل الإمبراطوريّة " . و يتّخذ نغرى و هاردت ما يعتبرانه عملا مرتبكا و غير واعي لدى ما بعد الحداثيين أساسا لبناء نظامهما الإيديولوجي .

ينبغي أن تكون ماركسيّة القرن الواحد و العشرين منتبهة إلى جميع إكتشافات المجتمع المعاصر و نقاشاته (بالضبط مثلما كان ماركس و إنجلز يطوّران إيديولوجيا البروليتاريا في القرن التاسع عشر) . ينبغي على الماركسيّة أن تخوض في ما هو خاطئ و تفكّكه و تنقده و أن تستوعب كلّ مظاهر ما هو صحيح من المصادر الأكثر تنوّعا . لكن نغرى و هاردت يقومان بشيء مغاير تماما . إنّهما يجعلان " إرتباك " ما بعد الحداثة أكثر وعيا و منهجيّة و يحاججان بأنّ الإيديولوجيا الجديدة تتناسب مع التغيّرات الماديّة في طريقة تنظيم المجتمع – الذى يسمّونه " الإمبراطوريّة " .

I- الإمبريالية أم " الإمبراطوريّة " ؟

في هذه اللاقراءة النقديّة لن نسعى إلى التعليق على كلّ المروحة العريضة من المواضيع التي تناولها كتاب " **الإمبراطوريّة** " بالبحث أو إلى تتبّع إلتواءات المؤلّفان العديدة و المثيرة للتفكير عادة . بالأحرى ، سنسعى إلى التركيز على الأطروحات الأساسيّة " للإمبراطوريّة " . و سنترك لغيرنا الإنكباب على عديد الحجج الفلسفيّة و الثقافيّة في الكتاب إيّاه . و هنا سنتطرّق فقط إلى الحجج التي من غير الممكن تجنّبها في نقاش فهم نغرى و هاردت للنظام الاقتصادي ـ الاجتماعي العالمي المعاصر .

و الأطروحة المركزيّة ل" **الإمبراطوريّة** " هي أنّ الرأسماليّة ولجت مرحلة جديدة ، أبعد من الإمبرياليّة ، لم يعد فيها التحليل الأساسي للينين للمرحلة الإمبرياليّة صالحا . و بصورة خاصة ، تداعت أهمّية دور الدولة ـ الأمّة تداعيا مهولا ، حسب وجهة نظر المؤلّفان ، " الإمبراطوريّة هي العالم بعدما فرضت الإمبرياليّة تماما العلاقات الرأسماليّة عبر الكوكب ، بكافة مناطقه و جهاته . و قد ربطت سيرورات الإنتاج و الاتصالات معا العالم بأسره على نحو لم يكن من الممكن تصوّره سابقا . و تظهر أشكال جديدة من العمل و عنها تنتج تغيّرات طبقيّة جديدة . و قد شهدت أرياف العالم تغيّرات كبرى . "

الكثير ممّا ذكر أعلاه صحيح طبعا . فقد شهد العالم تغيّرا كبيرا في النصف الثاني من القرن العشرين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية و العقود الثلاثة منذ وفاة ماو تسى تونغ . و منذ إنهيار الإتحاد السوفياتي (الذى لا يجب أبدا أن ننسى أنّه تحوّل إلى بلد إمبريالي يسير حسب قوانين الإمبريالية شأنه في ذلك شأن كافة البلدان الإمبريالية الأخرى) ، فسح التنافس بين القوى الرأسماليّة و الإندفاع نحو الحرب ، فسح المجال لنزعة الإمبرياليين نحو شكل من " إتفاق بناء أخوّة لصوصيّة" (مستعرينين وصفا إستخدمه ماركس في " **رأس المال"**) فيه مصالحهم الخاصة و المتناقضة ترتبط في الوقت الحاضر بحاجتهم جميعا إلى الحفاظ على ظروف هذه اللصوصيّة و حمايتها.

و يحاجج المؤلّفان بأنّ " ما كان عادة نزاعا أو تنافسا في صفوف القوى الإمبرياليّة المتعدّدة ، في مظاهر هامة ، قد وقع تعويضه بفكرة قوّة واحدة تهيمن عليهم جميعا ـ تهيكلهم جميعا بطريقة توحيديّة و تتعاطى معهم في ظلّ مفهوم الحق الذى هو تحديدا ما بعد إستعماري و ما بعد إمبريالي . هذه هي حقّا نقطة إنطلاق دراستنا للإمبراطوريّة . مفهوم جديد للحقّ ، أو بالأحرى ، صياغة جديدة للسلطة و رسم جديد لضوابط الإنتاج و أدوات جديدة للقسر تضمن التضييق على الخلافات و تعالجها " (2)، و" الإمبراطوريّة ليست صدى ضعيفا للإمبرياليّة المعاصرة و إنّما هي جوهريّا شكل جديد للحكم " . (3) و يحاجج المؤلّفان أنّه ليس للنظام الإمبريالي الراهن مركزا أو مراكزا . بالنسبة لهما هو نظام يشمل الآن العالم برمّته و " بسلاسة " و يمحو كافة الإختلافات في طريقته . عموما ، لا تعتبر الإمبراطوريّة شكلا أوّليّا من الرأسماليّة يتجاوز الإمبرياليّة فقط ، بل هي كذلك تقدّما تاريخيّا نسبة إلى المرحلة الإمبرياليّة السابقة : " حكمنا أنّ الإمبراطوريّة أقلّ سوءا أو أفضل من الوضع السابق من وجهة نظر الحشد ".(4)

و يدافع المؤلّفان عن أنّ السيادة قد صارت " غير محدّدة في منطقة " . و بهذا يقصدان أنّ نظام الحكم و السيطرة لم يعد رهين تشكيلة قوميّة معيّنة أو نظام دولة معيّن . هنا ، كما في مواقع أخرى ، يأخذان ظواهرا حقيقيّة مثل تصاعد الهجرة

و سيولة رأس المال و تطوّر المؤسّسات العالميّة كالأمم المتّحدة إلخ بيد أنّهما لا يقرّان بأنّ هذه المظاهر تنمو في إطار هيكلة عالميّة تهيمن عليها الدول ـ الأمم الإمبرياليّة . " قد **يبدو** كما لو أنّ الأمم المتّحدة صارت روما جديدة ... [لكن] أي مفهوم مناطقي مماثل للمجال الإمبراطوري ، مع ذلك ، تقوّضه بإستمرار المرونة و الحركيّة و عدم الإنحصار في منطقة في جوهر الجهاز الإمبريالي " . (5) إلاّ أنّ ما " يبدو " هو كذلك ، في هذه الحال على الأقلّ ، ما هو موجود . و لنستشهد بأحد مراجعى كتاب المؤلّفان إيّاهما وهو يقول " إنّ الأمم المتّحدة القائمة حاليّا تهدّد طول الوقت بالخروج من صفحات الإمبراطوريّة كالوجه أثناء الكابوس ، و يجب على الدوام قمعه ".(6)

و في حين أنّ المؤلّفان لا يسعيان إلى تقديم الحجّة السخيفة بأنّ الولايات المتّحدة كانت حرّة تماما من الإمبرياليّة ، فإنّهما يحاججان بأنّ الإمبرياليّة " كانت بالأساس ظاهرة أوروبيّة " – في تعارض مع نظرة لينين بأنّ الإمبرياليّة ظهرت أساسا نتيجة سيرورة نموّ و تركّز رأس المال و تحوّله إلى رأس مال إحتكاري . (7) و بطبيعة الحال ، قد إعتبر لينين دائما الولايات المتحدة بلدا إمبرياليّا و لم يسقط أبدا في خطإ المحاججة بذلك لأنّ الولايات المتّحدة كانت تملك أقلّ مستعمرات بكثير و بالتالى هي أقلّ " إمبرياليّة " من بريطانيا أو فرنسا على سبيل المثال . و منذ الحرب العالميّة الثانية ، مُنحت البلدان المستعمَرة سابقا إستقلالا شكليّا غير أنّها ظلّت مستعبدة من قبل النظام الإمبريالي العالمي ، في شكل مستعمرات جديدة . و يعرف الملايين عبر العالم معرفة جيّدة أنّ الإمبرياليّة الأمريكيّة حقيقيّة جدّا و تماما .

برأي نغرى و هاردت ، القوّة المحرّكة لتطوّر الأمم المتّحدة ليست المنطق الرأسمالي ، الإكراه الذى لا هوادة فيه للتوسّع و إعادة الإنتاج على نطاق مشتدّ أبدا . بدلا من ذلك ، يعتقدون أنّ ديناميكيّتها تشرحها المظاهر الخاصة للولايات المتحدة المرتبطة بتاريخ توسّعها غربا عبر شمال القارة الأمريكيّة إنطلاقا من جذورها على الساحل الأطلسي . يحاججان بأنّ " النزعة الديمقراطيّة التوسّعيّة الكامنة في مفهوم شبكة السلطة يجب أن نميّزها عن الأشكال الأخرى من التوسّع المحض و الإمبريالي ". (8)

و يمضى المؤلّفان ليكيلا المديح لإيديولوجيا وودرو ولسن ، إيديولوجيا السلام العالمي على أنّها إمتداد للمفهوم الدستوري " لشبكة القوّة " و يقارنونه بصفة خاصة بالنزعات " الإمبرياليّة : التي يمثّلها تيودور روزفالت (9) . ما مدى الأهمّية التي يتعيّن علينا إيلاءها إلى الصورة الخاصة التي سعى من خلالها ولسن إلى تجميل مصالح الإمبريالية الأمريكية عند الإلتحاق بالحرب العالمية الأولى ؟ و بالفعل يصدر نغرى و هاردت الكثير من التودّد للولايات المتحدة و يوليان أهمّية كبرى إلى ما يقوله حكّامها عن أنفسهم . و لعلّه يجدر بنا أن نذكّر نغرى و هاردت بأنّ التبرير الديماغوجي الإمبريالي لجرائمها بارد كبرودة الإمبريالية نفسها . و قد حاول البلجيكيّون تبرير إستحواذهم العنيف على الكنغو في أواخر القرن التاسع عشر على أنّه قتال ضد العبوديّة العربيّة ! و إرتأت اليابان تحرير آسيا من حكم الأوروبيين تحت يافطة آسيا للآسيويين إلخ . و يذكّرنا هذا بموقف ماركس القائل بأنّه " فيما يستطيع كلّ بقّال ، في الحياة العاديّة ، أن يميّز جيّدا بين ما يزعم أيّ إمرئ أنّها حقيقة و بين حقيقة هذا المرء الفعليّة ، فإنّ مؤرّخينا لم يكتسبوا بعد هذه البصيرة المبتذلة ، إنّهم يصدّقون مزاعم كلّ عصر عن نفسه ، و الأوهام التي يصنعها عن ذاته. " (10)

و بالنسبة لنغرى و هاردت ، المسار المديد للولايات المتّحدة نحو الهيمنة العالميّة **ليس** شيئا كامنا في النظام الرأسمالي ذاته و ليس بالأساس نفس الذى دفع بريطانيا و فرنسا و ألمانيا أو الإتحاد السوفياتي ، بما أنّ كلّ واحدة من هذه الدول سعت بدورها إلى تركيز إمبراطوريّتها الإمبرياليّة الخاصة. و يسحبنا المؤلّفان إلى لا أرض أبدا فيها لم تعد الإمبريالية الأمريكيّة موجودة ، و فعلا لم توجد قط و كلّيا حيث لم تكن حرب الفتنام حدثا محدّدا لفترة كاملة من العلاقات العالميّة في ستّينات القرن العشرين بل إنحراف و " الفجوة الأخيرة " للإمبرياليّة من النمط الأوروبي إنزلقت إليها نوعا ما الولايات المتّحدة " عندما ضاعت أبعد من ما يمكن عن مشروعها الدستوري الأصلي "(11).

و الإستنتاج هو أنّ " الإمبراطوريّة الآتية ليست أمريكيّة و الولايات المتحدة ليست محورها . و المبدأ الجوهري للإمبراطوريّة مثلما وضّحنا على طول هذا الكتاب هو أنّ قوّتها ليس لها منطقة أو مركز محدّدين " (12) . و زمن هذه القراءة النقديّة ، في 2006، عندما كانت الولايات المتحدة تشنّ هجوما عالميّا متصاعدا ، منذ 11 سبتمبر 2001 ، مثّل هذا الوصف يبدو تقريبا سخيفا . و في الواقع ، للنظام العالمي مركز ، أو عمليّا عدّة مراكز ، و ضمنها الولايات المتّحدة هي المهيمنة عموما. أكيد أنّ مؤسّسات عالميّة جديدة قد ظهرت وهي إلى درجة معيّنة تستطيع أن توفّر نوعا من " الحكم" لعالم فيه القوى الإمبريالية المتنوّعة تتعاون و إلى درجة معيّنة " تتوسّط " في النزاعات بين الدول الإمبريالية و الطبقات الحاكمة المحلّية للبلدان التي تتغذّى على حسابها و تهيمن عليها . لكن بداية ينبغي أن نشير إلى أنّ هذه المؤسّسات لا تمثّل بتاتا إنتقالا إلى عالم دون دول بل بالأحرى هي تخدم صيانة و تقدّم النظام العالمي القائم و علاقات الهيمنة التي نشاهدها حولنا . و فضلا عن ذلك ، سجّلت الأحداث حدود أي من هذه المؤسّسات في تخطّى سيادة الولايات المتحدة ذاتها .

يعير نغرى و هاردت إنتباها كبيرا للأمم المتحدة . و فعلا ، يشرعون في محاججتهما بتحليل أنّ الأمم المتحدّة " ليست هدفا في حدّ ذاتها بل رافعة تاريخيّة حقيقيّة دفعت إلى الأمام الإنتقال إلى نظام عالمي بصورة صحيحة " (13) . و من الأكيد أنّه يمكن قول إنّ العالم **يحتاج** إلى مؤسّسات يمكن أن تأخذ بعين الإعتبار حاجيات الإنسانيّة ككلّ . و يمكن رؤية هذا في الحاجة إلى إدارة معقولة و حماية الموارد الطبيعيّة كالصيد و التنوّع البيئي أو حتّى الحاجة الأبرز لمنح الموارد الإنسانيّة على أساس الحاجيات مثلما هو الحال عند حدوث الأوبئة أو تخطّى لامساواة ضخمة بين مختلف مناطق العالم . لكن يمكن أن نرى من أمثلة لا تحصى أنّ العالم صار أكثر تفاوتا ولامساواة ، و ليس أقلّ ، و أنّ الموارد المشتركة للبشريّة تتعرّض بصفة متصاعدة إلى الخطر ، على غرار التهديد الحقيقي جدّا لإرتفاع حرارة الكوكب . و المهمّة المركزيّة التي تدّعيها الأمم المتحدة ، مهمّة منع النزاعات المسلّحة بين الدول لم تخفّف من سرعة العدوان و الحرب الإمبرياليين . و بدلا من تمثيل " إنتقال إلى نظام عالمي بصورة صحيحة " في المستقبل ، الأمم المتحدة و مؤسسات شبيهة ركائز هامة في **الحفاظ على العالم كما هو** و بهذا المعنى ، ليست البتّة إنتقالا إلى المستقبل بل هي حاجز من الحواجز الشاخصة أمام بلوغ ذلك الهدف .

حينما ننظر إلى الواقع الملموس للأمم المتحدة ، نشاهد أنّها ليست مؤسسة تقع فوق علاقات السلطة القائمة حاليّا بين الدول. و لمّا يناقش نغرى و هاردت الأمم المتّحدة كمؤسّسة يتركان جانبا عنصرها الجوهري ألا وهو أنّ خمس دول تملك حقّ الفيتو في مجلس الأمن وهو الجهاز الوحيد في الأمم المتحدة القادر على التصريح (أو شرعنة بعد فعل) باللجوء إلى القوّة و الحرب . و علاوة على ذلك ، رأينا أنّه من ضمن العناصر الدائمة الخمسة لمجلس أمن الأمم المتحدة ، ليست جميع حقوق الفيتو متساوية . فحتّى حين عارضت ثلاثة بلدان من هذه البلدان الخمسة حرب الولايات المتحدة ضد العراق ، و حتّى بالرغم من أنّ الأمين العام للأمم المتحدة ، كوفى عنان ، صرّح (و إن بعد سنتين) أنّ الحرب ضد العراق كانت حربا " غير قانونيّة " من وجهة نظر ميثاق الأمم المتحدة ، لم تستطع فرنسا و الصين و الإتحاد السوفياتي و لم تمنع الولايات المتحدة و بريطانيا من الذهاب إلى الحرب لوحدهما في الأساس ضد إرادة الغالبيّة العظمى من دول العالم (حتّى لا نشير إلى عموم معارضة الجماهير في أغلبيّتها في بريطانيا و حركة معارضة كبيرة في الولايات المتحدة عينها). الأمم المتحدة في آن معا وسيلة لتيسير عمل " أخوّة اللصوصيّة " و أيضا مجالا للخصام بين اللصوص أنفسهم . لكن مثلما أثبتت حرب العراق ، ليس بوسعها إلاّ أن تعكس و ليس بوسعها بطريقة جوهريّة أن تتجاوز أو تتخطّى الواقع الجغرافي - السياسي الفعلي للعالم المعاصر .

لقد كُتب " **الإمبراطوريّة** " في الفترة ما بين حرب الخليج الأولى (1991 ، لمّا كان بوش رئيسا للولايات المتحدة) و حرب الكوسوفو التي بدأت في 1998 ، بكلمات أخرى ، أثناء حقبة حكم كلينتون . و في حين أنّ النزعات الإمبريالية للولايات المتحدة التي ستتشكّل لاحقا أساس برنامج بوش الإبن ، كانت بعدُ تتشكّل خلال حقبة كلينتون ، لم تنجز بعدُ" قفزة" حدثت عقب 11 سبتمبر 2001 . و مع ذلك ، حتّى في السنوات الورديّة لتسعينات القرن العشرين يوجد كمّ كبير من الأدلّة (يوغسلافيا السابقة ، الكنغو إلخ) تفنّد جدال نغرى و هاردت بأنّ " فكرة السلام في أساس تطوّر الإمبراطوريّة و توسّعها " . (14) و طبعا لا يمكن أن نتوقّع من هذين الكاتبين أن يتنبآ بالمستقبل ، لكن أيّة نظريّة تدّعى أنّها علميّة و تدّعى أنّها تعكس فعلا العالم كما هو و فهم القوانين المحدّدة لحركته ، مضطرّة إلى مساءلة نفسها إعتمادا على كيف و إلى أيّ مدى يؤيّد تطوّر الأحداث الفعليّة أم يضع موضع السؤال مقدّماتها الكامنة . لذا كان نغرى و هاردت مجبرين في عملهما الأخير " **الحشد** " على إعادة النظر في أطروحة " **الإمبراطوريّة** " .

صحيح أنّ في " **الحشد** " حلّت " حرب أهليّة كونيّة عامة " (15) محلّ الزعم السابق للمؤلّفين بأنّ السلام هو أساس الإمبراطوريّة ؛ إلاّ أنّ نغرى و هاردت لسوء الحظّ يتجنّبان أية مساءلة ذاتيّة حقيقيّة ، لا سيما بشأن المبدأ المؤسّس لنظريّتهما أي تجاوز العصر الإمبريالي بشيء أرقى . في " **الحشد** " يحاجج المؤلّفان : " ينزع المرء إلى قول على الأقلّ إنّه منذ البدايات الأولى لتسعينات القرن الماضي ، قد قلّلت السياسة الخارجيّة للولايات المتحدة المنطق الإمبريالي و الإمبراطوري ... تتحرّك الولايات المتحدة كقوّة قوميّة وفق خطوط الدول الإمبرياليّة الأوروبيّة المعاصرة . هذا من من ناحية و من الناحية الثانية ، يحمل كلّ عمل عسكري للولايات المتحدة و توجّه سياستها الخارجيّة عامة كذلك بالتوازي منطقا إمبراطوريّا ، يحيل ليس على أيّة مصالح قوميّة محدودة بل على كافة مصالح الإنسانيّة ككلّ ... لا ينبغي أن ننظر ببساطة ، بكلمات أخرى ، إلى الخطاب الإنساني و الكوني للدبلوماسيّة الأمريكيّة و العمليّات العسكريّة كواجهات مصمّمة لإخفاء المنطق الجوهري للمصالح القوميّة . بدلا من ذلك ، ينبغي أن نعترف بها على أنّها فى الوقت نفسه حقّا متساويا : منطقان متنافسان يمضيان عبر جهاز عسكري سياسي واحد . في بعض النزاعات ، مثلما هو الحال في كوسوفو ، يمكن أن يكون المنطق الإمبراطوري الإنساني هو السائد و في أخرى ، مثلما هو الحال في أفغانستان ، المنطق القومي الإمبريالي يبدو في المصاف الأوّل ، بينما مع ذلك في حالات أخرى كالعراق ، يمتزج المنطقان تقريبا بحيث لا يمكن التمييز بينهما . كلا المنطقان ، في أي حال ، يتخلّلان بجرعات مختلفة كلّ هذه النزاعات . " (16)

" لا ينبغي أن نسقط في حبال النقاشات المرهقة حول العولمة والدولة ـ الأمّة كما لو أنّ الإثنين غير منسجمين بالضرورة. عوضا عن ذلك ، محاججتنا هي أنّ الإيديولوجيات القوميّة و الموظّفين و الإداريين القوميين يجدون بشكل متزايد أنّه من أجل بلوغ أهدافهم الإستراتيجيّة لا يقدرون على التحرّك و التفكير بصرامة بمنطق قوميّ دون الأخذ بعين الإعتبار بقيّة العالم . لا تتطلّب إدارة الإمبراطوريّة نكران الإداريين القوميين . هذا من جهة و من الجهة الأخرى ، الإدارة الإمبراطوريّة اليوم تسيّرها بصفة واسعة هياكل و موارد بشريّة من الدول ـ الأمم المهيمنة ". (17)

و هكذا ، نرى أنّ تنازل نغرى و هاردت أمام الواقع : حرب ما بعد 11 سبتمبر على العالم من قبل الولايات المتحدة مدفوعة جزئيّا على الأقلّ ب " منطق إمبريالي " حتّى إن كانت نزاعات أخرى ، مثل الكوسوفو ، بالأساس إنعكاس ل " المنطق الإنساني الإمبراطوري " . و الإدارة " الإمبراطوريّة " ستسيّرها " هياكل و موارد بشريّة من الدول ـ الأمم المهيمنة " . و مرّة أخرى ، نرى إهتمام المؤلّفين غير اللازم ب**تفسير** الطبقة الحاكمة للولايات المتحدة لأعمالها بدلا من التحليل الحقيقي للقوّة المحرّكة وراءها .

إنّ إكتشاف نغرى و هاردت للمصالح المشتركة للقوى الإمبريالية حقّا لا شيء جديد أصلا . و كذلك لم يكن نهائيّا صحيحا أنّ أيّة قوّة إمبريالية لا يمكنها التحرّك " دون الأخذ بعين الإعتبار بقيّة العالم ." تقدرالقوى الإمبرياليّة أن تنظر وهي تنظر إلى وضع الكوكب برمّته ماضيا وحاضرا إلاّ أنّها تواصل القيام بذلك عبر منظار مصالحها الخاصة القوميّة(الإمبريالية) و ليس من المستوى المجرّد ل " الإمبراطوريّة " الذى يدعو له نغرى و هاردت . و إلى درجة أنّ الإمبرياليين يتحرّكون في إنسجام ، مثلا الإمبريالية دون الأوروبيّين بواسطة الإتحاد الأوروبي ، يعكسون ليس مصالحهم المشتركة في كلّ من تنافسهم مع الولايات المتحدة و منافسين لهم أقلّ أهمّية (كاليابان) و كأمم مضطهِدة مهيمنة على معظم بقيّة العالم (" العالم الثالث ").

II ـ ما هي الرأسماليّة ؟

ما الذى يدفع الإمبريالية إلى الأمام ؟

من أجل فهم لماذا يتوصّل نغرى و هاردت إلى مثل هذه الصورة الخاطئة جوهريّا عن الجغرافيا ـ السياسيّة اليوم ، من الضروري النظر عن كثب أكثر في كيفيّة فهمهم للرأسماليّة ذاتها . و بينما يقدّم نغرى و هاردت بعض الملاحظات المفيدة بشأن مظاهر المجتمع المعاصر ، يخفقان في فهم الأسس الماديّة الفعليّة للراسماليّة و هكذا يضيعان في متاهات شرح كيف تتطوّر الرأسماليّة و ما الذى يدفع بها إلى الأمام .

قبل كلّ شيء ، هناك حاجة إلى إعادة تأكيد أنّه بالرغم من الإختلافات التي لا تزال هامة و القائمة بين شتّى البلدان والمناطق ، هناك نظام إمبريالي عالمي هو عمليّا **رأسمالي** و في حدّ ذاته لا يزال محكوما بقوانين أساسيّة إكتشفها ماركس و إنجلز . أكيد أنّ العالم قد شهد تغيّرات كبرى منذ عرض ماركس سير الرأسماليّة عرضا منهجيّا للغاية في كتاب **" رأس المال "**. و لينين ، بوجه خاص ، بيّن كيف أنّ الرأسماليّة قد دخلت مرحلة جديدة هي الرأسماليّة الإحتكاريّة ، أو الإمبرياليّة ، و منذ زمن لينين ، حدثت المزيد من التغيّرات الكبرى و ستواصل الحدوث . لكن ما حقّقه لينين كان تحليل عصر الرأسماليّة على أساس القوانين التي إكتشفها ماركس . و لم يكن هذا نابعا من ولاء ما دغمائي لتعاليم ماركس و إنّما بالأحرى من كون هذه القوانين ، بالمعنى الأساسي ، إستمرّت في حكم كيفيّة تحرّك المجتمع الراسمالي و تطوّره .

إنّه لعمل متميّز أن يتمّ البحث في النظام الاقتصادي المعاصر و إذا ، في مجرى هذه الجهود ، تبيّن أنّ المفاهيم السابقة حتّى مفاهيم عمالقة كماركس و إنجلز غير تامة أو حتّى خاطئة ، فإنّ الذين يقاتلون من أجل تغيير العالم ينبغي بلا تردّد أن يقرّوا بالحقيقة . لكنّنا غير مقتنعين بأنّ " ماركس و إنجلز عصر الأنترنت " (مثلما يُحال على نغرى و هاردت في الغلاف الخلفي لكتاب **" الإمبراطوريّة "**) قد أفلحا حقّا في إكتشاف تفسير أصحّ للمجتمع الرأسمالي و تطوّره . بالعكس ، لقد إنحرفا عن الإطار الأساسي الذى أرساه ماركس و إنجلز ما وضعهما في مأزق و جعلهما مرتبكين .

قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج

في ثنايا كتاب **" الإمبراطوريّة "** ملاحظة ، إن كانت صحيحة ، سترجّ في أسسه ذاتها الفهم الماركسي للإقتصاد السياسي و ، معه ، فهمنا للسيرورة الثوريّة التي عبرها يتمّ تغيير نظام إجتماعي بنظام آخر إلى أسفل . كتب نغرى و هاردت : " ما بعد الحداثة و المرور إلى الإمبراطوريّة يعنى لقاءا حقيقيّا للمجالات التي عادة ما كانت منعوتة بالقاعدة و البناء الفوقي ... في هذا الإطار ، الإختلافات التي تحدّد الأصناف المحوريّة للإقتصاد السياسي تنزع إلى شيء ضبابي . و يصبح الإنتاج غير متميّز عن إعادة الإنتاج ؛ و تمتزج قوى الإنتاج مع علاقات الإنتاج ..." (18) .

لفهم هذا يترتّب علينا أن نعرض و لو عرضا موجزا ما يقصده الماركسيّون بمصطلحات قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج . تشمل **قوى الإنتاج** الأرض و الآلات و التقنية و الأهمّ ، الطبقات المنتجة ذاتها و براعتها و إبداعها . و الطريقة التي ينظّم وفقها البشر ليستعملوا قوى الإنتاج هذه و ليوزّعوا إنتاجهم يشار إليها ب**علاقات الإنتاج** . هنا نتحدّث عن نظام ملكيّة وسائل الإنتاج و تقسيم العمل في المجتمع و الطريقة التي توزّع بها منتوجات المجتمع على مختلف أعضائه . عموما ، تتناسب علاقات الإنتاج مع مستوى قوى الإنتاج و معا يشكّلان **القاعدة الإقتصاديّة** للمجتمع . مثلا ، في أوروبا القروسطيّة كان النظام الإقطاعي القائم على المالكين العقّاريين و القنانة يتناسب تقريبا مع القدرة على الإنتاج ـ المعرفة و التقنيات و أدوات الإنتاج ـ التي وُجدت زمنها . لم توجد بعدُ قاعدة ماديّة و حاجة إجتماعيّة مناسبة لوجود طبقة عريضة من العمّال " الأحرار " من العلاقة بالأرض و المجبرين على بيع قوّة عملهم إلى الرأسماليين .

و تنهض على كلّ قاعدة إقتصاديّة (أي قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج) " بنية فوقيّة " ـ مؤسّسات و ثقافة و أفكار ودولة ـ تتناسب مع القاعدة الإقتصاديّة المعطاة و تسمح لها بالمضيّ قدما . و للعودة إلى مثال النظام الإقطاعي الأوروبي ، يمكن أن نلاحظ كيف أنّه ولّد مؤسسات كالكنيسة الكاتوليكيّة التي تتناسب و القاعدة الإقتصاديّة الإقطاعيّة . و عامة ، تشهد قوى الإنتاج تطوّرا تدريجيّا و عبر طفرات تدخل أكثر فأكثر في تناقض حاد مع علاقات الإنتاج . و هذا التناقض الأساسي هو الذى يستدعى الثورة .

كتب ماو تسى تونغ ما معناه أنّه عندما تحتاج الأدوات الحديث ، تفعل ذلك عبر البشر . و ستحدث هذه الثورة بالضرورة في البناء الفوقي و بصفة ملحوظة بواسطة إفتكاك السلطة السياسيّة التي ستسمح لعلاقات الإنتاج الجديدة بالتطوّر و للقاعدة الإقتصاديّة بأن تحقّق قفزة إلى الأمام . بخطوط عريضة جدّا هذا هو ما أنجزته الثورات البرجوازيّة أو الرأسماليّة في الماضى و ما ستنتجه الثورة الشيوعيّة في المستقبل . (19)

يتجسّد الذكاء اللامع لماركس و إنجلز في كونهما بيّنا حتّى حينما كانت الرأسماليّة في مستوى أدنى كثيرا من التطوّر ، أنّ قوى الإنتاج و نموّ الصناعة العصريّة و العلم و البروليتاريا كانوا يتعرّضون إلى تقييد أو " عرقلة " متزايدين جرّاء الملكيّة الخاصة لوسائل الإنتاج و النظام السلعي الرأسمالي الذى فيه قدرة العامل على الإنتاج تتحوّل هي ذاتها إلى سلعة تشترى و تباع و " تستهلك " (أي ، تستخدم لإنتاج سلع من خلال الإنتاج الرأسمالي) . و قد وضع ماركس و إنجلز ذلك على النحو التالى :

" و بهذه الطريقة وحدها سوف يتحرّر كلّ فرد بصورة خاصّة من الحواجز القوميّة و المحلّية المختلفة ، و يصبح على صلة عمليّة بالإنتاج المادي و الفكري للعالم بأسره ؛ و يتمكّن من كسب القدرة على الإستمتاع بإنتاج العالم بأسره في جميع الميادين (إبداعات الإنسان). و إنّ **التبعيّة العموميّة** ، هذا الشكل الطبيعي لتعاون الأفراد **على صعيد التاريخ العالمي** ، سوف تتحوّل بفعل هذه الثورة الشيوعيّة إلى الإشراف و السيطرة الواعية على هذه القوى التي نشأت عن تأثير البشر ببعضهم بعضا ، لكنّها أرهبت البشر و تحكّمت فيهم حتّى الآن كما لو كانت قوى غريبة عنهم كلّيا ." (20).

و هكذا تمكننا مشاهدة رؤيتين أساسيتين متعارضتين لكيفيّة بلوغ مجتمع شيوعي ، في نهاية المطاف . فبالنسبة لماركس و إنجلز تحقيق الإمكانيّة الإنسانيّة لن تأتى إلاّ عبر **الثورة** ، عبر تغيير الظروف الإجتماعيّة القائمة . أمّا نغرى و هاردت فيحاججان بطريقة أخرى ، أنّ علاقات الإنتاج ، بعيدا عن أن تعرقل مزيد تطوّر قوى الإنتاج ، هي ذاتها " تندمج " مع قوى الإنتاج . (و يرتبط هذا بفهم الكاتبان ل " العمل غير المادي " الذى سنعود إليه لاحقا). و يحاجج نغرى و هاردت أنّه نظرا لأنّ سيرورة العمل تتطلّب تعاون الأشخاص ، لم يعد يوجد أي تمييز مفيد (أي تناقض) بين الإنتاج نفسه و طريقة تنظيم المجتمع لإنجاز عمليّة الإنتاج . و يحاججان بأنّ المجتمع العصريّ الذى يسمّيانه " الإمبراطوريّة " منظّم لذاته عبر شبكات واسعة و أخرى صغيرة في بلدان معيّنة و على الصعيد العالمي . لكن التنظيم الذاتي للمجتمع لا يمكن أن يوجد إلاّ في ظلّ الشيوعيّة عندما تكون الإنسانيّة حقّا في موقع يخوّل لها تنظيم نفسها تنظيما واعيا و جماعيّا . إلاّ أنّه ثمّة عراقيل لهذا ، اليوم ، خاصة من جانب علاقات الإنتاج الرأسماليّة الحقيقيّة جدّا و إنجاز الإنتاج في إطار التبادل السلعي و بوجه خاص إستغلال قوّة عمل المنتجين . علاقات الرأسماليّة القائمة تقيّد المجتمع و تشوّهه و تجعله يعرج بالفعل . أجل ، إمكانيّة نوع مغاير من المجتمع تعبّر بإستمرار عن ذاتها ، لكنّها ليست أكثر من **إمكانيّة** طالما أنّ الرأسماليّة تظلّ دون مساس . و في حين بمستطاع المرء أن يصفّق لنغرى و هاردت لمديحهم لقدرة الإنسانيّة ، يبدو أنّهما ينويان الإكتفاء بظلّ بالح لهذه الإمكانيّة ، فالنزاع بين قوى الإنتاج الضخمة و التي ينبغي أن نتذكّر أنّ أهمّ ما تشتمل عليه الطبقة الثوريّة ذاتها ، و نظام متقادم مستند إلى إستغلال البروليتاريا العالمية ، لم يتبخّر بتاتا . بالعكس ، هذا التناقض بالذات هو الذى يصرخ بان يعالج عبر الثورة البروليتاريّة على الصعيد العالمي .

لقد وُجد نمّو مدهش في القدرات الإنتاجيّة و المعرفة العلميّة . نظرة ماركس و إنجلز للقدرة على تلبية حاجيات الإنسانيّة برمّتها مبرّرة بوضوح . و مع ذلك ، في نفس الوقت ، قد نما البون بين الثروة و الفقر إلى درجة غير مسبوقة في تاريخ الإنسانيّة .لقد إفترض ماركس و إنجلز عصرا من الوفرة العامة المشتركة ، و اليوم تعود إمكانيّة تحقيق ذلك إلى الظهور من كلّ الزوايا . و فقط تحويل وجهة نسبة مائويّة ضئيلة من الموارد الغذائيّة للعالم ستلغى فعلا الجوع و سوء التغذية . كم سيكون بسيطا وضع حدّ لوفاة 50 ألف طفل يوميّا بسبب أمراض الوقاية منها ممكنة و تعزى رئيسيّا إلى شحّ في ماء الشراب ، أو لمعالجة فقدان المسكن كظاهرة مستشرية في ذات ظلّ ناطحات السحاب في نيويورك و لندن و كذلك في بومباي و ساوبولو . عدم القدرة على معالجة حتّى مثل هذه المشاكل البسيطة نسبيّا يعود إلى طريقة تنظيم الإنسانيّة . وعلى ضوء عدم قدرة المجتمع على تنظيم نفسه لتلبية حتّى هذه الحاجيات البسيطة، يحجب الحديث عن" المجتمع كهدف " عن مهمّة الثورة .

<u>ما الذى يدفع ماذا ؟</u>

رفضُ نغرى و هاردت للإقتصاد السياسي الماركسي يمضى اليد في اليد مع عدم قدرة كتاب " **الإمبراطوريّة** " على شرح لماذا تندفع الرأسماليّة دائما نحو الإنتاج على نطاق أوسع فأوسع . و بوجه خاص ، منافسة رساميل مختلفة هي التي تحكمها جميعا لكي " تتوسّع أو تموت " ، و يولّد هذا سيرورة لولبيّة عبرها ينمّى رأس المال قيمته ، و يتركّز إلتهام المنافسين أو الوحدة معهم و يبحث دائما عن موارد أكبر من العمل لإستغلالها و عن أسواق أكبر لغزوها . لا شيء من هذا يحدث بسلاسة ، طبعا ، و سيرورة لولب المراكمة يجرى عبر " فوضى الإنتاج " و يؤدّى إلى فوضى و أزمات و إضطرابات دوريّة . الإمبريالية أو الرأسماليّة الإحتكاريّة تغيّر لكن لا تنفى هذه السيرورة الجوهريّة. و بالفعل ، عمليّا ، تزيد من حدّة المنافسة بين الرساميل في شكل شركات متعدّدة الجنسيّات عملاقة و قوى إمبرياليّة و تحوّل العالم كلّه إلى مجال منافستها و تشنّ الحروب و منها الحروب العالميّة ، وسيلتها الأخيرة لتحيطم منافسيها و إيجاد ظروف توسيع المراكمة . (22)

هذا الإندفاع المستمرّ و الذى لا هوادة فيه نحو أقصى الربح هو الذى يحرّك الرأسماليّة لإستغلال المزيد فالمزيد من قوّة العمل (البروليتاريّون) بطريقة أكثر فأكثر شمولا ، و للتغيير المستمر لكامل السيرورة الإنتاجية و جعلها إجتماعيّة على نطاق واسع ، و هذا السير للنظام الرأسمالي هو الذى يدفع البروليتاريين إلى المقاومة و إنشاء القاعدة الماديّة للثورة . هذه السيرورة الأساسيّة كانت على الدوام معقّدة ومتعدّدة الأوجه وهي حتّى أكثر من ذلك في ظروف القرن الواحد و العشرين. لكن نغرى و هاردت يعكسان هذه الديناميكيّة . نضال البروليتاريا ، في نظرهما ، هو الذى " يدفع " الرأسماليين إلى التحوّل إلى ما يسمّيانه ب " الإمبراطوريّة " .

و يحاجج نغرى وهاردت أنّ " نظريّات المرور إلى الإمبرياليّة و تجاوزها والتي تفضّل النقد النقيّ لديناميكيّة رأس المال، تخاطر بأن تستهين بالقوّة المحرّكة الفعّالية الحقيقيّة التي تدفع تطوّر الرأسماليّة من عمق أعماقها : حركات البروليتاريا و نضالاتها " . (23) و بالفعل ليس الخطر إن كنّا نحصر تحليلنا في " نقد نقيّ " بما أنّ الماركسيين الحقيقيين قد إعترفوا على الدوام بأهمّية دراسة و فهم شتّى الظواهر الإجتماعيّة و بالتأكيد نضال البروليتاريا و المضطهَدين هو نهائيّا عامل هام مؤثّر في كيف تتطوّر ديناميكيّة رأس المال بيد أنّنا نؤكّد أنّ الديناميكيّة الداخليّة لرأس المال ذاته هي المحرّكة الرئيسيّة الدافعة له نحو كلّ من التوسّع إلى مجالات جديدة و تشديد الإستغلال حيث يكون موجودا . نظريّة نغرى و هاردت المقلوبة رأسا على عقب تمضى بعيدا إلى درجة المحاججة بأنّ الحفاظ على و تقوية هيمنة الولايات المتحدة في الفترة منذ 1970 " كانت عمليّا مؤيّدة بقوّة عدائيّة لبروليتاريا الولايات المتحدة ... كان على راس المال أن يواجه و يردّ على الإنتاج الجديد لذاتيّة البروليتاريا ". (24)

هذا الضرب من الفهم غير المادي يعكس كذلك عدم قدرة على فهم الأزمة الرأسماليّة . و مثلما يقول ماركس : " الأزمة الرأسماليّة هي وضع يتطلّب من رأس المال أن يشهد تخفيض قيمة عام و بشكل عميق إعادة ترتيب علاقات الإنتاج نتيجة للضغط نزولا الذى تضعه البروليتاريا على نسبة الربح . بعبارات أخرى ، ليست الأزمة الرأسماليّة مجرّد وظيفة للديناميكيّة الخاصة برأس المال بل يتسبّب فيها مباشرة نزاع البروليتاريا " . و هذا يعنى أنّه حسب نغرى و هاردت ، الأزمة الرأسماليّة في الأساس نتيجة نضالات البروليتاريا – وهو ليس أصلا ما " يقوله " لنا ماركس ، رغم أنّه ينبغي الإقرار بأنّ هذا فهم خاطئ منتشر على نطاق واسع في صفوف من يزعمون أنّهم ماركسيّون . في عمله العظيم " **ضد دوهرينغ** " ، توسّع إنجلز توسّعا معتبرا في دحض نظريّة إعتبار الأزمة أزمة " نقص في الإستهلاك " ، مشيرا إلى انّ نقص استهلاك الجماهير كان مظهرا لكافة **أشكال** المجتمعات الطبقيّة ، و مع ذلك ، فقط في ظلّ الرأسماليّة تظهر هذه الأزمة . و وصف إنجلز " أزمة فائض الإنتاج " بأنّها إتّساع الإنتاج بنسق أسرع من إتّساع الأسواق . و وضع إنجلز ذلك على النحو التالى : " إنّ قابليّة الإتّساع الهائلة للصناعة الكبيرة ، و التي تبدو قابليّة الإتساع للغازات لعبة أطفال بالمقارنة

معها ، إنّما تتجلّى الآن بشكل **حاجة** لتوسيع هذه الصناعة كيفيّا و كمّيا – وهي حاجة لا تقيم إعتبارا لأيّة مقاومة . و هذه المقاومة يشكّلها الإستهلاك و التسويق و الأسواق لمنتجات الصناعة الكبيرة . أمّا قابليّة الأسواق للإتّساع الأفقي الممتدّ و العامودي المكثّف على حدّ سواء فتحدّدها قوانين مغايرة تماما ، وهي قوانين تفعل فعلها بزخم أقلّ كثيرا . إنّ إتّساع الأسواق لا يمكن أن يجارى إتّساع الإنتاج . و يغدو التصادم أمرا لا مفرّ منه ، و لمّا كان عاجزا عن حلّ النزاع دون أن يفجّر أسلوب الإنتاج الراسمالي نفسه ..." (25)

صحيح أنّ الأزمة الرأسماليّة لا يمكن تقليصها إلى مجرّد عوامل إقتصاديّة فقط ففي عصر الإمبريالية حينما تكون الرأسماليّة مركّزة بالأساس في دول إمبرياليّة ، تلعب عدّة إعتبارات جغرافية ـ سياسيّة دورها في سيرورة المراكمة بما فيها المنافسة بين القوى الإمبريالية و نضالات المقاومة في الأمم المضطهَدَة و نضال البروليتاريا في القلاع الإمبرياليّة ذاتها ـ كلّ هذه العوامل تتداخل و تتشابك . لكن هذا لا يُنكر الفهم **المادي** الأساسي الذى على قاعدته شيّد ماركس نظريّته و قوانين الرأسماليّة و إكتشف القوانين التي تدفعها نحو الفائض في الإنتاج مثلما يُقدّم ذلك بقوّة الإستشهاد أعلاه بإنجلز . (26) و في حين أنّ السير العملي لمختلف التيّارات معقّد و ملطّف بعدّة عوامل ، لا يزال إلى اليوم صحيحا . (27) و بدلا من ذلك ، يحاجج نغرى و هاردت بطريقة متناقضة ، لإنقاذ الرأسمالية (أو على الأقلّ المركز الراهن للنظام الرأسمالي ، الولايات المتحدة).

<u>إعادة إحياء نظريّة روزا لكسمبورغ</u>

يعيد نغرى و هاردت إحياء أطروحات روزا لكسمبورغ حول الإمبرياليّة . فقد حاججت لكسمبورغ بأنّه نظرا لكون البروليتاريا لم تستطع أبدا " شراء " منتوج عملها الخاص ، الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها النظام الرأسمالي الإزدهار هي عبر التجارة مع (" الخارج ") مناطق أو قطاعات غير رأسماليّة تخوّل للنظام الرأسمالي أن يحقّق القيمة (عبر البيع) المنتجة بإستغلال البروليتاريا في البلدان الإمبريالية. و قد إفترضت أنّ الإمبرياليّة ستبلغ أزمة غير ممكنة التجاوز عندما يحوّل رأس المال العالم قاطبة .

و يحاجج نغرى و هاردت بأنّ الإمبرياليّة قد حقّقت هذا التحوّل العالمي و النتيجة هي مرحلة جديدة كلّيا من الرأسماليّة ، تجاوزت الإمبرياليّة . و يحاججان بأنّ " رأس المال لم يعد ينظر إلى الخارج بل صار بالأحرى ينظر إلى داخل مجاله ، و توسّعه هكذا مكثّف بدلا من أن يكون ممتدّا " (28) و " ما بعد الحداثة سيرورة إقتصاديّة تظهر لمّا تكون التكنولوجيا الميكانيكيّة و الصناعيّة قد توسّعت لتشمل العالم قاطبة ، لمّا تنتهى سيرورة التحديث ، لمّا المستوى الأدنى الشكلي للبيئة غير الرأسماليّة يكون قد بلغ حدوده ". (29) إزاء هذا نقول خاطئ و خاطئ مرّة أخرى .

خاطئ لأنّ الرأسماليّة في كلّ مرحلة من مراحل تطوّرها توسّعت في آن معا بشكل مكثّف و بشكل ممتدّ أي أنّها تواصل التطوّر في قاعدتها القوميّة لتستغلّ بصورة أتمّ و تراكم المزيد و المزيد من رأس المال **و** تواصل البحث عن مجالات جديدة للهيمنة . و زيادة على ذلك ، ما هو " الخارج " بالنسبة لقوّة رأسماليّة (أو إمبرياليّة) يمكن أن يكون تماما " الداخل " بالنسبة لقوّة رأسماليّة (أو إمبرياليّة) أخرى مثلما هو الحال عندما تندفع الولايات المتحدة داخل أسواق و مناطق في أفريقيا كانت سابقا تهيمن عليها القوى الإمبرياليّة الأوروبيّة . و خاطئ مرّة أخرى لأنّه بينما قد غيّرت الرأسماليّة بالفعل المزيد و المزيد من العالم اللارأسمالي على صورتها ، ليست هذه السيرورة نهائيّا تامة .

ولنلقى نظرة عن كثب على أطروحة نغرى و هاردت . إنّهما لا يحاججان بالتمام أنّه لم تعد توجد أيّة إختلافات بين الدول و إنّما بالأحرى أنّ دلالتها تضمحلّ و السيادة الحقيقيّة قد مرّت إلى إنعدام شكل و " سلاسة " الإمبراطوريّة . و يخصّ الكاتبان الولايات المتحدة بدور متميّز في النظام العالمي لكنّهما ينظران إليه كما لو أنّ هذا مجرّد غطاء يعكس العالم الإمبريالي القديم بينما السيادة الحقيقيّة (أو القدرة على الحكم) قد تحوّلت إلى إنعدام شكل " الإمبراطوريّة " الموجودة في كلّ مكان و في لامكان من العالم بأسره في الوقت نفسه . و هنا أيضا لوصف نغرى و هاردت بعض المظاهر الهامة التي " تبدو صحيحة " للقرّاء . فبعض الوظائف التي كانت في السابق مجالا حصريّا خاصا بالدول وقع تكليف المنظّمات العالميّة كمنظّمة التجارة العالميّة بها . و هناك درجة متصاعدة أبدا من الترابط ليس فحسب بين دوائر الإنتاج الرأسمالي بل كذلك في كافة مجالات الثقافة و الحياة الفكريّة . و بالتأكيد أنّ الطبيعة العالميّة للثورة البروليتاريّة فيما هي دائما جوهريّة ، تصرخ الآن بصوت أعلى فأعلى مطالبة بإيلاء مستلزمات السيرورة الثوريّة في بلدان معيّنة الإهتمام الكامل. و بهذا المضمار يشعر عالم الأنترنت بأنّه على بعد سنوات ضوئيّة من معظم القرن العشرين ، فما بالك بزمن ماركس . فهل من الممكن أن يكون العالم الآن أو يمكن أن يصبح أرض ولائم واحدة لرأسمال واحد ، لا يرتبط بمنطقة ؟

لا ، لن يوجد مثل هذا العالم (و على عكس نغرى و هاردت ، أمضينا وقتا طويلا و عسيرا لرؤية كيف أنّ مثل هذا الكابوس ، إن تحقّق ، سيكون " ليس أكثر سوءا " من النظام الإمبريالي الحالي) . و ذات المظاهر الأساسيّة لرأس المال

التي تدفعه نحو التوسّع تعنى كذلك أنّ رأس المال يمكن أن يوجد فقط في تنافس و نزاع مع رساميل أخرى . و مثلما وضع ذلك ماركس ، رأس المال لا يمكن أن يوجد إلاّ كرساميل متعدّدة . و نزعة رأس المال نحو التمركز ، نحو النموّ أوسع فأوسع و إبتلاع تلك الرساميل التي " تخسر " في معركة المنافسة لا تلغى هذه المنافسة بل عمليّا تشدّد فيها و تضعها على مستوى أعلى حيث مجموعات رأسماليّة كبيرة تتنافس مع بعضها البعض و حشد من الدول برمّتها في خدمتها . هذه الحرب التي لا تنتهى بين الرساميل هي التي تجعل الرأسماليّة غير قادرة على الإكتفاء بأرباحها الراهنة و تدفعها إلى المزيد من إستغلال البروليتاريين و بصفة أتمّ . و حتّى و إن إتّبعنا بعض الهوس التاريخي ، مثل راس المال الوحيد هذا لو وُجد للحظة ، فإنّه بالتأكيد سيتمزّق إربا إربا متباينة . (30)

سيادة وحيدة ؟

لقد إرتبطت السيادة أو قدرة الدولة على الحكم الحرّ من السيطرة الخارجيّة ، بمجال و سكّان خاصين . و من الأكيد أنّ القوى الإمبرياليّة تدوس بإستمرار سيادة الدول و الشعوب الأخرى . في الحقبة الإستعماريّة كان هذا يجرى بالإلحاق الوقح و اللصوصيّ . و في الفترة الأحدث ، إتّخذ عدّة أشكال من العدوان و التدخّل المباشر و غير المباشر . و قد منحت المؤسسات العالميّة نفسها حقّ إملاء المسائل الأساسيّة في السياسة و التي هي عاديّا من مشمولات قوّة سياديّة . وعلى سبيل المثال ، صندوق النقد الدولى بوسعه أن يملي على عديد الدول في أفريقيا تقشّفا صارما في ما هو بعدُ خدمات صحّية و تعليميّة ضئيلة ، و بوسع منظّمة التجارة العالميّة أن تشدّد على أنّ القوانين الجارى بها العمل يجب أن تنسجم مع فهم الولايات المتحدة للملكيّة الفكريّة و هكذا تجعل خارجا عن القانون إنتاج الأدوية الجنيسة و يمكن أن يقال لبلد أيّة أسلحة يسمح له بتطويرها .

و مثلما بإمكان أي مراقب أن يلاحظ ، " إضمحلال السيادة " بالتأكيد مسألة غير متكافئة . و من الواضح الجلي أنّ الولايات المتحدة لا تنوى التفويت و لو قيد أنملة في سيادتها ، و قد صارعت بلا توقّف أي و كلّ الإجراءات التي تحدّ من سيادتها . و مثال ذلك رفضها المساهمة في محكمة جرائم الحرب العالميّة في لاهاي خشية أن يُحاكم يوما ما جلاّدوها هناك . و قد عارضت الولايات المتّحدة بوقاحة و هدوء إتفاقيّة كيوتو الهادفة إلى تقليص إنبعاث الغاز الكربوني ، في جزء خدمة لمصالحها في البقاء أكبر ملوّث في العالم و أيضا لحساسيّة الولايات المتحدة تجاه أي شيء يُشتمّ منه حتّى نوعا من الحدود على سيادتها . لذا فيما وقع إعتراض سبيل سيادة العديد من البلدان و تآكلت سيادات أخرى ، لا ينسحب هذا على اكبر " السيادات " ، سيادة الولايات المتحدة .

لمّا ننظر إلى العالم المعاصر ما نراه عمليّا هو عدم إضمحلال الإمبرياليّة أو عدم ظهور إمبراطوريّة عالميّة وحيدة متجانسة حرّة من النزاع و المنافسة ضمن دول إمبرياليّة لها سيادتها . بالأحرى ، ما نراه هو تعاظم الطابع الاجتماعي للإنتاج على النطاق العالمي ، الذى ينسج بالفعل حتّى أكثر الروابط و العلاقات بين جميع مختلف الفاعلين في سيرورة الإنتاج و في المجتمع الإنساني عامة . لكن هذا المظهر الاجتماعي ذاته يقف في تناقض حاد و عدائي مع العلاقات الرأسماليّة التي لا تزال قائمة ، علاقات الملكيّة و التوزيع و تنظيم الإنتاج ، ما ينعكس في الدور المحوري المستمرّ للدول في فرض هذه العلاقات و الأهمّ ضمن الدول الأقوى ، الإمبرياليّة الأمريكيّة .

III- التحرّر الوطني و الدولة

يؤكّد نغرى و هاردت بصفة صحيحة على ترابط عالم اليوم في سيرورة الإنتاج و في حركة الناس ، و في تبادل الأفكار . و يحاججان ضد النظرة المتجمّدة للعالم التي تنكر القوّة التغييريّة للنظام الرأسمالي . و بينما الإمبريالية بأكبر تأكيد تعيق قوى الإنتاج في البلدان التي تهيمن عليها ، فإنّها تفعل ذلك كجزء من التغيّر المستمرّ لكلّ مجتمع تطاله .

يترتّب على الرأسماليّة العالميّة أن توسّع بإستمرار أسواقها و تحوّل أكثر فأكثر عمل البشر إلى قوّة عمل – شكل خاص من السلع يمكن شراؤه و بيعه . إلاّ أنّ الرأسماليّة ليس بمقدورها و لا تفعل هذا بصورة متكافئة و بالتأكيد ليست متوازنة . يمكن لرأس المال أن يستعمل وهو يستعمل و يدمج و يعزّز مظاهر تخلّف متنوّعة من المجتمع ما قبل الرأسمالي ، حتّى وهو يواصل سيره نحو إستغلال أسواق بأكثر كثافة و تمدّد .

و يشير نغرى و هاردت إشارة صحيحة إلى أنّ " علاقات الإنتاج التي تطوّرت في البلدان المهيمنة لم تتحقّق أبدا بالشكل نفسه في المناطق التابعة في الاقتصاد العالمي " (31)، لكنّهما ما إنفكّا يستخفّان و حتّى يمحوان الإنقسام الجوهري للعالم ، بين أمم مضطهِدة و أمم مضطهَدة . لقد كتبا : " النظريّات الكلاسيكيّة للإمبرياليّة و مناهضة الإمبريالية قد فقدت كلّ قوّة

التفسير التي كانت تتمتّع بها " . (32) و بالفعل ، بيّن ماو تسى تونغ بوضوح كبير في تحليله للصين ما قبل الثورة أنّ النظام الإقطاعي السابق جرى تقويضه و تغييره بفعل تدخّل الإمبرياليّة في الصين ، و لهذا نعت النظام القائم وقتها ب " شبه الإقطاعي " . و قد حاجج ، ، أنّ الإمبرياليّة لا تغيّر تماما و كلّيا و " ديمقراطيّا " البلدان التي تتدخّل فيها ، و قد تبيّن أنّ الحال كذلك .

لكن ما تفعله الإمبريالية هو بمعنى ما التحوّل إلى " شيء داخلي " بالنسبة للبلدان التي تهيمن عليها . (33) و يشير نغرى و هاردت بصفة صحيحة إلى تيّار تداخل العالمين الأوّل و الثالث حيث العالم الثالث " يدخل في الأوّل و يركّز نفسه في القلب كغيتو و فافيلا [مدن الصفيح] ينتج و يعاد إنتاجه بلا توقّف . و بدوره ، ينتقل العالم الأوّل إلى العالم الثالث في شكل مبادلات بورصة و بنوك و مؤسّسات متعدّدة الجنسيّات و جليديّة ناطحات سحاب المال و القيادة " (34) . واقع التداخل العالمي هذا عادة ما يتمّ تجاهله و أحيانا حتّى يتمّ إنكاره من قبل الذين ينظرون إلى الإمبرياليّة فقط كقوّة خارجيّة تحول دون التطوّر الداخلي للأمّة . و فعلا ، لرأس المال إنعكاسات في منتهى التناقض على البلدان التي يدخلها ـ يمكنه و يجب عليه أن يدمجها في دوائر إنتاج و تبادل عالميّة عموما و بإدماج المزيد و المزيد من مناطق العالم في ديناميكيّته للتوسّع أو الموت ، تغذّى الإمبريالية نموّ هذه البلدان و تطوّرها . لكن مجدّدا ، يحدث هذا في الوقت الذى تواصل فيه و بالفعل تعمّق " الإنقسام " في العالم بين البلدان المضطهِدة و البلدان المضطهَدة .

و ينكر نغرى و هاردت هذه الحقيقة الأساسيّة عندما يصرّحان ، " عبر لامركزيّة الإنتاج و تعزيز السوق العالميّة ، الإنقسامات العالميّة و موجات العمل و رأس المال قد تكسّرت و تضاعفت إلى درجة أنّه لم يعد ممكنا التمييز بين مناطق جغرافيّة ممتدّة كمركز و أطراف ، شمال و جنوب ... و هذا لا يعنى قول إنّ الولايات المتحدة و البرازيل و بريطانيا و الهند هي الآن مناطق متماثلة بمعنى الإنتاج الرأسمالي و التبادل الرأسمالي و إنّما أنّ ما بينها لا توجد إختلافات في الطبيعة بل فقط فى الدرجة ".(35) لذا هنا الملاحظات الصحيحة للكاتبين عن تداخل مختلف المجتمعات (" بوضوح يندمج الواحد في الآخر ") تستخدم لمحو أحد أهمّ " الإختلافات في الطبيعة " الموجودة و تحديدا الإختلاف بين الأمم و الدول المضطهِدة و الدول و الأمم المضطهَدَة . و متوقّعين إعتراضات ، يحاجج الكاتبان ضد " أي حنين إلى قوى الدولة ـ الأمّة أو إعادة إحياء أي سياسات تحتفى بالأمّة " (36) . لكن حدود الأمّة و القوميّة يجب أن لا تستعمل للمحاججة ضد المهمّة التي لا تزال حقيقيّة جدّا ، مهمّة تحرير الأمم (وأساسها لتفجير الصراع الذى يمكن رؤية تصاعده و ليس تقلّصه ، في العالم المعاصر) .(37)

الإمبرياليّة و أنماط الإنتاج ما قبل الرأسماليّة

و يحاجج نغرى و هاردت أنّه من المستحيل بالنسبة للأمم المضطهَدة أن " تعيد خلق ظروف الماضى و تتطوّر لا مثلما تطوّرت من قبل البلدان الرأسماليّة المهيمنة . و حتّى البلدان المهيمنة الآن مرتبطة بالنظام العالمي ؛ و أفرزت تفاعلات السوق العالمي تفكّكا عاما لجميع الإقتصاديّات . و بصورة متزايدة ، أيّة محاولة للإنعزال أو الإنفصال لن تعني سوى المزيد من نوع الهيمنة العنيفة للنظام العالمي ، و تقلّص إلى إنعدام القوّة و الفقر " .(38)

هنا مرّة أخرى ، يبدي نغرى و هاردت بعض الملاحظات الصحيحة ثمّ يمضيان بها إلى إستنتاجات لاثوريّة قطعا. أجل ، من الوهم الخطير (و ليس ثوريّا جدّا بالمناسبة) تمنّى " إعادة خلق " الظروف التي تطوّرت في ظلّها الرأسماليّة بداية في الغرب . (39) ومع ذلك ، هذا لا يغيّر من واقع بقاء إختلاف **نوعي** بين الدول الرأسماليّة المتطوّرة و بلدان العالم من المستعمرات الجديدة ، ليس فحسب بمعنى مستوى تطوّرها النسبيّ(40) بل أيضا و خاصة في وجود سوق قوميّة و الصلة بين الصناعة و الفلاحة و شتّى قطاعات ما يصبح إقتصادا قوميّا . و تجاوز هذا البون العملاق و النامى في العالم بين عدد صغير من الدول الثريّة و معظم سكّان العالم يبقى مهمّة عظيمة أمام المجتمع الإنساني ككلّ .

في عالم تهيمن عليه الإمبريالية ، أي بلد أو مجموعة بلدان تنجز ثورة يجب بالضرورة أن ينهض أو تنهض بالنضال الصعب ل " فكّ إرتباط " البلد أو مجموعة البلدان مع النظام الإمبريالي العالمي . هذا أمر ضروري لأسباب عدّة : في حال البلدان المضطهَدة ، وقعت عرقلة تطوّرها و تشويهه و توجيهه إلى دور خاص (تابع) يلعبه في النظام الإمبريالي العالمي . و يقتضى تحرير الشعب أن يتمّ القطع الحيوي مع هذا الشكل من السلاسل القوميّة . و بهذا المعنى ، يتناسب التحرّر الوطني مع مصالح الغالبيّة العظمى من الجماهير في البلدان المضطهَدة . و فضلا عن ذلك ، متطلّبات مساعدة الثورة العالميّة و مؤسساتها فوق القوميّة ، مثل صندوق النقد الدولي و البنك العالمي . و يكفى النظر إلى كيف أنّ الإمبرياليّين أزاحوا أو أطاحوا بحتّى أنظمة رجعيّة ، لأسباب متنوّعة ، لم تسر تماما مع برنامج الإمبرياليّة المهيمنة ، لرؤية ما في جعبتهم المخصّصة لنظام ثوريّ حقيقيّ . في حال البلدان الإمبرياليّة كذلك ، تتطلّب ثورة إشتراكيّة حقيقيّة

" فكّ الإرتباط " إذا كانت هذه البلدان لتقف في وجه تخريب الدول الإمبريالية المتبقّية و هجماتها و أيضا إعتبارا لأنّه من غير المعقول أن يشيّد مجتمع إشتراكي حقيقيّ على صرح و بإستغلال و إضطهاد أمم أخرى .

هنا يشير نغرى و هاردت إلى مشكل حقيقيّ : سيكون من العسير و العسير جدّا ، بالنسبة لأيّ بلد ، لا سيما بلد هيمنت عليه و إضطهدته الإمبرياليّة أن يتجنّب تقليصه إلى " إنعدام القوّة و الفقر " إن إتّبع طريقا ثوريّا . و بالفعل ، سيكون تخطّى " إنعدام القوّة و الفقر " من أضخم المهام و التحدّيات أمام الثورة . لكن ما هو الإستنتاج الذى نخرج به من كتاب " **الإمبراطوريّة** " ؟ الإستنتاج هو فقط أنّ الوضع الراهن لا يمكن تجنّبه و أنّه من الأفضل عدم محاولة إنجاز التحرّر الوطني و أنّه إن وُجد أي تحرّر مستقبلي لا يمكن أن يتأتّى إلاّ عندما يتغيّر النظام الرأسمالي العالمي برمّته (إختيار كلمة " يتغيّر " مقصودة بما أنّ المؤلّفان لا يعتقدان أنّه يمكن أو يحتاج إلى الإطاحة به) . و بالرغم من تأكيد نغرى و هاردت على أنّ " **الإمبراطوريّة** " يمكن أن تهاجم من " أيّة نقطة " على الكوكب ، فإنّ مجمل أطروحاتهما تفضى إلى العودة تماما إلى المفهوم الأورومركزي [المركزيّة الأوروبيّة – المرتجم] الذى وفقه أيّ تغيير إجتماعي حقيقيّ لا يمكن أن يحدث أوّلا و بصفة حاسمة إلاّ في البلدان المتقدّمة ، وهو ، رغم إعتراضات المؤلّفان ، ما سنواصل تسميته بالإمبرياليّ.

سينهض النضال في البلدان الإمبرياليّة بدور هام جدّا في النضال عبر العالم للمضيّ من عصر من المجتمع الإنسانيّ إلى عصر آخر . لا هو ممكن و لا هو تحرّري أن يفترض سيرورة ثوريّة عالميّة تكون فيها الثورة منحصرة في ما يسمّى بالعالم الثالث و تكون فيها البروليتاريا و الجماهير المضطهَدة في القلاع الإمبرياليّة في أفضل الأحوال سلبيّة نسبيّا كمساندة لسيرورة ثوريّة في الأساس غريبة عنهم .(41) لكن أهمّية التشديد على البعد العالمي الحقيقي للنضال من أجل الشيوعيّة العالميّة و الدور الحيوي الذى يجب أن يضطلع به في كلّ من البلدان المضطهِدة و المضطهَدة لا يجب أبدا أن يشوّه بغية إنكار إمكانيّة الإختراق الثوري في بلد أو مجموعة بلدان ، و هذا بدوره سيحفّز النضال الثوري في **كلا** النوعين من البلدان . إن كنّا سنقوم بالثورة ، يرجّح أنّ الثورة ستنجز بداية في بلد أو مجموعة بلدان . و حيثما تنتصر الثورة البروليتاريّة ، ستواجه بطريق الحتم عدوانا من قبل ذلك الجزء من العالم الذى لا يزال فيه النظام الإستغلالي القديم مسيطرا .

ما يشير إليه نغرى و هاردت على نحو صحيح هو الحدود الحقيقيّة لسيرورة بناء نظام إقتصادي موازي في العالم الرأسمالي . الواقع البيولوجي أنّ البشر نوع واحد ، إلتحق به في عصرنا ، الواقع الاجتماعي أنّ الإنسانيّة مجموعة متجانسة حتّى و إن ، في الوقت الحاضر ، هي منقسمة إلى طبقات و أمم . و من غير الممكن أن يستطيع الإنتاج و العلم و الثقافة بأي معنى جوهري الإنقسام إلى كتل مختلفة . (42) و لئن كان صحيحا أنّ في عصرنا التاريخي ، وجود الدول الإشتراكيّة محاصرة بعالم إمبريالي سيظلّ قائما على الأرجح كمظهر ، لا يمكن فهم هذا سوى كمرحلة و شكل من النضال بين عالم البروليتاريا و عالم الإمبريالية . و للتعايش السلمي حدود معيّنة : ليس بالإمكان أن يكون بتاتا إستراتيجيا أساسيّة ، فنظام من النظامين في نهاية المطاف سينتصر على الآخر . (43) و لا يعود هذا فقط إلى الطبيعة العدوانيّة للإمبرياليين (و ليس بالتأكيد إلى إرادة البلدان الإشتراكيّة) ، بل هو بالأحرى إنعكاس لذات هذا التقسيم للإنسانيّة . و زيادة على ذلك ، لو كان هذا صحيحا دائما بالمعنى الأساسي ـ و قد إعترف به ماركس و إنجلز بندائهما عمّال كافة البلدان إلى الوحدة و القتال من أجل عالم جديد كلّيا ـ فاليوم هذا " المشترك " للإنسانيّة نشعر أنّه ملموس أكثر من طرف قطاعات أوسع من الجماهير عبر العالم . التواصل الحديث و مناهج الإنتاج الحديثة و موجات الهجرة تعنى ، كما يحاجج " **الإمبراطوريّة** " ، أنّه حتّى في أبعد أركان الأرض ، الناس مترابطون حتّى أكثر بألف طريقة و طريقة . و كذلك صحيح أنّ وجود وسائل الإنتاج الحديثة قد خلق حاجيات جديدة ـ يرغب الناس في المناطق النائية هم بدورهم في الحصول على منتوجات الحياة المعاصرة ، قسطهم من المنتوج المشترك للإنسانيّة ، و الحصول تماما على التعاون العالمي بين الرجال و النساء . و مثلما أشار ماركس ، الفقر نسبيّ مقارنة بالوجود المحدّد إجتماعيّا ـ تاريخيّا للمطالب و الحاجيات . في آخر المطاف ، ستخفق حركة ثوريّة قادرة على سدّ رمق الناس فحسب إن لم تقدر خطوة خطوة على المساعدة على تلبية رغبة الناس في التعلّم و التواصل و النضال في سبيل تغيير جميع مظاهر الحياة الإجتماعيّة . صحيح أنّ الفلاّحين الفقراء و غيرهم ، أولئك الذين ينزعون أكثر من غيرهم نحو الدفع الثوري ، هم عادة أيضا قطاعات الجماهير الأكثر إقصاءا في هذه السيرورة العالميّة . إلاّ أنّ هذا الإقصاء لا يمكن أن يصبح مبدأ و أقلّ من ذلك إستخدام الجهل و الإقصاء كحجر زاوية في بناء مجتمع جديد . أوّلا ، مثل هذه المقاربة ستضيّق على الفور قاعدة مساندى الثورة و تدفع الطبقات الوسطى و المثقّفين الذين نحتاج تعاونهم ، إلى خندق العدوّ . و علاوة على ذلك ، ستجعل مثل هذه المقاربة " الساخرة " لهدف إعداد البروليتاريا للتحكّم في الأرض و تدريب جماهير الشعب على التمكّن بصورة متصاعدة من شؤون الدولة . يمكن لكمبوديا بول بوت أن تخدم كتذكير مفزع بإلى أين يؤدّى مثل هذا النوع من القوميّة . (44)

لهذا ينبغي أن نخوض قتالا مصمّما ل " فكّ إرتباط " البلدان المضطهَدة بالنظام الإمبريالي العالمي (عبر الثورة الديمقراطيّة الجديدة و الإشتراكيّة) و قد أثبت التاريخ أنّه من الممكن أن تكون نتيجة هذا شيئا آخر غير " إنعدام القوّة و الفقر " ، على الأقلّ في وضع بلد إشتراكي ممتدّ الأطراف (أو بلد أصغر في علاقة ببلد أو كتلة إشتراكيّة أوسع) . و ستواجه ثورة إشتراكية مظفّرة هي الأخرى مشاكلا عويصة أيضا في بناء نظام إقتصادي دون إستغلال البلدان و الشعوب المضطهَدة و دون التشابكات الإقتصاديّة مع شركاء التجارة الإمبريالية السابقين . (45) و مع ذلك ، يشير المؤلّفان إلى حدود حقيقيّة لبناء " إقتصاد موازي " في عالم لا يزال تحت السيطرة الرأسماليّة . بكافة المعانى ، على الدول الإشتراكية أن تكون " قواعد إرتكاز " حقيقيّة للثورة البروليتاريّة العالميّة حيث تكون بعدُ الجماهير بصدد تغيير المجتمع و العمل من أجل بناء مستقبل شيوعي . لكن ينبغي عليها أن لا تبعد عن نظرها دائما واقع أنّ المستقبل الشيوعي غير ممكن الوجود عدا على نطاق عالمي و أنّ الدول الإشتراكيّة مجبرة على خوض قتال ضاري و طويل الأمد مع العالم الإمبريالي بالذات حول مستقبل الإنسانيّة و العالم . و مثل أيّة قاعدة إرتكاز ، مسار حرب ، بقاء الدول الإشتراكية على قيد الحياة و إزدهارها في لا نهاية المطاف في آن معا مرتهن و مرتبط بالتقدّم العام للنضال عبر العالم ضد الرأسماليّة . (46)

يجب رؤية عائق العلاقات الإمبرياليّة أمام التقدّم و التطوّر في علاقة بإمكانية قوى الإنتاج التي أنشاتها الرأسماليّة ـ قوى إنتاج نمت ، يجب التشديد على ذلك ، في ترابط مع نهب البلدان المضطهَدة . و عادة ما يحاجج مدّاحو الإمبرياليّة أنّ شعوب الأمم المضطهَدة يتعيّن أن تشكر الغرب لمهمّته التمدينيّة و التعصيريّة . و بعض الوجوه السياسيّة الرجعيّة في الولايات المتّحدة حاولت حتّى أن تبرّر العبوديّة في الولايات المتحدة بالخطاب عينه ! و في جزء منه ، يمكن الردّ على هذا ، طبعا ، بالإشارة إلى كيف أنّ تطوّر الرأسماليّة في الغرب ، منذ بداياته الأولى وصولا إلى اليوم ، قد كان من ركائزه دائما نهب ما تقدر على نهبه من البلدان و المناطق الأقلّ تطوّرا في العالم . غير أنّ هذا لا يعدو أن يكون نصف ردّ ، و النصف الأقلّ أهمّية في ذلك . و ذات السيرورة من المراكمة و التطوّر التي ساهمت فيها البلدان المضطهَدة بشكل كبير جدّا ، قد ولّدت أيضا العلم و تقنيات الإنتاج و بصورة متزايدة ، طبقة البروليتاريا ذاتها وهو ما يفرز تنظيما مختلفا للمجتمع ممكنا و ضروريّا على الكوكب بأسره . ضد هذه الإمكانيّة التي تصارع للتحوّل إلى واقع تقيم الرأسمالية حواجزا يجب تفحّصها.

<u>**التحرّر الوطني ـ لا يزال مهمّة من مهام البروليتاريا**</u>

في أحد أكثر مقاطع كتاب" **الإمبراطوريّة** " نظرة ثاقبة ، و لعلّ ذلك أتى إستباقا للهجمات المتوقّعة بالتأكيد عن إنكار " الأمّة " ، يحاجج المؤلّفان : " **الأمّة تقدّميّة تحديدا كخطّ دفاع محصّن ضد قوى خارجيّة أعتى** . و مهما بدت هذه الجدران تقدّميّة في الدور الحمائي ضد الهيمنة الخارجيّة ، فإنّها يمكن أن تلعب ببساطة دورا عكسيّا في ما يتعلّق بالداخل الذى تحميه ". (47)

و يشير نقاشهما لقوميّة السود إلى الدور الإيجابي الذى إضطلع به هذا النضال ، فيما ألمحا أيضا إلى أنّ " العناصر التقدّميّة تترافق حتما بظلال رجعيّة ... إخفاء الإختلافات الطبقيّة ، مثلا ؛ أو عندما تعيّن قطاعا من المجتمع (كالرجال الأفرو أمريكيين) على أنّهم بالفعل ممثّلو الجميع ..."(48) . " مع " التحرّر " الوطني و بناء الدولة ـ الأمّة ، كافة الأدوار الإضطهاديّة للسيادة المعاصرة تزدهر حتما بقوّة تامة " . " الثورة في البلدان المستعمَرة هكذا تقدّم على طبق إلى البرجوازيّة الجديدة . إنّها ثورة فيفري .(49) و بإمكان المرء قول إنّها ينبغي أن تتبع بأكتوبر . لكن الروزنامة غدت معتوهة : لا يأتي أبدا أكتوبر ، و يغرق الثوريّون في " الواقعيّة " ، و ينتهى التعصير مفقودا في ثنايا تراتبيّة السوق العالميّة ... و تجد البلدان المحرّرة نفسها تابعة في النظام الاقتصادي العالمي ". أو ، مثلما يضعان ذلك لاحقا ، " الدولة هديّة مسمومة للتحرّر الوطني " (50) .

هذا المقتطف أعلاه مناسب كتلخيص لمسار أنّ الغالبيّة العظمى من نضالات " التحرّر الوطني " قد سافرت ، خاصة إن كان المرء يسيء فهم " التحرّر الوطني " على أنّه يتمثّل رئيسيّا في النضال من أجل إستقلال شكليّ . في أفريقيا ، على سبيل المثال ، كامل فترة كنس الإستعمار بداية من خمسينات القرن العشرين ، وقد إنتهت حقّا فقط بتعويض نظام الأبرتايد / الميز العنصري في جنوب أفريقيا سنة 1994 ، قد صاحبتها الإيديولوجيا القوميّة . في عديد هذه النضالات ، سعى تيّار أكثر راديكاليّة لصياغة النضال بمصطلحات ماركسيّة ـ لينينيّة (و أحيانا حتّى ماويّة) ، مقدّما أحيانا هذا النوع من نضال " التحرّر الوطني " على أنّه مدخل لمرحلة إشتراكية لاحقة . و في هذه البلدان ، ما توطّد هو نظام برجوازي ، مضطهدا الجماهير الشعبيّة و مرتبطا يدا و ساقا بالنظام الإمبريالي العالمي . و بالفعل ، " لم يأت أكتوبر أبدا " .

لكن هنا مرّة أخرى ، لاحظ الإختلاف بين ما يمكن أن يتصوّره الناس عن أنفسهم ، ونوع الراية التي يرفعون لتبرير أعمالهم من جهة و من الجهة الأخرى **العلاقات التي يمثّلها هؤلاء الناس عمليّا** . و فعلا ، نلفى مشكلا كبيرا مع تنويعات القوميّة الثوريّة ألا وهو أنّها تخلط بين الماركسيّة و القوميّة و حتما تحجب المسألة المركزيّة في كلّ سيرورة ثوريّة ، حصرا مسألة ما هي الطبقة التي تقود و ما هو نوع المجتمع التي ترمي إلى إنشائه . الفهم الماوي للثورة الديمقراطية- البرجوازيّة من الطراز الجديد ، بقيادة البروليتاريا و هدفها ليس إيجاد مجتمع رأسمالي تقوده البرجوازيّة و إنّما فسح المجال أمام مجتمع إشتراكي تقوده البروليتاريا . و ليس بوسع أي نضال من أجل الثورة البروليتاريّة أن يحقّق النصر دون القتال ضد **كلّ** مظهر من مظاهر اللامساواة و الهيمنة . تمسك البروليتاريا ب**مهمّة** تحرير الأمّة إلاّ أنّها لا ترى قطعا **هدفها** محدّدا في هذا . و لسخرية الأقدار ، بيّن التاريخ أنّ الذين كان هدفهم مقلصّا في تحرير الأمّة و كانت إيديولوجيّتهم قوميّة جوهريّا غير متساوين في إنجاز المهام الحقيقيّة للتحرّر الوطني . و على سبيل المثال ، سواء تعلّق الأمر برهن كوبا نفسها أوّلا بالقصب السكّري و الآن بالسياحة أو إرتهان الموزنبيق بتصدير العمل المهاجر إلى جنوب أفريقيا ، نلمس أنّ مهمّة تحرير هذه المجموعات من قبضة الإمبرياليّة العالميّة بعيدة عن أن تكون تحقّقت . و يعزى هذا إلى كون أيّة محاولة للتحكّم في سير الاقتصاد الرأسمالي يجب بطريق الحتم أن تتوصّل إلى تسوية (" الواقعيّة " التي ألمح إليها نغرى و هاردت) مع النظام الرأسمالي العالمي . و ستخلق هذه الديناميكيّة الإقتصاديّة برجوازيّة حتّى حيث لا توجد واحدة بعدُ ، كما رأينا في البلد خلف البلد .

فقط عندما تكون مهمّة التحرّر الوطني و ما يتبعها من إعادة بناء الأمّة مرتبطة بوضوح و بشكل حيوي بتغيير كامل العالم ، ستوجد إمكانيّة تصميم قوّة تسلك طريقا مغايرا . لكن هذا الطريق المغاير يتطلّب كذلك **دولة** ، و قيادة المجتمع و القوّة الماديّة لتجاوز المعارضة الداخليّة والخارجيّة لهذا الطريق. وفي الواقع ، تحرير الأمم و تحطيم قبضة الإمبريالية، ببساطة أمر ضروري اليوم كما كان ضروريّا قبل أربعة عقود من الآن . و هذا النضال سينهض بدور هام ، إذا و إلى درجة **إرتباطه** بإيديولوجيا البروليتاريا و برنامجها و مهمّتها التحريريّة التاريخيّة العالميّة .

و من المفيد تسجيل أنّ في هذا القسم من **" الإمبراطوريّة "** لم يذكر المؤلّفان حتّى الحال البارز أين نضال التحرّر الوطني قد أدّى فعلا إلى " أكتوبر " ، و نقصد الثورة الإشتراكية وهنا نتحدّث عن الثورة الصينيّة حيث قاد ماو النضال المديد ضد الإقطاعيّة و الإمبريالية و الرأسماليّة البيروقراطيّة ليس كنهاية في حدّ ذاته بل كمدخل ضروري للثورة الإشتراكيّة . و خطر أن تعمى المهمّة الضروريّة للتحرّر الوطني الثوريين عن هدف الشيوعيّة (مفترضين وجود مثل هذا الهدف في المصاف الأوّل) (51) ، أن " لا يأتي أكتوبر أبدا " ، خطر حقيقي فعلا غير أنّ الخطر الحقيقي لا يمكن أن يوظّف كتعلّة للإخفاق في إنجاز السفر الضروري و إن كانت تحفّ به المخاطر . يجب على البروليتاريا أن تتجرّأ على المسك بقيادة التحرّر الوطني ، و على توحيد الغالبيّة الغالبة من السكّان بمن فيهم العناصر البرجوازية الوطنيّة (الواضحين و المتستّرين) الذين يكون برنامجهم حقّا فقط إرساء نظام برجوازي مستقلّ **بينما ترفض التخلّى عن قيادة الثورة لمثل هذه القوى** و تتّخذ الإجراءات اللازمة لضمان أن تشارك الجماهير الشعبيّة أكثر فأكثر في إنجاز سيرورة ثوريّة مؤدّية إلى الإشتراكية و في آخر المطاف الشيوعيّة .

لقد رفع ماو تحدّى " فكّ إرتباط " الصين بالعالم الإمبريالي المعادي و شيّد عمليّا مجتمعا إشتراكيّا كان إلى درجة كبيرة " هيكلة إقتصاديّة مستقلّة " عن و ليست تابعة للنظام الإمبريالي أو السوق العالميّة . و في مكان آخر من كتابهما **" الإمبراطوريّة "** يشير المؤلّفان إلى الصين الماويّة على أنّها أساسا مشروع " تعصير " (52) و في الواقع ، كان الشيوعيون الثوريّون في الصين يشيّدون فعلا منوالا من المجتمع مختلف كلّيا ، تماما نقيض النظام الرأسمالي الذى ظهر في أوروبا و غيرها من الأماكن . و صحيح أنّ الثورة الصينيّة شدّدت تشديدا هاما على إجتثاث بقايا ما قبل الرأسماليّة في الريف و بناء قاعدة صناعيّة و مظاهر أخرى من الحياة العصريّة ؛ إلاّ أنّ ماو لم يُضع البتّة من مجال رؤيته هدف المجتمع الخالى من الطبقات و الدور الديناميكي للشعب في النضال من أجل بلوغ هذا المجتمع ، على عكس التحريفيين ، من صنف دنك سياو بينغ ، صلب الحزب الشيوعي الصيني الذين كانوا بالفعل ينظرون إلى التعصير على انّه غاية في حدّ ذاته و الذين إستولوا على السلطة و إفتكّوها من يد الثوريين عقب وفاة ماو ، تحت يافطة تحقيق " التعصيرات الأربعة " . (53)

تواصل أهمّية الفلاّحين و المسألة الزراعيّة

في كتاب " **الحشد** " يتطرّق نغرى و هاردت إلى مسألة التغيير الذى يحرّك الرأسماليّة في فلاحة ما يسمّى بالعالم الثالث . و عنوانهما الفرعي " فترة إنحطاط عالم الفلاّحين " يكشف عن أطروحاتهما الأساسيّة ـ إضمحلال الفلاحين الذين يحدّدونهم مفهوميّا ب" أولئك الذين يعملون في أرضهم الخاصة ، و ينتجون قبل كلّ شيء من أجل إستهلاكهم الخاص ، و هم جزئيّا مندمجون و مرتبطون بنظام إقتصادي أوسع أو هم يملكون أو يمكنهم الحصول على الأرض و التجهيزات الضروريين ".(54) طبعا ، بطبقة الفلاّحين محدّدة مفهوميّا على هذا النحو الضيّق ، إستنتاجاتهما لا مفرّ منها .

يحيل المؤلّفان عن حق على أهميّة التحليل الذى أنجزه ماو إعتمادا على التمييز في صفوف الفلاّحين لا سيما إلى فلاّحين فقراء و متوسّطين و أغنياء . و في أثناء الإستقطاب صلب الفلاّحين بين الفقراء و الذين لا يملكون أرضا من جهة ، والأغنياء الذين يوظّفون غيرهم من الجهة الأخرى ، الفلاّحون المتوسّطون هو الذين ينطبق عليهم حقّا مفهوم نغرى و هاردت على أنّهم منتجون مكتفون ذاتيّا ، " لم يضمحلّوا بتاتا في السيرورة " (55). و يشير المؤلّفان إلى " تحوّل تركيز سياسة ماو تجاه الفلاّحين ـ ليس تجاه الفلاحين كما **كانوا** بل تجاه الفلاحين كما يمكن أن يكونوا ". (56)

لقد حلّل ماو بالفعل أن سير الإمبريالية قد غيّر إلى الأبد وجه الريف الصيني ، خاصة ، التمايز الطبقي في صفوف الفلاّحين . غير أنّه فهم أنّ هذه السيرورة كانت تحدث داخل إطار كانت فيه الإمبريالية الأجنبيّة تمنع الصين من التطوّر كمجتمع رأسمالي تماما ، و بالتالى تحتاج الصين أن تمرّ بثورة ديمقراطية ـ برجوازيّة لكن من طراز جديد ، بقيادة البروليتاريا لتعبّد الطريق للإشتراكيّة . و بالتأكيد لم يكن ماو " فلاّحا ثوريّا " مثلما صوّره التحريفيّون المعاصرون السوفيات أو أنور خوجا . و كما أشار نغرى و هاردت عن صواب : " الإنتصار النهائي لثورة الفلاّحين نهاية الفلاّحين " (57). و طبعا ، أبحر ماو في سيرورة حركة تعاونيّة فلاحيّة في الصين بأفق بعيد المدى هو التقليص خطوة خطوة للإختلافات بين العامل و الفلاّح و المدينة و الريف كجزء من التقدّم الشامل للثورة الإشتراكية . لكن المؤلّفان غضّا النظر عن الخطوة في منتهى الأهمّية ـ و الثوريّة ـ التي قطعتها الصين مع إعادة توزيع الأرض . أجل ، كان الهدف التحويل الإشتراكي للريف الصيني إلاّ أنّ هذا لم يكن ليتطوّر في خطّ مستقيم من التمايز (أو البلترة الجزئيّة) لقطاعات عريضة من الفلاّحين من المجتمع القديم . و للمضيّ قدما صوب المستقبل الإشتراكي ، كان من اللازم أوّلا معالجة المشكلة " القديمة " ، مشكلة الأرض بطريقة ثوريّة بتوزيع الأرض على الفلاّحين . و على هذا النحو ، أُطلق حماس الفلاّحين لتمزيق النظام الرجعي الذى كان يستعبدهم لقرون ، و كذلك جرى كسر العلاقات الإقطاعيّة القديمة في الريف كسرا حيويّا. إلاّ أنّ هذا الإجراء الثوريّ كان سيفا ذا حدّين لأنّه فتح كذلك الباب للرأسماليّة و سيرورة التمايز في صفوف الفلاّحين ، إلى فلاّحين أغنياء و فلاّحين فقراء ، و نتيجته الحتميّة تمركز الأرض بيد فلاّحين أغنياء أو مزارعين رأسماليين و تقلّص البقيّة إلى فلاحين لا يملكون أرضا . (و بالفعل في السنوات الأولى إثر الإصلاح الزراعي ، كان من الممكن رؤية مثل هذا الاقتصاد الرأسمالي أو الغني يتطوّر بسرعة في الصين).

و بالنسبة لماو ، لم يكن تكريس " الأرض لمن يفلحها " غاية في حدّ ذاتها ، بل بالأحرى كان خطوة ضروريّة تؤدّى إلى التعاون الطوعي للفلاّحين . و فقط بهذه الطريقة يمكن لحماس الفلاّحين لحركة التعاونيّات أن يُطلق العنان له تماما و يمكن ضمان **طبيعتها الطوعيّة** . و قد إختلف هذا كثيرا مثلا عن النموذج التحريفي الكوبي الذى جرى ببساطة تحويل عقارات القصب السكّري القديمة إلى مزارع دولة رأسماليّة تحريفيّة جديدة أين فيما تحسّنت بالتأكيد ظروف العمّال الفلاحيين ، في نهاية المطاف ، لم يحصل تغيّر جوهريّ في علاقاتهم العبوديّة المأجورة .

نغرى و هاردت على صواب حينما يقولان إنّ الفلاّحين التقليديين يشهدون تغيّرا ، وهما على خطأ حينما يكتبان كما لو أنّ الحاجة إلى الثورة الزراعيّة قد تبخّرت في عدد كبير من البلدان في آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة . و أكيد أنّه صحيح أنّ في الفترة منذ تحليل ماو للريف الصيني ، قد واصل تدخّل الإمبرياليّة تغييره للعلاقات الطبقيّة الريفيّة في عديد بلدان العالم الثالث . (58) لكن يجب أن يُفهم أنّ هذا لم يحدث بطريقة ذات بُعد واحد : في حين تجعل الرأسماليّة بعض مظاهر العلاقات ما قبل الرأسماليّة تتحلّل فهي كذلك قد تدمج و تعيد توطيد مظاهر أخرى .

ففي الهند مثلا ، في بعض مظاهره نظام الكاست قويّ بالبنجاب وهي منطقة من أكثر المناطق الفلاحيّة في البلاد تطوّرا رأسماليّا ، مثلما هو قويّ في مناطق أكثر تخلّفا بكثير . و في الواقع ، يمكن للفلاحة الرأسماليّة أن تستفيد وهي تستفيد من الممارسات القروسطيّة كالكاست . و واقع أنّ الرأسماليّة **تنزع** نحو تفكيك الفلاحين ليست الشيء نفسه و قول إنّها **قد ألغت** وجود الفلاّحين أو ألغت سعي الفلاّحين الفقراء و الذين لا يملكون أرضا (" أشباه البروليتاريين ") إلى حلّ **برجوازي** ، أي ، التحوّل إلى ملاكى أراضى صغار . هناك عدّة نزعات لدى الرأسماليّة تتنازع مع نزعات أخرى ، نزعات مضادة و وقائع جغرافية ـ سياسيّة . و على سبيل المثال ، ينزع رأس المال أيضا إلى دعم السلطة الرجعيّة القائمة و التعويل عليها كما نلاحظ ذلك في دعم الإمبرياليّة للشيوخ الإقطاعيين في الخليج طالما أنّ النفط يضخّ بحرّية ، و يمضى هذا ضد نزعات الرأسماليّة الأخرى نحو إعادة صياغة العالم على صورتها . عموما ، في العالم الثالث ، فقط على أساس الحلّ

الديمقراطي ـ البرجوازي لمسألة الأرض (" الأرض لمن تفلحها ") من الممكن التقدّم بإتّجاه المستقبل الإشتراكي ـ البروليتاري الحقيقي التي سيعنى فعلا الإلغاء التدريجي للفلاّحين كطبقة . لكن العمل كما لو أنّ الرأسماليّة قد ألغت بعدُ الفلاّحين و تطلّعات الفلاّحين سيكون محاولة لبناء مجتمع جديد على رمال متحرّكة .

في البرازيل اليوم ، نسبة قليلة تساوى 20 بالمائة من الناس تعيش من الفلاحة . لكن يمكن أن نلاحظ أيضا أنّ حركة الذين لا يملكون أرضا أهمّ نضال في البلاد ضد النظام الرجعي و قد جلبت إليها مساندة واسعة من الجماهير في المناطق المدينيّة كذلك . و يشرح نغرى و هاردت هذه المساندة بقول إنّ خصوصيّات الفلاّحين قد إنتشرت في أوساط الجماهير عامة أو " حشد " المنتجين البرازيليين . بيد أنّ هناك تفسير آخر ، أصحّ : لا تزال المسألة الفلاحيّة في البرازيل تركّز و تمثّل نموذجا إلى درجة كبيرة من " الثورة الديمقراطية الجديدة " ضد الإمبريالية و الإقطاعيّة ، التي لم تتحقّق بعدُ في تلك البلاد بمشاركة الغالبيّة العظمى من السكّان و كذلك من لا يملكون أرضا .

IV – قانون القيمة و " العمل غير المادي "

في موقع المركز من أطروحة كتاب " **الإمبراطوريّة** " و موضوع عاد إلى تناوله كتاب " **الحشد** " بصورة مطوّلة أكثر ، توجد حجّة أنّ " العمل غير المادي " هو الآن الشكل المحدّد للعمل على كوكب الأرض. يرى المؤلّفان هذا كمسالة نوعيّة، ليس كمّية ، مقترحين مقارنته بدور العمل الصناعي في القرن التاسع عشر ، الذى هو و إن جعل العمل الفلاحي يتضاءل كمّيا ، غدا مميّزا لكامل الحقبة و تغيّر الشكل الذى تجرى به أشكال أخرى للعمل كالفلاحة و الصناعات التقليديّة و يحاججان بأنّ العمل غير المادي اليوم ، بكلمات أخرى ، العمل الذى لا ينتج أشياء ماديّة ، يهيمن و يصبغ الأشكال الأخرى من العمل التي تستمرّ في الوجود (الصناعيّة و الفلاحيّة) .

هنا أيضا ، ثمّة سبب للماذا ملاحظات نغرى و هاردت و حججهما " تبدو صحيحة " للكثير من الناس . و فعلا ، إنّه لواقع أنّ مجالا هاما متصاعدا بسرعة من الإنتاج يشمل أشكالا متنوّعة من " العمل غير المادي " ، على غرار إنشاء برامج حواسيب . ليس فقط أنّ هذا المجال عينه هام جدّا في الرأسماليّة المعاصرة (و نعلم أنّ عددا من أوسع المؤسّسات و أكثرها ديناميكيّة اليوم في هذا الحقل ، مكروسوفت ، هي المثال النموذجي ، لكن تقدّم صناعة الحواسيب لا تؤثّر في نوعيّة العمل في عدّة حقول و الطريقة التي بها يتفاعل الناس في سيرورة الإنتاج . و لهذا أيضا تأثير على العلاقات الطبقيّة . و على سبيل المثال ، عادة ما يحوّل الصحفيّون قصصهم إلى ملفّات حواسيب و هكذا يلغون الحاجة إلى الكتبة التقليديين من الجيل السابق . و يحاجج المؤلّفان كذلك بأنّ صناعة الحواسيب و التقدّم في الاتصالات (الأنترنت إلخ) قد أدّيا إلى جعل الإنتاج ينجز وفق " شبكات " – روابط نسبيّا مرنة و رخوة بين الناس و لا تتطلّب مراقبة تراتبيّة صارمة .

المشكل هو أنّ نغرى و هاردت يحاولان إستخدام فهمهم ل " العمل غير المادي " للمحاججة بأنّ ذات مفهوم " تبادل القيمة" لم يعد له أيّ معنى . لقد صاغ ماركس و إنجلز " نظريّة قيمة العمل " لشرح كيف يتمّ تبادل مختلف السلع ـ لماذا ثمن أوقية ذهب أعلى من لتر من الحليب مثلا . بإختصار ، بيّنا أنّ سعر أيّة سلعة معطاة ، بصفة عامة ، سينزع إلى الدوران حول قيمتها التبادليّة التي تمثّل " وقت العمل الضروري إجتماعيّا " الذى إستغرقه إنتاج هذه السلعة . و يحاجج نغرى و هاردت بأنّ العمل غير المادي قد ألغى مفهوم تبادل القيمة على أنّه يمثّل وقت العمل المجمّد . و بالفعل ، يؤدّى بهما فهمهما للعمل غير المادي إلى إستبعاد أعمدة أخرى من الاقتصاد السياسي الماركسي كذلك هي حيويّة لفهم الرأسماليّة اليوم.

و يحاجج نغرى و هاردت بأنّ عديد مجالات الإنتاج غير المادي لا يمكن أن تتمّ إلاّ كجزء من سيرورة جماعيّة لا نستطيع تقليصها إلى مجرّد نشاط إستغلال قوّة العمل و يحاجج نغرى و هاردت بأنّ سيرورة العمل لا تتطلّب رأسمال " لتدبّر الإنتاج " : " اليوم يتّخذ الإنتاج و الثروة و خلق الفائض الاجتماعي شكل تفاعل تعاوني من خلال شبكات لغويّة و تواصليّة و حسّية مؤثّرة . و في التعبير عن طاقاته الخلاّقة الخاصة ، هكذا يبدو أنّ العمل غير المادي يوفّر إمكانيّة نوع من العفويّة و الشيوعيّة الأساسيّة " (60) . و يسترسلان : " أساس الفهم الكلاسيكي المعاصر للملكيّة الخاصة يتحلّل هكذا إلى درجة معيّنة في نمط إنتاج ما بعد الحداثة " (61) أو كما يؤكّدان في " **الحشد** " ، " قدراتنا التجديديّة و الخلاّقة أكبر دائما من عملنا المنتج ـ المنتج ، أي ، رأس المال . عند هذه النقطة ، يمكننا أن نعترف بأنّ هذا الإنتاج البيوسياسي من ناحية **غير ممكن قياسه** لأنّه لا يمكن تقديره في كمّيات قارة من الوقت ؛ و من ناحية ثانية ، هو دائما مفرط مقارنة بالقيمة التي يمكن أن يستخرجها منه رأس المال لأنّ رأس المال ليس بوسعه القبض على كلّ ما في الحياة . لهذا علينا أن نعيد النظر في فهم ماركس للعلاقة بين العمل و القيمة في الإنتاج الرأسمالي ". (62)

و لنلقى نظرة مرّة أخرى على مسألة اللغة لنسلّط الضوء على ما يحاجج من أجله نغرى و هاردت . صحيح أنّ تطوّر اللغة يعنى كافة المجتمع و أنّ هذا لا نستطيع تقليصه إلى إنتاج هو تطبيق مباشر لقوّة العمل المشتراة و المنظّمة من قبل الطبقة الرأسمالية ، ولا هي عبر شراء و بيع السلع و قوّة العمل لكن ب " تملّك ما هو مشترك " . (63) اللغة ذاتها ليست سلعة ، لا " قيمة " لها بالمعنى الماركسي ، أو بتحديد أدقّ ، لا " قيمة تبادليّة " لها . و طبعا ، اللغة واحدة من الأصول الأهمّ و المتطوّرة بإستمرار في المجتمع لكن مثلما يقرّ بذلك بطريقة صحيحة هذان الكاتبان ، لا تتطوّر بالأساس عبر العلاقات السلعيّة ، عبر بيع و شراء السلع ، بما في ذلك قوّة العمل ذاتها . لقد وُجدت اللغة طالما وُجد البشر و حتّى بعد مدّة طويلة من قبر الإنتاج السلعي و القيمة التبادليّة سيواصل الناس تطوير اللغة و الأدب . لكن حينما يتمّ تطوير لغة داخل المجتمع الرأسمالي ، هذا المظهر المركزي للمجتمع الإنساني **ليس بوسعه أن ينأى بنفسه عن كامل البيئة الإجتماعيّة للإنتاج السلعي** الذى يتخلّل المجتمع بأسره . و عندما تتحوّل اللغة إلى سلعة ـ على سبيل المثال ، عندما ترفع القدرة على تكلّم الأنجليزيّة من مستوى تبادل قيمة قوّة عمل شخص (أي أجره) ، عندما تزدهر معاهد اللغة الأنجليزيّة من المستوى الأوسط كلّ كمصدر ربح و وسيلة للتمييز الطبقي في عدّة بلدان ، عندما يجرى تبادل مناجد أو أعمال ثقافيّة و فنّية تنظّم تطوّرات اللغة التي أنتجتها الجماهير ، بساحة السوق ، تصبح هذه المنتوجات الاجتماعية بالفعل سلعا تمتلك فرديّا ، تشترى و تباع و يشملها قانون القيمة . إنّ الآليّة التي من خلالها تستغلّ الرأسماليّة ليست سوى نظام الإنتاج السلعي : خارج هذا الإطار من الشراء و البيع ، ليس للحديث عن الإستغلال الرأسمالي أي معنى علمي حقيقي .

و يبيّن الاهتمام الكبير للإمبرياليين ب " حقوق الملكيّة الفكريّة " أنّ " ظلّ " العلاقات البرجوازيّة يجب أن يمزّقه الوعي و العمل القويّ للبروليتاريا و أنّ هذه العلاقات لن تتحلّل ببساطة عفويّا إلى الفضاء الألكتروني . و تبرز عبثيّة الملكيّة الفرديّة بحدّة أشدّ مثل سيرورة الإنتاج عينها ، حتّى مقيّدة و موجّهة من قبل الرأسماليّة ، لا تتطلّب تفاعلا ناميا أبدا بين الناس و الأفكار في مجتمع معيّن و عبر العالم ، كما يحاجج كتاب " **الإمبراطوريّة** " بقوّة . لهذا من الأهمّية بمكان بالنسبة للرأسماليّين أن يتملّكوا و يعدّلوا و يوجّهوا ؛ " يتاجروا " في الفهم و التطوّر الذى تتقدّم به صفوف الجماهير .

و في إنتاج برامج الحواسيب ، من الصحيح كما يشير إلى ذلك المؤلّفان ، أنّ التفاعل المباشر و غير المباشر للفاعلين الذين لا عدّ لهم و لا حصر هو مرتكزات البناء التي عليها تخلق المنتوجات . و هذا بديهي بوجه خاص في حركة " المنبع المفتوح " التي تحيل على جهود مهندسي الحواسيب و غيرهم للقتال من أجل أن توجد كلّ شفرة منابع برامج الحواسيب في المجال العام و لا تكون موضوع حقوق فكريّة . و حتّى أو ربّما خصوصا ، ثروة تجربة مستعملى برامج الحواسيب و شكاويهم و الحلول التي يجدونها للفيروسات و هكذا ، جميعها تغدو جزءا من السيرورة الجماعيّة التي تدخل ضمن إنتاج برامج الحواسيب . و ينتبه نغرى و هاردت إلى هذه " الشيوعيّة العفويّة " لكن ما يبيّن بالأساس هو أنّ ظلّ الرأسماليّة يخنق قدرة الناس على الإنتاج و أنّه مهما كانت القنوات عفويّة و خلاّقة و شبكات الناس تخلق لإنجاز الإنتاج و التجريب و البحث العلميّين ، ستنجز عموما تحت جناح الرأسماليّين ، أو هناك خطر خنقها تماما .

في عالم اليوم ، وحدهم الرأسماليّون في موقع يخوّل لهم تغيير منتوجات عمل الناس و مبادرتهم إلى منتج قابل للبيع ، و طالما أنّ الرأسماليّة موجودة ، فإنّ المنتوجات التي لا يمكن أن تكون مربحة في بيعها لن يتمّ إنتاجها . و مثلا ، إحدى أكبر جرائم الرأسماليّة هي مدى قلّة توجيه موارد العالم بإتّجاه الوقاية من الملاريا و علاجها ، وهي مرض يقتل الملايين سنويّا ، في حين أنّ بليارات الدولارات قد أنفقت للبحث عن الفيغرا و تسويقها . والفيغرا دواء باهض الثمن للزيادة في قدرة الأداء الجنسي لدى الرجال . و طالما أنّ نظام الربح يواصل هيمنته على المجتمع ، فإنّ هذه الأنواع من الإستعمال السيىء لإستثمار الموارد البشريّة لا مناص منها و إقتراح مخارج لتلبية الحاجيات الاجتماعية الحقيقيّة لن تطبّق .

الرأسماليّة بالتأكيد لصوصيّة لكنّها نوع خاص من اللصوصيّة ، نمط إنتاج خاص . و نمط الإنتاج هذا يعنى ، أجل ، تأجير أصناف متباينة من الناس (" راس مال متغيّر ") و تنظيم جهودهم و مصادرة نتاج العمل الجماعي . و يتحدّد " تبادل قيمة " هذه السلع التى يتمحور حولها سعر بيعها الراهن ، بالفعل أساسا بقانون القيمة ، بكمّية " وقت العمل الضروري إجتماعيّا " الذى ينطوى عليه منتوجهم ، أو إن أردنا صياغة ذلك بكلمات أخرى ، لنأخذ بعين الإعتبار الحجّة العقلانيّة لنغرى و هاردت بأنّ الكثير ممّا ينتهى في المنتوج الرأسمالي ليست نتيجة مباشرة للإستثمار الرأسمالي ، يمكننا أن نقول إنّ القيمة التبادليّة تشمل أيضا ذلك الكمّ من وقت العمل الضروري إجتماعيّا الذى يمضى في التملّك و الخصخصة و المنهجة و التعبأة في القوارير و تسويق المنتوج يوجد خارج العلاقات الرأسماليّة مفسّرة بالمعنى الأكثر صرامة .

و لنضرب مثالا على ذلك . يُتباول الماء في مجتمع جبلي ليس كسلعة تشترى و تباع فالماء هناك متوفّر للإستهلاك فقط ، لا يملك قيمة تبادليّة بل قيمة إستعماليّة و حسب . و إن أقامت مؤسّسة رأسماليّة مصنعا لتعبأة قوارير بهذا الماء النقيّ و باعته إلى سكّان المدن ، ستتحدّد القيمة التبادليّة للماء بتكليف إقامة المصنع و قوّة العمل المستخدمة في سيرورة تعبأة القوارير و النقل و تكاليف إضافيّة أخرى مثل الإدارة و الإشهار فقط . لذا مجرّد تناول الماء الذى لا قيمة تبادليّة له يتحوّل

إلى سلعة يفعل فيها قانون القيمة فعله . و لماذا لا يستطيع سكّان المدن ببساطة أن ينظّموا أنفسهم و إخوانهم و أخواتهم القاطنين بالجبال لتوزيع الماء النقيّ إلى الذين يحتاجون إليه ؟ الإجابة البسيطة هي الرأسماليّة ـ يملك الرأسماليّون و يتحكّمون في نقل و توزيع المرافق و هم وحدهم الذين يملكون الرأسمال الضروري لبناء مصنع تعبأة قوارير و وحدهم يستطيعون حشد قوّة العمل الضروريّة لإنجاز كامل السيرورة و التحكّم فيها . لذا ، حتّى إن كان للجميع " حقّ متساوي " في مياه الجبال ، يمكننا مشاهدة أنّ الطبقة الرأسماليّة وحدها بمستطاعها التمتّع بهذا الحقّ . و للمضيّ بهذا خطوة أخرى ، إذا كان بعض الرجال و النساء من ذوى النوايا الحسنة تجمّعوا لتشكيل نوع من التزويد بالمياه التعاوني ، لن يتمكّنوا من النجاح في هذا المشروع إلاّ بالدرجة التي **يصبحون فيها هم أنفسهم رأسماليّون** ، و أيّة جهود يبذلونها لتجاهل أو تجاوز قانون القيمة مثلا بتقديم الماء إلى الفقراء و المحتاجين ، ستُحطّمها " اليد الخفيّة " للسوق الراسماليّة السيّئة السمعة . و بالفعل ، الجهود التعاونيّة المتكرّرة في البلد بعد الآخر قد بيّنت أنّ الخيار الوحيد هو الإلتحاق بالمجموعة أو السحق .

و لننظر بشكل أعمق في منتجى برامج الحواسيب لدى نغرى و هاردت و حجّتهما بانّ " القيمة " تنتج و يقع تملّكها حتّى و إن كانت القيمة التبادليّة قد ألغيت بما أنّ هذا الإضمحلال المزعوم للقيمة التبادليّة هو الذى يقع في موقع القلب من إعادة تحديدهم للإستغلال الرأسمالي . لكن شفرة المنبع المستعمل في برمجة الحواسيب مهما كانت لامعة و مهما كانت مفيدة ، لا يمكنها أن تصنع ربحا للرأسمالي إلاّ إذا و متى تحوّلت إلى سلعة قابلة للتسويق ، أي شيء يتمّ تبادله مقابل مال ، سواء بواسطة مؤسّسة مشروع رأسماليّة أم عملاق برامج حواسيب . و في الواقع يحدث هذا كلّ يوم . و الجدير بالملاحظة هو أنّه حتّى إن عارضت مكروسوفت و بعض عمالقة برامج الحواسيب الآخرين بشراسة حركة " المنبع المفتوح " (لجعل شفرة المنبع متوفّرة مجانا للجمهور) ، فإنّ مجموعات رأسماليّة كبرى أخرى ، مثل حواسيب سان ، و جدت طرقا لتحقيق أرباح ضخمة بالضبط عبر " تملّك " العمل الخلاّق للآخرين . و ليس بإمكان هذه المنتوجات أن تخرج عن سير الرأسماليّة و سوقها ؛ عامة ، إن لم تجد مؤسسة طريقة للربح المباشر أو غير المباشر من هذا المنتج ، حتّى أكثر التطبيقات فائدة يرجّح وضعها على الرفّ و نسيانها . و من الأكيد أنّ نغرى و هاردت على صواب بلفتهم الإنتباه إلى واقع أنّ قسما هاما و متزايدا من الاقتصاد العالمي يبيع **خدمات** و ليس سلعا . لكن أهمّ شيء نشدّد عليه هو أنّ الخدمات كذلك ، لا مهرب لها من قانون القيمة ؛ إنّها تتبادل (تباع) بثمن يعكس تلك الكمّية من وقت العمل الضروري إجتماعيّا (64) لإنتاجها . و دون خبرة و معرفة إستعمالها(والتي هي غالبا محتكرة و منظّمة و **مباعة** من قبل الطبقة الرأسماليّة) شفرة المنبع لا معنى لها و ثرثرة وهي متوفّرة بمساواة أكبر للجماهير من " الحقّ المتساوي " للجميع في قضاء عطلهم على الريفيارا الفرنسية .

ومن الصحيح أنّ التعاون الخلاّق أكثر يحدث عبر " الشبكات " غير الرسميّة (مثلا ، مجموعات النقاش على الأنترنت) لكن غير صحيح أنّ هذه الشبكات نوعا ما تتخلّص من الواقع الإجتماعي للملكيّة الخاصة و التملّك الخاص ، أو تقسيم العمل في المجتمع الرأسمالي . نغرى و هاردت غير قادرين على رؤية يد رأس المال تعزف السنفونيّة حتّى و إن إعتقد بعض الموسيقيين أنّهم يتبعون ميولهم العفويّة لا غير . " المركز " موجود بالفعل و إستقلاليّة العاملين مطبّقة في و موجّهة في النهاية من قبل النظام الرأسمالي و طبقة رأسماليّة تسير بدرجة كبيرة حسب " قانون القيمة " الذى يريد هذان الكاتبان تحديده خارج الوجود .

و يرفض الكاتبان صراحة أيّ تمييز متواصل بين القيمة الإستعماليّة و القيمة التبادليّة لكن قانون القيمة ما إنفكّ لا محالة يحكم المجتمع الرأسمالي و يحدّد الأسعار و الأجور و الأرباح و الإستثمارات إلخ من خلال آليّة معقّدة خصّها ماركس بثلاثة مجلّدات من كتابه " **رأس المال** " لتوضيح جوانبها . و بالفعل ، هذا التناقض الذى إكتشفه ماركس على مستوى السلعة و الذى رسمه بعد ذلك عبر دراسته للإقتصاد الرأسمالي ، يحتلّ إلى درجة كبيرة موقع القلب من كامل الرؤية العالمية لماركس و مقاربته و ماديّته . قد يكون المرء تمنّى أن تكون هذه " الإكتشافات " ذات الأهمّية الكبرى – إضمحلال التمايز بين القيمة الإستعماليّة و القيمة التبادليّة و بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج – قد قُدّمت بصفة منهجيّة و تمّت المحاججة من أجلها و ليس فحسب تأكيدها . لقد أخفق نغرى و هاردت في توفير تفسير لكيف يسير النظام الرأسمالي دون تعديل قانون القيمة و ما يوفّر للنظام إنسجامه و يحدّد حركته .

و فعلا ، بينما برزت مظاهر هامة ، القوانين الأساسيّة للرأسماليّة التي نبعت من الإنتاج السلعي و تحويل العامل نفسه أو العاملة نفسها إلى سلعة لم يقع تجاوزها . و من الأكيد أنّه ليس دائما الحال أنّ التجديد التقني هو النتيجة المباشرة لتنظيم رأس المال للعمل و البحث . بل الحال هو أنّه طالما أنّ الرأسماليّة تسود المجتمع ، سيوجّه إبداع الإنسانيّة و يرتبط بحاجيات رأس المال و إلى درجة كبيرة ، يقمع حينما لا تتمّ تلبية هذه الحاجيات . و مجدّدا ، ما نراه متناغما مع و تطوّرا أبعد للوضع الأساسي الذى حلّله لينين في كتابه " **الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية** " هو التالى : الظروف الماديّة للإشتراكية و الشيوعية يوفّرها حتّى أكثر سير الرأسماليّة ذاتها بما في ذلك و حتّى خاصة بنموّها إلى مرحلة الرأسمالية

الإحتكاريّة ، الإمبريالية ، لكن القدرة الإنتاجيّة للمجتمع تدخل حتّى بصفة أحدّ في نزاع مع طريقة تنظيم الرأسمالية للمجتمع و علاقات الإنتاج التي تمثّل " قيدا " ، كابحا لقدرة البشريّة على الإنتاج و تغيير العالم . لكلّ أوقية من " الطاقة الإبداعيّة " التي كشفتها الرأسماليّة المعاصرة التي يودّ نغرى و هاردت تسميتها بالإمبراطوريّة ، فإنّ قدرا كبيرا جدّا من مثل هذه الطاقة يجرى خنقه . و ليس المشكل ، كما يحاجج المؤلّفان ، " إعادة النظر في مفهوم ماركس للعلاقة بين العمل و القيمة في الإنتاج الرأسمالي " ؛ و إنّما مهمّة المجتمع الإنساني هي تخطّى العصر الذى يظلّ فيه الإنتاج السلعي مهيمنا و تقلّص فيه ذات قدرة الإنسانية على الإنتاج إلى سلعة (قوّة عمل).

تحليل طبقي مضطرب

عند نقطة محدّدة من كتاب " **الحشد** " يصرّح نغرى و هاردت بمزيد من التفاصيل بشأن من يتحرّكون في مجال " الإنتاج غير المادي ": ضمن أشياء أخرى ، " مقدّمو الأطعمة و الباعة و مهندسو الحواسيب و الأساتذة و عمّال الصحّة ". (66) و هنا تأتى إلى ذهننا نقطتان : أوّلا ، النقطة البديهيّة هي أنّهما يمحوان الإختلاف بين البروليتاريا و الطبقات الوسطى (عمّال سلسلة همبورغر ماك دونالد الذين يعملون مقابل الأجر الأدنى يوضعون في نفس صنف مهندسي الحواسيب الذين يمثّلون فئة لها إمتيازاتها في جميع البلدان). هذا الصنف من التحليل الطبقي ليس جديدا . فعوامل مثل مستوى الدخل و الدور في التقسيم الاجتماعي للعمل يجرى فسخها . و على سبيل المثال ، لا شيء أكثر تراتبيّة من المستشفى الغربي المعاصر . و ليس فقط أنّ مستويات الدخل متباينة بشكل كبير و بشكل لا يتصوّر بين المنظّفين و جرّاحي الدماغ بل إنّ الإختلافات بين العمل اليدوي و العمل الفكري ، بين الذين يقرّورن و الذين ينفّذون الأوامر ، صارخة للغاية . و من وجهة نظر التحليل الطبقي ، هناك قيمة ضئيلة لخلط جميع موظّفى المستشفى معا في صنف واحد من " عمّال الصحّة " . إن كانت لدينا فكرة واضحة عن من يمكن بالأحرى أن يكون القوّة المحرّكة للثورة و ما هي السياسات التي ينبغي تبنّيها لضمان دعم أو حياد قوى أخرى ، و لتشخيص أين يمكن أن نتوقّع مقاومة و معارضة عنيدتين و ما هي التغييرات اللازمة لأجل القضاء على الطبقات و بلوغ مجتمع خالي من الطبقات ، من الضروري أن يكون لدينا تحليل طبقي دقيق .

و كلّ تحليل طبقي يجب أن يستمرّ في إيلاء أهمّية كبرى للإنقسام الذى حلّله لينين في صفوف جماهير البروليتاريا و الأرستقراطيّة العمّاليّة . (الأرستقراطية العمّاليّة فئة من البروليتاريا " تلقّت رشوة " من الأرباح الضخمة التي يقدر الإمبرياليّون على إستخلاصها من البروليتاريا و الجماهير في البلدان المضطهَدَة). و يزعم نغرى و هاردت أنّ في فترة " تداعى الإمبرياليّات " التي يؤرخوان لها منذ 1970 ، " الإمتيازات " الإمبريالية لأيّة طبقة عاملة قوميّة قد بدأت بالإندثار " . (67) و حتّى دراسة بدائيّة للمجتمع الإمبريالي المعاصر تبيّن أنّ مثل هذه الإمتيازات موجودة فعلا و أنّ هذه الرشوة تؤثّر على فئات كاملة من السكّان و ليس على مجرّد حفنة منهم و أنّه مأخوذة ككلّ هذه الفئات تخدم كقاعدة إجتماعيّة للإمبريالية و الرجعية . أمّا بالنسبة للأساتذة و الأطبّاء فإنّ ظروف عملهم و حياتهم (دورهم في تقسيم العمل و حصّتهم من التوزيع) تجعلهم أكثر جزءا من طبقة أو طبقات وسطى متباينة بصرف النظر عن عدد النقابات التي يمكن أن تكون لهم . نغرى و هاردت على حقّ في حديثهما عن ضرب من " الإلتقاء " بين نضال البروليتاريا في الغرب و أولئك في البلدان المضطهَدة ، وهو ما حدث في تمرّدات ستّينات القرن العشرين و سبعيناته ؛ و في نقدهما للنظريّات " العالم ثالثيّة " التي تقول " إنّ التناقض الأوّلى و العداء الأوّلى في النظام الرأسمالي العالمي هو بين رأس مال العالم الأوّل و عمل العالم الثالث . و إمكانيّة الثورة هكذا تكمن مباشرة و حصريّا في العالم الثالث ". (68) لكن بناء الوحدة العالميّة الحقيقيّة للبروليتاريا لا يمكن أن يتمّ بتجاهل البون الشاسع في العالم بين البلدان المضطهِدة و البلدان المضطهَدة أو رفض رؤية أنّ هذا الواقع قد أثّر في الهيكلة الطبقيّة للبلدان الإمبريالية .

و بدلا من تجريد البروليتاريا [أو نزع ماديّتها – المترجم] – تحويلها إلى " حشد " لاطبقي – يجب أن ننظر في ما إذا كانت الظواهر العمليّة التي يصفها المؤلّفان بشأن ظهور العمل غير المادي تعكس بلترة أو بلترة جزئيّة لصناعات الخدمات و حتّى بعض الأشغال ذات إمتيازات كبرى . مثلا ، أضحت سلسلة مطاعم ماك دونالد الأمريكيّة شبكة واسعة من المصانع الصغيرة المنتجة للهمبورغر على نطاق صناعي بالتقنيات الأكثر حداثة ، و في عدّة بلدان غربيّة أمسى الإستهلاك الجماهيري للأكلات السريعة محوري في بقاء قوّة العمل على قيد الحياة أو لوضع ذلك بكلمات إقتصاديّة ، إعادة إنتاج قوّة العمل (ما يفضل المؤلّفان تسميته ب " الإنتاج البيولوجي ")(69) . و أولئك العاملون في الماك دونالد يشتركون في القليل مع المحاسبين و يشتركون أكثر في الكثير مع عمّال المصانع ذات خطّ تركيب ، بما في ذلك في طغيان رئيس العمل و زمن الساعة .

كتب المؤلّفان : " عالميّة الإبداع الإنساني ، و خلاصة الحرّية و الرغبة و العمل الحيّ ، هي أنّها تحدث في لامكان من علاقات الإنتاج ما بعد الحداثة . الإمبراطوريّة هي لامكان الإنتاج العالمي حيث يجرى إستغلال العمل " . (70) و " علاقات الإنتاج ما بعد الحداثة " هكذا نلفيها في كلّ مكان و في لامكان . و لدعم حجّتهما ، ينبّهان إلى أنّ مثل

ممارسات العمل هذه كالساعات المرنة و إلى واقع أنّ العديد من الذين ينخرطون في " العمل غير المادي " يحملون عملهم معهم إلى منازلهم ، إن صحّ القول . و على سبيل المثال ، بوسع مستشار إشهار أن يفكّر في شعار جديد في أي وقت من اليوم أو الليل . أو لننظر في كيف أنّ نموّ الأنترنت قد جعل ممكنا توزيع الكثير من عمل الكتابة على أناس يشتغلون في منازلهم أو حتّى في الجانب الآخر من العالم .

دور الفرد في تقسيم العمل في المجتمع و حصّته من توزيع الإنتاج الاجتماعي (أي دخله) سيكون لهما تأثير كبير على العلاقات العمليّة التي تمثّلها حقّا مثل هذه الأنواع من الأوضاع و كيف أنّ الشخص يرتئى ذلك . و قد يطرأ شكّ صغير في أنّ ساعات عمل ضارب على الآلة الكاتبة يوميّا يفترض إدخال مادة متكرّرة إلى حاسوب ، سيدرك بسهولة تماما الإختلاف بين الزمن المقضّى في العمل من أجل رأس المال و ساعات ترفيهه أو ترفيهها . و لن يشاطر نغرى و هاردت إستخلاص أنّ " الوحدة الزمنيّة للعمل كمقياس أساسي للقيمة لم يعد لها معنى اليوم ". (71) عدم إدراك الفرق بين وقت الإستغلال و الحياة نفسها ، لسوء الحظّ ، إمتياز تتمتّع به فئة قليلة من الذين يمنحهم موقعهم في التقسيم الاجتماعي للعمل مسؤوليّة الإبداع و الإشتغال بالأفكار و تطوير ثقافة و ما إلى ذلك . صحيح أنّ الظروف الماديّة قد وُجدت حيث إستعارة ماركس عن الإنسان الشيوعي المستقبلي الذى سيقسّم يومه بين العمل المنتج و القراءة و الصيد للمتعة ، قد تبدو في المتناول تماما . و مع ذلك ، هذه الإمكانية العالقة جدّا ،لا يمكن أن تتحقّق أبدا بالنسبة للجماهير الشعبيّة في ظلّ الرأسماليّة و إنّما فقط بإجتثاث و تحطيم قوانين الرأسماليّة التي أعلن نغرى و هاردت أنّها لم تعد مختلّة نوعا ما قبل نضج ذلك .

أجر مضمون إجتماعيّا

إستنتاج الكاتبان و رؤيتهما غير الثوريّة في نهاية المطاف تتكشّف في نقاشهما للنضال من أجل " أجر إجتماعي " . من الصحيح أيضا أنّ أعدادا كبيرة من الناس في المجتمع تساهم في إنتاج القيمة دون الحصول على علاقة أجر مباشرة مع الرأسمالي . و المنظّرات النسويّات التقدّميّات قد شدّدن لمدّة طويلة على أن تنشأة الأطفال مثلا تلعب دورا مركزيّا في إعادة إنتاج الطبقات الشغّيلة وهو بالتالى شكل من العمل غير مدفوع الأجر . و كذلك ، في عدد من البلدان على النطاق الضيّق ، يُوفّر الإنتاج اللارأسمالي إعالة أسرة (و بالتالى إعادة إنتاج) العامل جاعلا من الممكن للمشغّل الرأسمالي أن يدفع أقلّ من القيمة العمليّة لقوّة العمل التي يشتريها . (72) هذه الحقيقة عينها لا تُنكر السير الأساسي للرأسماليّة . بالأحرى هي تبيّن أنّه عندما تهيمن الرأسماليّة على مجتمع ، فإنّ العلاقات الأخرى تخضع لها و تتشكّل وفقها . و حلّ هذا لا يكون إلاّ إلغاء الرأسماليّة ذاتها .

و يستمرّ نغرى و هاردت الذين يقلّصان البروليتاريا إلى العمّال الصناعيين في الجدال و يستبعدان بالخصوص الفقراء و المعطّلين عن العمل . و يحاججان بأنّ كلّ الجماهير تشملها سيرورة إنتاج القيمة ، سواء إشتغلت أم لم تشتغل (" التقسيم الإجتماعي بين العاملين و المعطّلين عن العمل يمسى شيئا غير واضح " (73)) . و هناك قدر كبير من الحقيقة في ملاحظات المؤلّفان ونقدهما للنقابات(وموقفها الأخير إزاء الفقراء وكذلك إزاء الجماهير " جنوب الكوكب ").

و يندّد مقطع هام من كتاب " **الإمبراطوريّة** " بما يسّميه نغرى و هاردت " التيّار المهيمن للتقليد الماركسي الذى كان عادة يكره الفقراء ، تحديدا لكونهم " أحرار كالعصافير " ، لكونهم يمانعون إنضباط المصنع و الإنضباط الضروري لبناء الإشتراكيّة " (74) . و في الواقع ، صحيح أنّ التيّارات التحريفيّة و الإشتراكية – الديمقراطية في " التقليد الماركسي " إقترفت إنحرافات من هذا القبيل . وليام زاد فستار ، قائد من الحزب الشيوعي للولايات المتحدة الأمريكيّة ، طوال الكثير من تاريخه في بداياته ، ندّد بعمّال الصناعة في العالم (IWW) على أنّهم يعتمدون على فئة عمّاليّة " غير مستقرّة ".(75) و بالرغم من كوننا لا نشاطر تقديس نغرى و هاردت القريبين من الفوضويّة النقابيّة لعمّال الصناعة في العالم ، واقع أنّ نقابة عمّال الصناعة في العالم نهضت بدور هام في بناء فئة ثوريّة من البروليتاريا في الولايات المتحدة أثناء فترة ما قبل و ما بعد الحرب العالمية الأولى و التنظيم الذى أنشأته في صفوف عمّال النسيج ، و عمّال المزارع المهاجرين قد نهض بدور أكثر ثوريّة من النقابات الضيّقة الفكر التي عوّلت كثيرا جدّا على فوستار . لكن رؤية أنّ للبروليتاريا شأن في إستقرار النظام الرأسمالي لا يمكن أن توضع على عتبة ماركس و إنجلز أنفسهما هما اللذان وصفا بروليتاريا مجتثّة من صناعة أو بلد و تعتصرها آلة الربح الرأسماليّة فقط طالما هي مربحة للطبقة الرأسمالية . و قد شدّد ماركس و إنجلز على أنّ الطبقة العاملة " لم يكن لها ما تخسره سوى قيودها ". و وصف إنجلز للطبقة العاملة في أنجلترا لا يلتقى قط مع وجهة نظر العامل الأرستقراطي التي تهيمن على " حركة العمّال " هنا .

إنّ الاقتصاد السياسي لنغرى و هاردت يجبرهما على المطلب البرنامجي الذى يعدّونه ثوريّا جدّا ، مطلب " أجر مضمون للجميع ". بعض النسويّات و حسب منطق مشابه لمنطق نغرى و هاردت قد رفعن مطالبا بدفع الطبقة العاملة لأجر مقابل الشؤون المنزليّة . و عمليّا ، هذه الأصناف من المطالب هي في آن معا طوباويّة و إصلاحيّة بعمق ، هي طوباويّة لأنّه

طالما أنّ قانون القيمة لا يزال يتحكّم في المجتمع ، و الحال كذلك مهما سعى نغرى و هاردت إلى إنكارها ، من غير الممكن ضمان أجر حياة كريمة خارج ظروف الإنتاج السلعي . وهي إصلاحيّة لأنّ مثل هذه المطالب لا تتحدّى النظام الرأسمالي . في عدّة بلدان أوروبيّة توجد مثل هذه الضمانة للدخل (رغم أنّها في ظروف فقر معشّش) و الجميع بإستثناء هام للمهاجرين " غير القانونيين " مؤهّلون للتمتّع بها . و بإمكان الرأسماليّة أن تواصل السير مع " الدخل المضمون " ، و عندما يواجه الرأسماليّون إنهيارا في عدد السكّان يعملون حتّى أحيانا على دفع حوافز ماليّة ذات دلالة للنساء كي تعود إلى دورهنّ التقليدي ك " مربّيات أطفال " . (76)

و يخفق كاتبانا في الإقرار بانّه طالما وُجدت الرأسماليّة و طالما أنّ قوّة العمل ذاتها سلعة يتمّ تبادلها بواسطة المال ، أي ، تشترى و تباع ، فإنّ قوّة العمل نفسها ستتحدّد بقانون القيمة . لهذا الإصلاحيّون الإشتراكيّون الديمقراطيّون ، عندما يمسكون بمقاليد النظام الرأسمالي ، ليس بوسعهم إلاّ القيام بالقليل غير " إدارة " السير السلس للرأسماليّة و ديناميكية الرأسماليّة نفسها ستعاقب كلّ من ينحرف عن إملاءاتها و قوانينها ستعيد تأكيد نفسها بإستقلال عن إرادة أي كان . (77) ليس بإمكان الجماهير أن تتحرّر طالما وُجدت الرأسماليّة و بدلا من تركيز طاقة الناس على هدف طوباوي و إصلاحي ل " أجر عالمي " ، يجب علينا أن نعيد إحياء و نرفع عاليا نداء ماركس المثير ل " إلغاء نظام العمل المأجور " ذاته عوض الشعار الإصلاحي ل " أجر يوم عمل عادل مقابل يوم عمل عادل " (78) . لقد دعا ماركس إلى تخطّى كامل العصر الرأسمالي الذى فيه لا يمكن للبشر سوى التفاعل عبر شراء السلع و بيعها و تقلّص قدرة الجماهير على الإنتاج في حدّ ذاتها إلى سلعة تشترى و يستعملها الرأسماليّون . ليس نغرى و هاردت وحدهما – عدد كبير من " الماركسيين " أنفسهم قد أضاعوا من مجال نظرهم النظرة الثوريّة لهذا الواقع و مدى راديكاليّة القطيعة التي تمثّلها مقارنة بالعالم الذى نعيش فيه .

V – الديمقراطية و الفوضويّة و الشيوعيّة

يصرّح نغرى و هاردت بأنّ " المهمّة هي إكتشاف طريقة مشتركة تشمل الرجال والنساء و العمّال و المهاجرين و الفقراء و كافة عناصر الحشد لإدارة إرث الإنسانيّة و توجيه الإنتاج المستقبلي للغذاء و السلع الماديّة و المعرفة و الإعلام و كلّ الأشكال الأخرى من الثروة " . (79) صحيح و صيغة جيّدة . و مع ذلك ، نشكّ في أنّ الكثير من القرّاء قد يجدون إجتياح نغرى و هاردت غير متناسق مع بالأحرى النطاق الضيّق للحلول السياسيّة التي يقترحانها . فأوّلا و قبل كلّ شيء ، يلغيان الوسيلة المحوريّة لمعالجة مشاكل المجتمع ، تحديدا **الثورة** . و في عصرنا هذا ، ليس بوسع هذا إلاّ أن يعني ثورة في مصلحة الغالبيّة العظمى بقيادة البروليتاريا لإفتكاك مقاليد المجتمع و تركيز دولتها الخاصة و إستخدامها لخلق خطوة خطوة الظروف الماديّة و الإيديولوجيّة التي ستكون فيها الإنسانيّة ككلّ قادرة على " إدارة إرث الإنسانيّة و توجيه الإنتاج المستقبلي ".

المسألة السياسيّة المركزيّة في التمييز بين الشيوعيّة الثوريّة و شتّى البرامج السياسيّة كانت دائما مسألة الدولة . و ليس مفاجأ أنّه في فهم الدولة برنامج نغرى و هاردت غير الثوري في جوهره يظهر ذلك . و يحظى " مشروع دستور " الولايات المتّحدة بمديح عاطفي في كلّ من " **الإمبراطوريّة** " و " **الحشد** ". و مقترحاتهما لنظام عالمي تنعكس في الإنبهار بمحكمة الجرائم الدوليّة " التي هي أكثر من أيّة مؤسّسة أخرى تشير إلى إمكانيّة نظام عدالة عالمي يخدم صيانة حقوق الجميع بصورة متساوية " أو في مساعدة الإتّحاد الأوروبي الذى يعتبر بخاصة نموذجا " لدستور عالمي جديد " (80). و لعلّ قرّاءنا سيحتاجون إلى القليل للإقتناع بالطبيعة اللاثوريّة لمقترحات نغرى و هاردت السياسيّة . لكن من أجل فهم أفضل **للماذا** يبدو هذان المؤلّفان غير قادرين على تخطّى الإقتراحات المحتشمة لتعديل المؤسّسات العالميّة القائمة ، من الضروري النظر عن كثب أكثر في ما هي نظرتهم حقّا للشيوعيّة .

الديمقراطية و الحكم الطبقي

رأينا معالجة " **الإمبراطوريّة** " ل " العمل غير المادي " و إعتباره أنّ الوجود المتشابه ل " شبكات " الأشخاص الممتدّين عبر الكوكب بأسره و تلمّس كلّ المجالات الهامة من النشاط الإنساني ، يكشف " نزعة عفويّة نحو الشيوعيّة ". و في مقاطع أخرى ، يحيل الكاتبان على شبكات فيها عقد لا تحصى لكنّها دون مركز . (81) نظرتهما للمجتمع الشيوعي المستقبلي هي أنّ الجماهير نوعا ما ستحكم نفسها بنفسها دون واسطة أيّة مؤسّسات مركزيّة . و يرتبط هذا جدّا بفهمهما السياسي المعروض في كتاب " **الإمبراطوريّة** " و حتّى أكثر في كتاب " **الحشد** " ، و تحديده ل " حكم الجميع من قبل الجميع " الذى يستعيره الكاتبان من ثورات القرن الثامن عشر .

يقع خارج نطاق هذا المقال التعمّق فى أساس الفهم الماركسي للديمقراطية و الدولة الذى يدافع عن أنّ أيّة دولة تقوم على حكم (دكتاتوريّة) طبقة ضد طبقة أخرى و بالتالى أنّ " حكم الجميع من قبل الجميع " خدعة تحجب الطبيعة الطبقيّة الحقيقيّة لدولة الديمقراطيّة – البرجوازيّة . (82)

و في مقطع من كتاب " **الحشد** " و عنوانه الفرعي معبّر ، " العودة إلى القرن الثامن عشر " (بما يعنى عصر الإيديولوجيّون الأصليّون للنظام السياسي للديمقراطية) ، يعترف المؤلّفان بأنّ الديمقراطيّة التي يروّج لها توماس جيفرسن و جامس ماديسون(قادة مفاتيح في الثورة الأمريكيّة و مؤسّسان من مؤسّسى النظام السياسي للولايات المتحدة الأمريكيّة) تقلّص " الجميع " إلى المالكين البيض الذكور . و يرى نغرى و هاردت كلّ " الثورات المعاصرة " مجرّد إمتداد ل " الجميع " ليشمل فئات أوسع فأوسع من السكّان . و بينما من الصحيح أنّ الديمقراطيّة البرجوازيّة قد تطوّرت كي تمنح اليوم النساء و غير المالكين من الرجال حقّ الإقتراع أيضا ، فإنّ **الواقع الطبقي** للدولة البرجوازيّة يظلّ بالأساس نفسه . و يخلط نغرى و هاردت بين الثورة البرجوازيّة و الثورة الإشتراكيّة حين يكتبان : " يمكن للمرء أن يقرأ تاريخ الثورات المعاصرة بوصفه أعرجا وغير متكافئ لكن مع ذلك قد حقّق تقدّما حقيقيّا بإتّجاه تكريس المبدأ المطلق للديمقراطية ".(83)

هناك إختلاف جوهري بين الثورات التي قادتها البرجوازية مثل الثورات الفرنسيّة و الأمريكيّة و الثورات التي قادتها البروليتاريا – كمونة باريس ، الثورة الروسيّة و الثورة الصينيّة . برفض الإقرار بهذا الفرق يسقط نغرى و هاردت في ذات الخطأ الذى إقترفه الإشتراكيّون – الديمقراطيّون و التحريفيّون طوال 150 سنة . لقد شدّد ماركس على أنّ كافة " الثورات السابقة "(يقصد البرجوازيّة أو " الثورات المعاصرة " حسب عبارات نغرى و هاردت) لم تفعل سوى تحسين الدولة ، فيما من الضروري تحطيمها . و إنجلز بصفة خاصة دعا قرّاءه إلى النظر في كمونة باريس إذا أرادوا أن يشاهدوا " دكتاتوريّة البروليتارية " وهي تطبّق . لكن التحريفيين و الإشتراكيين – الديمقراطيين قد شدّدوا على إعتبار الثورة الإشتراكية إستمرارا للثورة البرجوازية ، ماحين بجرّة قلم الفرق في المضمون الطبقي . فهدف الثورة البروليتاريّة ليس " إستمرارا " للديمقراطيّة بل بالأحرى" **تجاوز** الديمقراطيّة ، أي ، إضمحلال الدولة ذاتها " (84).

و هذا " الفهم المطلق للديمقراطيّة مرتبط بتقديس نغرى و هاردت ل " الشيوعيّة العفويّة " في شبكات العمل غير المادي . " الأغلبيّة العظمى لتفاعلاتنا السياسيّة و الإقتصاديّة و الحسّية المؤثّرة و اللغويّة و الإنتاجيّة قائمة دائما على العلاقات الديمقراطيّة ... السيرورات المدنيّة للتبادل الديمقراطي و التواصل و التعاون الذين نطوّرهم و نغيّرهم كلّ يوم .(85) هذا حقّا تشوّش ذهني لا يساعف على كشف الأساس الكامن في تفكيرهم . أوّلا ، " التبادل الديمقراطي " المشار إليه أعلاه ، لا سيما حين نتحدّث عن " التفاعلات الإقتصاديّة و التفاعلات الإنتاجية "، لا يعنى حقّا شيئا آخر عدا **التبادل الحرّ للسلع** . و بكلمات أخرى ، في ظلّ الرأسماليّة ، يجرى بإستمرار و بعفويّة شراء و بيع السلع و الخدمات في " السوق الحرّة " المقدّسة . و نغرى و هاردت غير قادرين على رؤية **أبعد** من مجتمع مستند إلى مبدأ التبادل الحرّ و بدلا من ذلك يجعلان من هذا " التبادل الديمقراطي " **مثلا أعلى** و غاية إجتماعية أسمى . لهذا بلا شكّ يستشهدان بسبينوزا و يشاطرانه الرأي المدافع عن " أشكال أخرى من الحكم تشويهات أو تحديدات للمجتمع الإنساني في حين أنّ الديمقراطيّة هي تحقّقها الطبيعي" (86) .

في الواقع ، فلسفة نغرى و هاردت السياسيّة تحدّد بصورة أفضل على أنّها فوضويّة أو شيوعيّة – فوضويّة . لم يقطع حقّا مع فكرة الإقتصاديين و الفلاسفة البرجوازيين القائلة بأنّه إذا إتّبع كلّ شخص مصالحه أو مصالحها الفرديّة الخاصة ، من خلال هذه المصالح المتنافسة و المتنازعة ستنتصر في نهاية المطاف المصالح الجماعيّة للمجتمع . و لا شكّ في أنّ نغرى و هاردت سيعارضان بشدّة أيّ إقتراح بأنّ الشبكات التي يصفانها هي بالفعل تتدبّر أمرها " اليد الخفيّة " للسوق ، و مع ذلك ، كما رأينا آنفا ، هذا هو الحال إلى حدّ كبير .

و يقترح نغرى و هاردت أنّه ينبغي على المجتمع الإنساني أن يمسك بإدارة إرثه الخاص و يوجّه الإنتاج المستقبلي ، لكنّهما يفقدان تماما البوصلة في ما يتعلّق ب**كيف** يمكن تحقيق هذا و على أيّ أساس يمكن أن يقع مثل هذا التعديل . الإعتقاد بأنّ المجتمع سينظّم نفسه عفويّا يساوى إنكار التغيير الهائل اللازم إن كان على المجتمع أن يتجاوز السلع التي تباع و تشترى (و الواقع المحوري أنّه في ظلّ الرأسماليّة قوّة العمل نفسها تصبح سلعة تباع و تشترى). و هذا لأنّ " الشيوعيّة العفويّة " المرفوعة إلى مثل أعلى لدى نغرى و هاردت ليست في الحقيقة غير مجرّد إنعكاس نظريّ لموقع طبقيّ للمنتج الصغير للسلع (بما فيهم منتجو السلع " غير الماديّة " المحوريّين في تحليل نغرى و هاردت). و بكلمات أخرى ، يبدو للمنتج الصغير أو البرجوازيّة الصغيرة أنّ مشاكل العالم لا يمكن معالجتها " إلاّ إذا " وقع إلغاء القيود و الموانع أمام التبادل المتساوى للقيم المتساوية " (كإمتيازات الإحتكارات أو إمتيازات خاصة). و التعبير السياسي لهذا هو " المفهوم المطلق للديمقراطية " المشار إليه سابقا لدى نغرى و هاردت . فقد حكما بأنّ تبادل القيمة صنف مطلق ، لكن الواقع هو أنّه لا وجود لأساس آخر ، لآليّة تعديل أخرى ، قد تحكم التبادل بين الأفراد و القطاعات الإقتصاديّة

و " الشبكات " و كامل البلدان بإستثناء **تبادل القيمة** طالما أنّ الإنتاج السلعي مهيمن . و في نهاية المطاف رفضهما الإقرار بتواصل الدور التعديلي لقانون القيمة يعنى الإنحناء إلى الأسفل أمامه و التخلّى عن المهمّة التاريخيّة العالميّة ل**تجاوز** قانون القيمة الذى سيتحقّق ليس عبر التطوّر العفويّ للرأسماليّة ، بل عبر النضال للإطاحة به .

و بالتأكيد أنّ تغييرا ثوريّا في النظام الاقتصادي – الاجتماعي سيتطلّب الإطاحة بقانون القيمة من أعالى موقع تحكّمه و خطوة خطوة تغيير الظروف المادية و الإجتماعيّة التي تحول دون إلغائه إلغاءا كلّيا . و على سبيل المثال ، في الصين الثوريّة في ظلّ ماو تسى تونغ ، كانت القيمة الإستعماليّة و ليست القيمة التبادليّة ، هي التي تقرّر في الأساس إلى أين توجّه إستثمارات الدولة . إن كان مصنع ينتج موادا صيدليّة أو مستحضرات التجميل لم يكن يتحدّ على قاعدة أرباح الإستثمار كما هو الحال في المجتمع الرأسمالي (و مثلما هو الحال في صين اليوم ، بالمناسبة) . و حتّى في هذه المجالات كتوزيع الدخل حيث قانون القيمة كان مهيمنا ، كانت خطوات هامة تتّخذ لتحديده مثلا ، بإبقاء معاليم السكن منخفضة جدّا ، أخفض من قيمتها التبادليّة الفعليّة . لكن القدرة على تقييد فعل قانون القيمة أتى على وجه الضبط من واقع وجود **الدولة البروليتارية** التي إستطاعت و خطّطت عن وعي الاقتصاد ، آخذة بالضرورة بعين النظر قانون القيمة ، مع عدم السماح له بأن يُملي أشياءا و يكون الحكم الأعلى . دون مثل هذه المراقبة الواعية للجهاز الإنتاجي ، إن سُمح للأمور بإتّباع مسارها العفوي ، فإنّ " اليد الخفيّة " لقانون القيمة ستتدبّر أمر " شبكات " المنتجين و كلّ المظاهر الفظيعة للرأسماليّة ستعود – مع دولة برجوازيّة – لتفرض هذه الفظائع .

و لا شكّ في صحّة أنّ مراقبة الدولة وحدها لا تعنى بأيّ حال ضمان أنّ مجتمعا سيتغيّر حقّا في إتّجاه إشتراكي . يمكن للدولة نفسها أن تصبح فارضة و منظّمة لقانون القيمة ، كما رأينا في المثال السابق لدور الدولة الكوبيّة في الحفاظ على إنتاج السكّر كمحور للإقتصاد الوطني . و الدولة التحريفيّة الرأسماليّة في الإتّحاد السوفياتي و بلدان أخرى من الكتلة الشرقيّة السابقة أثبتت بالملموس أنّ مجرّد ملكيّة الدولة ليست ضمانا لأيّ شيء ثوريّ . و لا يمكننا أن نوافق على النقد الإشتراكي الديمقراطي لنغرى و هاردت الذين يوبّخانهما على السقوط فى أحابيل رؤية الدولة كأداة ضروريّة ل " الإصلاح " و بها يعنى هذا النقد الدولة **البرجوازية** القائمة . (87)

إضمحلال الدولة ... فى ظلّ الرأسماليّة !

لطالما دافع الماركسيون عن أنّ المجتمع الشيوعي المستقبلي سينشأ عن " إضمحلال الدولة " حينما يكون قد تمّ تجاوز الظروف المتطلّبة لوجود مثل هذه الدولة ، أي المجتمع الطبقي . و المساهمة الخاصة لنغرى و هاردت هي إقتراح أنّ إضمحلال الدولة يمكن أن يحدث ...فى ظلّ الرأسماليّة ! لم تعد هناك أيّة حاجة أو أساس لممارسة البروليتاريا لسلطة الدولة .

في نقاشهما للبلدان المضطهَدَة ، حاجج نغرى و هاردت بأنّه بوسع الجماهير ، في أفضل الأحوال ، أن تأمل في إصلاح متواضع لظروفها بفضل تحالف بين القوى التقدّميّة في البلدان المتقدّمة و إصلاح الحكومات كحكومة لولا دا سلفا في البرازيل . و حتّى حين يتحدّث نغرى و هاردت عن القوى الثوريّة ، نقطتهما المرجعيّة المستمرّة هي الجيش الزباتي للتحرّر الوطني المعروف أكثر ب" الزاباتستاس " ، في المكسيك . يدرك المؤلّفان إدراكا صحيحا الإختلاف بين مشروع الزاباتستاس و المشاريع الثوريّة التي يقودها الماركسيّون – اللينينيّون- الماويّون الآن و قادوها في الماضي . و يذكّران بطريقة مستحسنة بأنّه بالنسبة للزاباتستاس ، " لم يكن الهدف أبدا إلحاق الهزيمة بالدولة و المطالبة بالحكم السيادي بل بالأحرى تغيير العالم دون إفتكاك السلطة " (88) . و من المهمّ أن نشير إلى أنّه في حين أنّ بعض القوى الماركسية – اللينينيّة – الماويّة تجد صعوبة في رؤية الطبيعة الإصلاحيّة للزاباتستاس و قوى مشابهة لهم ، هرول نغرى و هاردت لتصوير العلاقات بين لولا و القائد ماركوس ، معترفين بأنّ النضال سواء كان عنيفا أو غير عنيف ، النقطة الأساسيّة هي أنّه لا يجب محاولة إفتكاك السلطة السياسيّة و بدلا من ذلك يجب تغيير العالم تغييرا تدريجيّا و خطوة خطوة .

لقد رفع الماويّون شعار " دون سلطة دولة ، كلّ شيء وهم ". و تؤدّى مثاليّة نغرى و هاردت بهما إلى قلب الواقع رأسا على عقب . فيحاججان في الأساس بأنّه لا يجب إستبعاد لا الإصلاح الصغير و لا ضخّ حلم طوباوي و لا ديماغوجيا الحكّام ، كلّ شيء يجب أخذه بقيمته الظاهرة . في نظرتهما إلى العالم المقلوبة رأسا على عقب ، ما من وهم **سوى** سلطة دولة الطبقات الحاكمة التي ستتحلّل مع نضال الحشد من أجل " الديمقراطيّة الحقيقيّة " . أمّا في ما يتعلّق بسلطة دولة البروليتاريا ، بالنسبة إلى نغرى و هاردت من الأفضل عدم محاولة إيجادها حتّى . في هذا المقال لن نتوغّل في النقاش الحيوي لتجربة الثورة السياسيّة البروليتاريّة في القرن العشرين و إنّما سنعيد تأكيد أنّه بالرغم من أخطاء هذه التجربة و نقائصها التي كان بعضها جدّيا أو حتّى تراجيديّا ، كانت تلك أخطاء و نواقص في سيرورة عظيمة و جهود بطوليّة

لإنشاء عالم بلا إستغلال و إضطهاد . أخطاء البروليتاريا في ممارسة السلطة السياسيّة شاحبة مقارنة بالخطأ الأكبر بكثير الذى سينجم عن إتّباع نغرى و هاردت و **تنكّرهما** للقتال من أجل السلطة السياسيّة .

أجل ، المجتمع الإنساني يزخر بالوعود . و قدرة الجماهير على الإنتاج ، على الخلق ، على التحكّم الواعي في المجتمع بإستمرار تعيد تأكيد نفسها في آلاف الحقول . لكن النزاع بين قدرة الإنسانيّة و الشكل الراهن للتنظيم المعتمد على الإستغلال الرأسمالي ، يغدو أحدّ . و تناقضات و تطوّرات المجتمع المعاصر تدفعه بإتّجاه مستقبل شيوعي بيد أنّ هذا التغيير ليس حتميّا و لا آليّا و لن يحدث أبدا دون ثورة . حرّاس العالم القديم الذى فات أوانه و المستفيدين من إستغلال الإنسان ، يسيطرون على مؤسّسات حقيقيّة جدّا – حكومات و جيوش و سجون ، ضمن عديد الأشياء الأخرى – تحمى الإستغلال الرأسمالي و تفرضه . و الدعوة إلى " الشيوعية " في حين تتمّ المحاججة ضد نضال مصمّم لتحطيم هذه المؤسّسات الرجعيّة القائمة أسوأ من وهم ، إنّها خدعة .

الشيوعيّة ممكنة و ضروريّة و بالفعل بلوغها من خلال ثورة بروليتارية عالمية مهمّة ملحّة للمجتمع الإنساني . المستقبل وضّاء لكن فقط إن إمسكنا به بيدينا ./ .

<u>الهوامش :</u>

1- ربّما يفسّر هذا جزئيّا بإحترام تونى نغرى على أنّه كان ضحيّة قمع سياسي في إيطاليا (ناجم عن دوره في الحركة اليساريّة خارج البرلمان في أواخر ستّينات القرن الماضي و سبعيناته).

2- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 9.

3- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 146.

4- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 354.

5- **" الإمبراطوريّة "** ، ص347 (التشديد مضاف).

6- توم مرتاس ، ص 147 ضمن مجموعة مقالات **" نقاش الإمبراطوريّة " .**

7- أنظروا بالخصوص كتاب لينين ، **" الإمبريالية أعلى مراحل الرأسماليّة "**.

8- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 166.

9- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 174. قاد رئيس الولايات المتحدة الأمريكيّة ، وودرو ولسن ، الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى و دعا إلى تركيز عصبة الأمم إثرها . و قاتل رئيس الولايات المتحدة تيودور روزفالت إسبانيا من أجل وضع اليد على كوبا و الفليبين في 1898 وهو عامة مرتبط ب " دبلوماسيّة السفينة المدفعيّة " الأمريكيّة في أمريكا اللاتينيّة .

10- ماركس و إنجلز ، **" الإيديولوجيا الألمانيّة "** ، الجزء الأوّل ، لورنس و ويشارت 1970، ص 67 ؛ بالعربية صفحة 59 ، طبعة دار دمشق ، ضمن سلسلة مصادر الإشتراكية العلميّة .

11- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 179.

12- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 384.

13- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 5.

14- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 167.

15- **" الحشد "** ، ص 5.

16- **" الحشد "** ، ص 59-60 .

17- **" الحشد "** ، ص 60.

18- **" الحشد "** ، ص 385 (التشديد مضاف).

نقطة لن نفعل سوى ملاحظتها على عجل هنا هي أنّ نغرى و هاردت يرفضان كذلك ما يسمّيانه " الجدليّة " التي عادة ما يلحقونها بهيغل . لكن الماديّة الجدليّة أساس الفهم الماركسي كذلك و التناقضات التي يقع محوها بجرّة قلم بين القاعدة و البنية الفوقيّة و بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج مركزيّة في هذا الفهم .

19- سنرى لاحقا في هذا المقال أنّ نغرى و هاردت يعارضان صراحة " إفتكاك السلطة " من قبل الجماهير بالتنكّر للتناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج و يطوّران تبريرهما النظري لهذا الإستنتاج اللاثوري .

20- **" الإيديولوجيا الألمانية "** ، ص 55 بالأنجليزيّة ؛ و بالعربية صفحة 47 ، طبعة دار دمشق ، ضمن سلسلة مصادر الإشتراكية العلميّة .

21- سنبيّن لاحقا أنّ نظرة نغرى و هاردت للمجتمع الشيوعي ليست بتاتا نفس نظرة ماركس و إنجلز وهي حقّا نسخة فوضويّة من الديمقراطيّة البرجوازيّة .

22- أنظروا كتاب ريموند لوتا ، **" إنهيار أمريكا "** ، بانربراس ، شيكاغو ، 1984. و يقدّم لوتا عرضا جليّا لكيف أنّ قوانين الرأسماليّة تواصل عملها في عصر الإمبريالية و يبيّن مركزيّة الفوضى في الإنتاج الرأسمالي و كيف ليس بوسع رأس المال أن يوجد إلاّ كعدّة رساميل و هذا يدفع كامل سيرورة مراكمة رأس المال إلى الأمام .

23- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 234.

24- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 269.

25- **" ضد دوهرينغ "** III ، قارئ ماركس و إنجلز ، ص630 بالأنجليزيّة أمّا بالعربيّة فصفحة 321 من طبعة دار التقدّم، موسكو ، 1984.

26- بالفعل ، يلعب نغرى و هاردت ، شأنهما في ذلك شأن الكثيرين في الحركة الشيوعيّة ، لعبة المدّ و السحب بكلمة " أزمة " على نحو يفقدها معناها الخاص و يحيل بدلا عن ذلك إلى الوضع الدائم للرأسماليّة المعاصرة . و تنبع الأزمة من وهي تعبير حاد خاص عن التناقض الأساسي للرأسماليّة بين التملّك الخاص و الإنتاج الاجتماعي الطابع ، لكنّها ليست **تساوى** هذا التناقض . و حتّى في فترة " عدم أزمة " (أي توسّع رأسمالي حيوي) ظلم و لاعقلانيّة نمط الإنتاج الرأسمالي ساطعان .

27- عند تحليل الأزمة الإمبرياليّة ، نغرى و هاردت هما اللذان ينزلقان إلى " العوامل الإقتصاديّة الصرفة " . إنّهما يحلّلان الأزمة الرأسماليّة على أنّها إنطلقت في سبعينات القرن العشرين دون أيّة مراجع تحيل على واقع أنّ الإتحاد السوفياتي قد صار قوّة إمبرياليّة عظمى ، و وقتها ، صار يمثّل تحدّيا عالميّا أمام الإمبريالية الأمريكية .

28- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 272 .

29- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 272 .

30- لأجل فهم هذا فهما أفضل ليس علينا سوى النظر إلى هذه البلدان التي كانت إشتراكيّة إسما و رأسماليّة فعلا – الإتحاد السوفياتي في ظلّ حكم خروتشوف و بريجناف ، أو الإنقلاب على الإشتراكية في الصين بعد وفاة ماو تسى تونغ . في كلا هتين الحالتين المختلفتين ، ظهرت إلى السطح المنافسة بين المصالح الرأسماليّة . و بالرغم من أنّ مجمل البرجوازيّة الجديدة كانت تتقاسم حاجة مشتركة هي إستغلال عمل البروليتاريا ، لم تستطع و لم تفعل ذلك بشكل متناغم . و ليس الأمر كما لو أنّ " بيروقراطية " واحدة لا إختلافات صلبها يمكن أن تستغلّ بسلاسة بقيّة المجتمع . إنّ إعادة تركيز الرأسماليّة تعنى كذلك إعادة تركيز التنافس الشديد و التفكّك و الأزمة . بعض قطاعات الطبقة الحاكمة الجديدة تزدهر على حساب قطاعات أخرى . و عندما وقع التخلّص النهائيّ من آخر جزء من القناع الإشتراكي و عندما وقع تفكيك الإتّحاد السوفياتي ، لم يكن ممكنا بالنسبة للبرجوازية الجديدة أن تحكم بهويّة رأسماليّة واحدة ، بل إنقسمت إلى جماعات متنافسة من الرأسماليين القانونيين و غير القانونيين (المافيا) . و ما كان ممكنا أن يتمّ الأمر بشكل آخر .

31- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 248 .

32- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 251 .

33- بوب أفاكيان ، في نقاشه في بدايات ثمانينات القرن العشرين لفهم ماو " للتناقض الرئيسي " ، حاجج أنّه من غير الصحيح رؤية الإمبريالية كعلاقة خارجيّة في البلدان المضطهدَة بما أنّها صارت " داخليّة " بالنسبة لهذه البلدان . أنظروا بوب أفاكيان ، " حول التناقض الرئيسي و المزيد حول التناقض الرئيسي " ، www.revcom.us.

34- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 254 .

35- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 335 .

36- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 336 .

37- لاحقا سنرى أنّ نغرى و هاردت يتمنّيان إدّعاء أنّ راية الديمقراطيّة رايتهما ، لكن حينما يتعلّق الأمر بتحرّر الأمم المضطهَدَة يُنكران حتّى المطالب الديمقراطية الأكثر أساسيّة . و في مقتطف أسبق ، يبدو أنّ المؤلّفان يدحضان أنفسهما بالمحاججة بأنّ هذا يشمل مجرّد مسألة " تطوّر " : الهند أو نيجيريا ليستا في موقع فرنسا أو أنجلترا القرن التاسع عشر ، " في أوضاع مختلفة جذريّا و حتّى متباينة – أوضاع هيمنة و تبعيّة " و " إقتصاديّات ما يسمّى بالبلدان النامية تحدّد ليس فقط بقدر معيّن من العوامل أو بهياكلها الداخليّة بل كذلك و أهمّ من ذلك بموقعها المهيمن في النظام العالمي " . (الصفحة 282 ، التشديد في النصّ الأصلي).

38- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 284 ، عند تفحّص نظريّات " التخلّف " في سبعينات القرن العشرين .

39- بيّن ماركس بحيويّة كبيرة كيف أنّ " الفجر الوردي للرأسماليّة " إرتبط تماما بتجارة العبيد و نهب السكّان الأصليين لأمريكا و التحطيم الاقتصادي لجانب كبير من آسيا .

40- لسنغافورا مثلا مستوى حياة مساوي للولايات المتحدة و أوروبا . لكنّها ليست داخليّا دولة – أمّة ذات إقتصاد منسجم و متطوّر . لقد تطوّرت في علاقة تبعيّة للقوى الإمبرياليّة وهي تستفيد من التخلّف في المنطقة .

41- هذا النوع من الفهم كان واسع الإنتشار في صفوف الحركة الشيوعيّة العالميّة . وهو بصفة خاصّة مرتبط بلين بياو و كتابه ، **" عاش إنتصار حرب الشعب "** الذى يصف فيه سيرورة الثورة العالمية على أنّها محاصرة " مدن " أوروبا و شمال أمريكا و اليابان إنطلاقا من " ريف " آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة .

42- إثر الحرب العالميّة الثانية ، شدّد ستالين على وجود الكتلتين المتعارضتين ، كتلة إشتراكية و كتلة إمبريالية ، و سيرورة الثورة العالميّة كان يُنظر إليها على أنّها أساسا إنتصار كتلة على الكتلة الأخرى . و عندما إستولى التحريفيّون المعاصرون على السلطة في الإتّحاد السوفياتي إستخدموا هذه الأطروحة كورقة تين لإخفاء تطلّعاتهم الإمبريالية – الإشتراكية – لم تعد الثورة ضروريّة و صار " طريق التطوّر غير الرأسمالي " ممكنا لبلد يرتبط بالإتحاد السوفياتي .

43- لسوء الحظّ تبيّن هزيمة الموجة الأولى من الثورات البروليتارية منتهية بالإطاحة بالإشتراكية في الصين عقب وفاة ماو أنّه ليس " حتميّا " ابدا أنّه عند أيّة نقطة في تاريخ العالم يستطيع النظام الإشتراكي السيطرة على العالم الإمبريالي .

44- أنظروا مجلّة **" عالم نربحه "** عدد 1999/25 . و المسيرة الذاتيّة المختصرة لفليب ، " بلبوت : تشريح كابوس " ، (هنرى هولد و آخرون ، نيويورك 2004) ، فهو يقدّم أيضا رؤى ثاقبة قيّمة بهذا المضمار .

45- هذا سبب آخر للماذا من غير الثوري أن نعد الجماهير في البلدان المتقدّمة برفع مباشر لمستوى عيشها في حال حدوث ثورة برولتاريّة . فإضافة إلى الإستبعاد البديهي لإفتكاك قوى الإنتاج وهي سليمة كلّيا ، إن أمسى رفع مباشر لمستوى العيش معيار بواسطته يقيس النظام الجديد نجاحه ، سيدفع إلى إعادة تركيز علاقات الهيمنة على بلدان أخرى .

46- أنظروا نقاش الدول الإشتراكيّة ك " قواعد إرتكاز " في أعمال بوب أفاكيان ، **" كسب العالم ..."** و **" التقدّم بالثورة البروليتاريّة العالميّة... "** ، www.revcom.us.

47- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 106(التشديد في النصّ الأصلي).

48- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 108.

49- يحيل هذا على ثورة فيفري 1917 التي أحلّت جمهوريّة برجوازيّة محلّ النظام القيصري و قد أطاحت بها الثورة البلشفيّة في أكتوبر 1917.

50- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 133-134 (التشديد في النصّ الأصلي).

51- حاجج ماو و الثوريّون المتجمّعون حوله أنّ أتباع الطريق الراسمالي في الصين لم يكونوا يشاطرونهم حقًّا هدف المجتمع الإشتراكي فالشيوعي و في الواقع ، كانوا ديمقراطيين برجوازيين يبحثون عن تحرير البلاد **دون** إجتثاث النظام الرأسمالي و لم يقطعوا قط مع هذه الإيديولوجيا البرجوازية . و موضوعيّا ، كان برنامج دنك سياو بينغ و نظرته منحصرين في إنجاز المرحلة الأولى الديمقراطية من الثورة ، التي رآها ماو كخطوة أولى لا غير . و يمكن قول الشيء ذاته عن الآخرين الذين أعلنوا أنّهم شيوعيّون ، من مثل قائد الثورة الفتناميّة ، هو شي منه . إنّ ظاهرة " تحوّل الديمقراطيين – البرجوازيين إلى أتباع للطريق الرأسمالي " ظاهرة موضوعيّة تعكس المرحلتين المختلفتين من الثورة و القطيعة الراديكاليّة مع الإيديولوجيا البرجوازيّة التي تمثّلها الثورة الشيوعية . و في حين ما من أحد بوسعه أن يقول مسبّقا ما هو الدور الذى يمكن لقائد معيّن أن ينهض به في المستقبل ، واقع ظهور قادة سيبحثون عن تحديد الثورة في مرحلتها الديمقراطيّة البرجوازيّة أمر لا مفرّ منه .

52- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 248.

53- " حول البرنامج العام لعمل كافة الحزب و كافة الأمّة " و في كتاب **" و خامسهم ماو "** ، الذى نشره ريموند لوتا ، بانربراس ، شيكاغو ، 1978.

54- **" الحشد "** ، ص 116.

55- **" الحشد "** ، ص 117.

56- **" الحشد "** ، ص 124.

57-**" الحشد "** ، ص 124.

58- مدعاة للسخرية أنّ أسرع نموّ للرأسماليّة في العقود الأخيرة جدّ في الصين عقب إعادة تركيز الرأسماليّة إثر وفاة ماو و الإنقلاب الذى حدث ضد أتباعه . و يثبت هذا أنّ الثورة الصينيّة و بالخصوص إجتثاثها للنظام شبه الإقطاعي في الفلاحة ، قد أزاحت من الطريق عوائقا فعليّة كانت تحول دون التطوّر السريع للرأسماليّة . و كذلك يشرح لماذا أناس مثل دنك سياو بينغ الذين أطاحوا بالإشتراكية في الصين عملوا على الإتّحاد مع ماو و الشيوعيين الحقيقيين في المرحلة الديمقراطية السابقة من الثورة .

59- يعدّ الماركسيّون " رأسمالا متغيّرا " الجزء من رأس المال الذى يقع إستثماره في أجور العمّال و شراء قوّة العمل ، أي ، قدرة العامل على إنتاج السلع المقاسة زمنيّا.

60- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 294.

61- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 302.

62- **" الحشد "** ، ص 146.

63- **" الحشد "** ، ص 150.

64- من المهمّ عدم فهم هذا بالمعنى الضيّق . فقد شدّد ماركس على أنّ " وقت العمل الضروري إجتماعيّا " يشمل كذلك " العمل المركّب " أي عمل المنتجين الآخرين الذى يدخل في رفع قيمة مُنتَج معيّن . و بالتالى ، قيمة عمل الآخرين الذين يمكّنونه من التدرّب و ممارسة هذا الشغل ، مثلا ، الخدم في المنازل لدى كاتب شفرة برنامج حاسوب في بنغالور ، الهند أو مراكز الرعاية اليوميّة في سان خوسى ، كاليفورنيا .

65- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 209.

66- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 114.

67- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 263.

68- **" الإمبراطوريّة "** ، ص 264.

69- يُقدّر أنّ نصف كافة الوجبات المستهلكة في لوس أنجلاس و لندن لا يجرى إعدادها في المنازل . و نسبة مائويّة مرتفعة من هذه الوجبات تشترى في سلسلة " الغذاء السريع ".

70- " **الإمبراطوريّة** " ، ص 210.

71- " **الحشد** " ، ص 145.

72- يدافع الماركسيّون عن أنّ قيمة قوّة العمل تساوى " وقت العمل الضروري إجتماعيّا " المضمّن في إنتاج العامل و الذى يسمح للعامل بإعالة جيل آخر. إن إستطاع الرأسمالي أن يستفيد من الظروف الخاصة ، مثل مسبح كبير من " فائض " العمل ، سيكون مستعدّا لدفع أجور أدنى حتّى إن كان هذا يعنى أنّ العامل لا يقدر على ضمان البقاء على قيد الحياة و ضمان معيشة أسرته .

73- " **الحشد** " ، ص 131.

74- " **الإمبراطوريّة** " ، ص 158.

75- أنظروا كتاب فوستار ، **" تاريخ الحزب الشيوعي للولايات المتحدة الأمريكيّة "** .

76- الطابع الرجعي لهذه الإجراءات المشجّعة على الإنجاب (في فرنسا و إيطاليا مثلا) يمكن النظر إليها بحدّة أكبر لمّا يدرك المرء أنّها تحصل في نفس الوقت الذى تتّخذ فيه عدّة بلدان إمبرياليّة إجراءات صارمة لإيقاف موجات الهجرة الواردة من ما يسمّى بالعالم الثالث .

77- سينتج تفكّك إقتصادي شديد إذا لم يقع الإلتزام بمتطلّبات قانون القيمة الرأسمالي . و على سبيل المثال ، حاول بلد حقّا توفير " أجر مضمون إجتماعيّا " كريم فوجد عملته تنهار . إنّ وجود قوانين الرأسماليّة يعطى قوّة لحجج " الواقعيّة " التي يطلقها المتحدّثون باسم الطبقة الحاكمة سواء من اليمين أو اليسار .

78- ماركس ، " **الأجور و السعار و الربح** " ، دار التقدّم ، موسكو 1976 ، ص 55 بالأنجليزيّة .

79- " **الحشد** " ، ص 310.

80- " **الحشد** " ، ص 276 و 296.

81- " **الإمبراطوريّة** " ، ص 299 ، و يسعيان أيضا إلى تصوير الأنترنت على أنّها مثال لمثل هذه الشبكة التي لا مركز لها. لكن في الواقع ، العامود الفقري للأنترنت تتحكّم فيه حكومة الولايات المتحدة(بإتّفاق صريح مع " المجتمع الدولي").

82- أنظروا لينين ، " **الدولة و الثورة** " .

83- " **الحشد** " ، ص 241 . و لاحظوا عنوان فصلهما " **العلم الجديد للديمقراطية : ماديسن و لينين** " .

84- لقد أجرى بوب أفاكيان دراسة شاملة و ريادّية للعلاقة بين الديمقرؤاطيّة و الثورة الشيوعية . أنظروا بخاصة كتاب بوب أفاكيان ، " **الديمقراطيّة : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟** " بانربراس ، شيكاغو ، 1986؛ " **الديمقراطية : أكثر من أي زمن مضى بوسعنا و يجب علينا إنجاز أفضل من ذلك** " ، مجلّة " عالم نربحه " عدد 17/ 1992 ؛ و خطابه " **الدكتاتوريّة و الديمقراطيّة و الإنتقال الإشتراكي إلى الشيوعيّة** " ، www.revcom.us.

85- " **الحشد** " ، ص 311.

86- " **الحشد** " ، ص 311 ، باروش سبينوزا كان مفكّرا هاما في بدايات التنوير في هولندا . و كان من المفهوم تماما ، حتّى وهو ثوريّ في القرن السابع عشر ، أن يرى الديمقراطية كوضع إنساني طبيعي . و شيء آخر كلّيا أن يتكرّر هذا النزاع الآن و الإنسانيّة تستعدّ لتجاوز النظام الاقتصادي – الاجتماعي القائم على تبادل السلع .

87- موضوع عديد المقالات ضمن مجموعة مقالات ، " **نقاش الإمبراطوريّة** " ، المنشور من طرف غوبال بلاكرشنام ، و المثال الأكثر فضحا هو مقال تموتى برينان " الإيديولوجيا الإيطاليّة ".

88- " **الحشد** " ، ص 85.

الفصل الثالث :

ألان باديو و دكتاتورية البروليتاريا أو لماذا يساوى نبذ " إطار الدولة – الحزب " نبذا للثورة

ألان باديو و دكتاتورية البروليتاريا أو لماذا يساوى نبذ " إطار الدولة – الحزب " نبذا للثورة :

الفصل الثالث من :

" سياسة التحرير " لألان باديو شيوعية أسيرة حدود العالم البرجوازي

بقلم : ريموند لوتا ، نايي دونيا و ك. ج . أي

(مجلّة " **تمايزات** " عدد 1 ، نهاية صائفة 2009 ؛ مجلة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية)

www.demarcations-journal.org

محتويات البحث :

مقدمة :

1- لحظة تاريخية

2- مشروع باديو السياسي

3- الأطروحات الجوهرية

الفصل الأوّل : لماذا ألان باديو من أتباع روسو و لماذا لا يجب أن نكون كذلك :

I- مقدّمة : إطاران مختلفان و مشروعان مختلفان

II- البقاء ضمن إطار المساواة أم تجاوز الأفق الضّق للحق البرجوازي ؟

1- روسو كمفكّر للثورة البرجوازية

أ- العقد الإجتماعي أم التركيبة الإجتماعية البرجوازية ؟

ب- تحسين المساواة أم تجاوزها ؟

2- ألان باديو يقدّم قراءة تشوّه الثورة الفرنسيّة

3- ألان باديو يجعل المساواة ذاتيّة

4- كيف تتخطّى الشيوعيّة المساواة و لماذا يجب أن تفعل ذلك

ملاحظة أخيرة : كلمات مقتضبة عن منهج باديو و الشيوعيّة ك " فكرة تعديل " كانطية

الفصل الثاني : سياسة ما بعد ماركسيّة تبحث عن موضوع ، عن طبقة :

I - التخلّي عن التحليل الطبقي يعني التخلّي عن الجماهير لصالح البرجوازية

II- باديو و " الموضوع الثوري " بالنسبة لماركس :

1- الموضوع الثوري : الخصوصية و العمومية / الشمولية

III- تغيّر العالم لكن نحتاج أكثر و ليس أقلّ إلى الثورة البروليتارية :

1- " هو النزاع النهائي ..." أم " هو التوافق النهائي " ؟

الفصل الثالث : ألان باديو و دكتاتورية البروليتاريا أو لماذا يساوى نبذ " إطار الدولة – الحزب " نبذا للثورة :

مقدّمة :

I- لماذا تصلح الدولة الإشتراكية وكيف ستضمحلّ و لماذا ينتهى ألان باديو إلى جانب الدولة البرجوازية

1- ملاحظة سريعة عن الفلسفة

2- ألان باديو لاطبقية الدولة و الشكلانية

II- الحزب في المجتمع الإشتراكي : " غير ملائم " أم وسيلة للتحرير ؟

1- مرّة أخرى عن روسو و التمثيليّة

2- " الخضوع البيروقراطي اللاطبقي " أم مرّة أخرى ، هل الخطّ هو الحاسم ؟

3- القيادة الشيوعية المؤسساتيّة و تناقض القادة – المقادين و رأي الخلاصة الجديدة بهذا الصدد

الفصل الرابع : إعادة قراءة الثورة الثقافيّة من أجل قبر الثورة الثقافيّة :

مقدمة :

I - ألان باديو يريد ثورة ثقافية مختلفة... ضد الحزب الشيوعي :

1- لمحة مقتضبة عن ستالين : مثالية باديو مقابل التقييم العلمي لماو

2- الدكتاتورية الطبقيّة أم إحتكار الحزب

3- خاتمة .

II - كمونة شنغاي سنة 1967 :

1- بعض الخلفيّة التاريخيّة

2- كمونة شنغاي : ظهورها و مبادؤها

3- نقد ماو الثوري لكمونة شنغاي ؛ تشويهات باديو و مثاليّته

4- " مَثَل المساواة " لدي باديو يوفّق بين التناقضات الطبقيّة و لا يستطيع أن يتخطّى المصلحة الخاصة

5- تلخيص : تغيير العالم أم التكتّل على الهوامش

الفصل الخامس : سياسة تحرير خاطئة : التصالح مع الدولة بينما يتمّ إنتظار " الحدث " بسلبية :

I - " السياسة على مسافة من الدولة " أم القبول بإملاءات السلطة البرجوازية ؟

1- مرّة أخرى ، بالنسبة لباديو الخطّ لا يهمّ ، و أي نوع من " الإستقلاليّة " و الحكم الذاتي " ؟

2- مناطق الإرتكاز الماويّة والسوفياتات : " على مسافة من الدولة " أم موجّهة نحو سلطة دولة جديدة ؟

3- مسار إصلاحيّة و إشتراكيّة – شوفينيّة

II - ألان باديو و " الحدث " – قطيعة راديكالية أم تذيّل (ليس جدّ) راديكالي للعفويّة ؟

1- حدث باديو كفرصة خالصة

2- السلبيّة و العفويّة مقابل التسريع بينما يتمّ الإنتظار : العومل الموضوعيّة و الذاتيّة

3- ماي 1968 : ماذا كان و ماذا كان يمكن أن يكون

4- أكتوبر 1917 و ماي 1968 : الدور الحيوي للقيادة

ملاحظة أخيرة عن الفلسفة

خاتمة .

المقدّمة [مقدّمة البحث] :

يجلب ألان باديو قدرا كبيرا من الإنتباه لدي بعض الأوساط التقدّمية والراديكاليّة ، الأكاديميّة و أبعد منها . و كفيلسوف و منظّر إجتماعي ، يعتبر " سياسيّا واضح الرؤية و مجادلا جسورا " يضع " مفاهيم الحقيقة و العمومية من جديد على الأجندا " .(1)

و تنبع الفلسفة السياسيّة لباديو من تلخيصه للثورات و المحاولات الماضية للتغيير الجذري الذى ركّز الثورة الثقافيّة فى الصين . و قد ألهمه التمرّد الجماهيري فى ماي 1968 فى موطنه فرنسا ، و هو لا يزال وفيّا لروحه ، يواصل باديو فضح الإنتخابات والبرلمانات . فى لحظة خفض الأفاق الحاد فى ما يتّصل بإمكانيّة و مرغوبيّة تغيير جذري ، يأتى باديو كشخص ينقذ " الشيوعيّة " بالحطّ من تجارب و نظريّات الثورات الماضية و الدول الإشتراكيّة و الأحزاب [الشيوعية] و عوض ذلك يصوغ " سياسة تحرير " تنعت بالراديكاليّة وبالجديدة راديكاليّا .

فى هذا الجدال ، سنتفحّص المشروع السياسي لباديو . ونسأل طواله ، " هل سيؤدّى هذا إلى التحرير ؟ ". و جوابنا هو لن يؤدّي و لا يمكنه أن يؤدّي إلى التحرير. و فيما يلى تحليل و محاججة توضّح لماذا ذلك كذلك .

اللحظة التاريخيّة :

أفاق ألان باديو وموقفه جزء من مسار إيديولوجي و سياسي لزمننا – إجابة على لحظة تاريخية .

الشيوعية والمشروع الشيوعي فى مفترق طرق .

مع إعادة تركيز الرأسماليّة فى الصين فى 1976 ، بلغت الموجة الأولى من الثورات و المجتمعات الإشتراكية التى بدأت مع كمونة باريس التى لم تعمّر طويلا فى 1871 و الثورة الروسية فى 1917 ، بلغت نهايتها . نهاية المرحلة الأولى من الثورات الإشتراكية التى نجم عنها ما يمكن وصفه ب 30 سنة من الثورة المضادة ، إلى جانب تغيّرات واسعة النطاق فى العالم ، يثير مسائلا و يطرح مهاما ضخمة بحجم الجبال . إنّه يطرح تحدّيات عالميّة – تاريخيّة أمام الحركة الشيوعيّة و غيرها ممّن يعتبرون أنفسهم مساندين بصورة كبيرة لمشروع تحرير الإنسانيّة هذا .

ما هي الدروس الصحيحة والخاطئة التى يجب إستخلاصها من التجربة الغنيّة للموجة الأولى من الثورات الإشتراكيّة ؟ ما هو الإطار النظري للمرحلة الجديدة للشيوعيّة للمُضي قُدما بهذا المشروع لتحرير الإنسانيّة ؟ هل ان ّ الماركسية – الشيوعية – لا تزال صالحة كعلم ؟ بالمعنى الأكثر جوهريّة تتلخّص المسألة فى : هل يمكن أن نقوم بثورة فى عالم اليوم ، ثورة شيوعيّة تحريريّة أصيلة – أم هل أنّ ذلك ما عاد ممكنا أو حتّى مرغوبا فيه ؟

مثلما جرى وصف ذلك فى **" الشيوعية : بداية مرحلة جديد ، بيان للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية "** ، هناك أجوبة ثلاثة أساسيّة عن هذه اللحظة [التاريخية](2) :

أوّلا ، هناك الذين لا يملكون مقاربة نقديّة لتجربة و نظريّة الموجة الأولى من الثورات الإشتراكيّة للقرن العشرين ، لكلّ من الخطوات المتقدّمة و المشاكل و النواقص ، لكنّهم يغلقون الأبواب و لا يمضون إلى الأمام . و يصف بيان الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة الخطّ ضمن هؤلاء ، " من الشائع وجود ظاهرة التأكيد على " الحقيقة الطبقية "(3) و تحويل الشيء الداخل فى الذهن إلى شيء خارج الذهن بالنسبة للبروليتاريا المرتبطة بها وعموما نظرة للنظريّة و المبادئ الشيوعيّة كنوع من الدوغما ، قريب من التعاليم الدينيّة ، و جوهريّا " نعرف كلّ ما نحتاج إليه ، لدينا جميع المبادئ المطلوبة ويتعلّق الأمر فقط بتنفيذ الحكمة الموروثة ".

ثانيا ، هناك الذين يرفضون التحليل العلمي لتناقضات المرحلة الإنتقاليّة الإشتراكيّة و ينأون بأنفسهم عن الإختراقات التى لم يسبق لها نظير فى تحرير الإنسانيّة و التى تمثّلها الثورتان البلشفيّة و الصينيّة . إنّهم يوجّهون نظرهم للإستلهام و التوجّه حتّى إلى الوراء أكثر – إلى القرن 18 و المدعاة مثلا ديمقراطية و مساواة و النماذج الإجتماعيّة للحقبة البرجوازيّة ، إلى فلاسفة مثل جون جاك روسو و إيمانويل كانط و إلى المنظّرين السياسيّين مثل توماس جيفرسون . فى بعض الحالات ، يستبعدون حتّى مصطلح الشيوعيّة ، و فى حالات أخرى ، يلصقون نعت " الشيوعيّة " بمشروع سياسيّ يضع نفسه بصلابة ضمن حدود مبادئ الديمقراطية البرجوازية .

ثالثا ، هناك ما قام و يقوم به بوب أفاكيان . إنّه ليس قائد الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، الذى يضع عينيه على الإفتكاك الثوري للسلطة والتغيير الجذري للمجتمع و حسب ، بل هو أيضا منظرّ ذو رؤية ثاقبة . فمنذ هزيمة الثورة الصينية سنة 1976 ، كرّس نفسه لتحدّيات القيام بالثورة فى عالم اليوم ، منطلقا من فهم أنّ الثورة الشيوعية هي الطريق الوحيد للتقدّم و الخروج من جنون النظام الإجتماعي القائم على هذا الكوكب و فظائعه . لقد كان بوب أفاكيان " يتعلّم من التجربة التاريخيّة الثريّة منذ زمن ماركس ، مدافعا عن الأهداف و المبادئ الجوهريّة للشيوعيّة ، التى ثبت أنّها صحيحة أساسا ، وناقدا ونابذا المظاهر التى ثبت أنّها خاطئة أو لم تعد قابلة للتطبيق ومؤسّسا شيوعيّة على أساس علمي أتمّ و أصلب . " (4) و قد تصدّى للهجوم الرجعيّ و رفع راية الإختراقات الخارقة للعادة للثورة الروسية (1917-1956) و الثورة الصينيّة (1949-1976) . بالنسبة لأفاكيان ، بينما هناك رئيسيّا إستمرار فى علاقة بالموجة الأولى من

الثورات الإشتراكية فى القرن 20 ، التى كانت أعلى قمّة ميّزتها هي الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى فى الصين ، هناك أيضا قطيعة مع المفاهيم و المنهج الخاطئين .

على أساس هذه المقاربة ، صاغ بوب أفاكيان خلاصة جديدة تشمل تطوّرات رائدة فى مجالات الفلسفة و المنهج و الأمميّة و طبيعة الإنتقال الإشتراكي نحو الشيوعيّة ، و فى المقاربة الإستراتيجيّة للثورة . و كتطوّر نوعيّ فى علم الشيوعيّة ، هذه الخلاصة : " تجسّد مواصلة لقطع ماو مع ستالين لكن أيضا فى بعض جوانبه قطيعة أبعد بما تأثّر به ماو ذاته ، حتى وإن ثانويّا ، من ما صار نمط التفكير فى الحركة الشيوعية فى ظلّ قيادة ستالين ." (5)

مشروع باديو السياسي :

لم نعد فى وضع يوجد فيه تمايز واضح بين توجّهين سياسيّين متعارضين – مثلما كان الحال فى القرن العشرين . لا يتّفق الجميع حول وجود تعارض بين السياسات الديمقراطية البرجوازية الكلاسيكية و توجّه آخر ، ثوري ... اليوم ، لا إتّفاق بشأن وجود تعارض جوهريّ من هذا القبيل و بالنتيجة صارت الصلة بين الفلسفة و السياسة أعقد و أكثر غموضا – (6) ألان باديو 2007.

إن البرنامج السياسي لألان باديو تعبير مركّز عن القطب الثاني المشخّص هنا : العودة إلى القرن الثامن عشر . على النقيض من الخلاصة الجديدة الماديّة الجدليّة التى تقدّم بها بوب أفاكيان ، تمثّل مقاربة باديو إجابة مثاليّة و غير جدليّة على الظاهرة الموضوعيّة لنهاية مرحلة . يبحث باديو عن إستحضار " خلاصة جديدة " و فى نفس الوقت مزيد التقدّم ليس إنطلاقا من الشيوعيّة كعلم مثلما تطوّرت منذ ماركس ، فخرج علينا ب " فكرة " مختلفة عن " الشيوعيّة " .

ونقطة محوريّة فى النظرة و المشروع السياسيّين لألان باديو هي تلخيصه السلبيّ و غير العلميّ للموجة الأولى من الثورات الإشتراكية . و يذهب هذا ضد واقع هذه الثورات و مكاسبها الإيجابيّة الغالبة . أجل ، يجب توجيه نقد جدّي لهذه التجارب لكن على أيّ أساس و بأيّ منهج : التعمّق و من كافة الجوانب فى هذه التجارب لأجل إنجاز الثورة الشيوعيّة فى الوضع الجديد أم إتّخاذ موقف ديمقراطي برجوازي ؟

يدافع ألان باديو عن أنّ القدرة التحريرية للثورات فى الإتّحاد السوفياتي و الصين تعطّلت وفى النهاية حطّمها إطار الدولة - الحزب و الدور القيادي المؤسساتيّ للحزب الطليعيّ ، و ممارسة سلطة الدولة الإشتراكيّة . فى رأيه ، تطوّرت الدولة - الحزب إلى شكل جديد من " التسلّط " المتميّز ب " القمع البوليسيّ " و " الجمود البيروقراطيّ الداخليّ " ، و الثورة الثقافيّة تمثّل و أكثر من ذلك تبيّن " نهاية الدولة – الحزب كإنتاج مركزيّ للنشاط السياسيّ الثوريّ " .

لإستنتاجه جانبان : لم يعد بوسع " سياسة التحرير" أن تكون موضوعا لنموذج الثورة و لا أن تظلّ سجينة شكل الدولة – الحزب و " عصر الثورات " قد إنتهى .

فى تأطير هذا الجدال و تطوير حججه ، إستقينا الكثير من الخلاصة الجديدة لبوب أفاكيان (7) ، لا سيما من التقدّم فى فهم الدولة الإشتراكيّة كدولة مختلفة جذريّا فى المرحلة الإنتقاليّة إلى الشيوعيّة ، و فهم أكثر ماديّة و تحرّرية للقيادة الشيوعيّة ، و فهم إستراتيجيّ جديد للقيام بالثورة فى البلدان الإمبرياليّة المتقدّمة .

وكجزء من هذه الخلاصة الجديدة ، نقّب أفاكيان عن المفاهيم غير العلميّة للديمقراطيّة الخالصة و غير الطبقيّة و القابلة للتحسين أبدا . و هذا مفيد للغاية للحظة التاريخيّة و لجدالنا ضد ألان باديو . فى أعماله النقديّة الكبرى للنظريّة الديمقراطيّة الليبراليّة ، تفحّص أفاكيان نظريّات روسو و لوك و جيفرسون ، ضمن نظريّات أخرى ، بما فى ذلك نظريات منظّرين معاصرين " مناهضين للشمولية " مثل هانا آراند . و فى نفس الوقت ، شخّص مشاكلا ، ثانويّة و إن كانت أحيانا بارزة تماما ، فى صفوف الحركة الشيوعيّة العالميّة منذ بداياتها ، فى عدم رسم خطوط تمايز واضحة بما فيه الكفاية بين المبادئ الشيوعيّة و الديمقراطيّة البرجوازيّة .

الأطروحات الجوهرية :

فى هذا الجدال ، نناقش الفلسفة السياسيّة لألان باديو و نظريّته . و هذا يعنى مجموعة من ثلاث مواضيع و حجج محورية مترابطة .

أوّلا ، السياسة التحريريّة لباديو " سياسة مساواة جذريّة " . وتمتدّ جذورها إلى " مُثُل مساواة " روسو و المُثُل العليا للثورة الفرنسية كما هي مركّزة فى البرنامج الديمقراطي الراديكالي لروبسبيار و سان جوست و جاكوبسون . و تقف هذه السياسات المساواتيّة فى تعارض مثاليّ تام مع ما أشار إليه ماركس ك " الكلّ الأربعة " : إلغاء كلّ الإختلافات الطبقيّة و كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها هذه الإختلافات الطبقيّة و كلّ العلاقات الإجتماعيّة التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و تثوير كلّ الأفكار التى تتناسب مع هذه العلاقات الإجتماعيّة .

لا يمكن للسياسات الراديكالية لباديو أن تتجاوز اللامساواة الإجتماعية و لا أن تتخطّى ما أسماه ماركس بالأفق الضيّق ل " الحقّ البرجوازي " (العلاقات السلعية واللامساواة فى المجتمع الإشتراكيّ الباقية من المجتمع القديم و إنعكاساتها فى القوانين و السياسة و الإيديولوجيا).

ثانيا ، تعنى " فكرة الشيوعيّة " لدى باديو نبذ دكتاتورية البروليتاريا : الدور القيادي للحزب الطليعيّ ، وإفتكاك سلطة الدولة ، و إشاء نوع مختلف جذريّا من الدولة . و يحاجج بأنّ إطار " الدولة – الحزب " لبناء كسب السلطة و ضمان الإنتصار على الإمبريالية مشبع . و ب " الإشباع " يقصد أنّ هذا الإطار لم يعد يفرز حلولا و نتائجا مثمرة أو " بحوث حيويّة بحدّ ذاتها " ، وإنّما هو ينتج التسلّطية البيروقراطيّة لذا يجب نبذه . و ينهض هذا على مقدّمات التنكّر للمفهوم العلمي وعلى نظرة شكليّة للديمقراطيّة والدولة ، و عدم القدرة على الإعتراف بالأسس الماديّة لضرورة القيادة الشيوعيّة ، و الدور اللازم الذى يمكن و يجب أن تلعبه ، و القاعدة الفعليّة لتجاوز التناقض بين القيادة و المقادين .

و بينما إشتهر بتعاطفه مع الثورة الثقافية وإلتزامه بها ، فى الواقع يرسّخ ألان باديو نزعة منهجيّة مشخّصة فى بيان **" الشيوعية : بداية مرحلة جديدة "** : " عدم الإضطلاع أو عدم الإنخراط مطلقا بأي طريقة منهجيّة ، فى تلخيص علمي للمرحلة الأولى من الحركة الشيوعيّة وبوجه الخصوص للتحليل الثاقب لماوتسى تونغ لخطر وقاعدة إعادة تركيز الرأسماليّة فى المجتمع الإشتراكيّ . وهكذا ، بينما قد تدافع أو قد كانت تدافع فى الماضي عن الثورة الثقافيّة فى الصين ، تفتقر إلى أيّ فهم حقيقيّ وعميق للماذا كانت هذه الثورة الثقافية ضروريّة و لماذا وبأيّة مبادئ و أهداف أطلقها ماو و قادها ." (8)

ثالثا ، يدافع ألان باديو عن موقف أنّ تغييرا راديكاليّا حقيقيّا ينجم عن " حدث " غير منتظر تماما ل " محض صدفة " . و فى المجال السياسي ، يجرّ هذا الموقف فى النهاية إلى الإنتظار السلبيّ للحظة قطيعة أو ما يسمّى " الحدث " . و ما " يقدّمه وصفة " فى إنتظار الحدث هو سياسة الوقوف " على مسافة من الدولة " ، ب " النضالات المحلّية " و جعل " وصفات الدولة " (مفهوم سنكتشفه فى الأقسام التالية من هذا الجدال) . إنّه فى النهاية وصفة للإصلاحية المعلّقة غير الفعّالة على الهامش ، فى تعارض مع الإطاحة الثوريّة بالنظام القائم كأوّل قفزة ضروريّة فى سيرورة ولادة تحرير فعليّ، و فى النهاية تحرير الإنسانيّة ككلّ ، من كافة علاقات الإستغلال و الإضطهاد ، عبر العالم بأسره .

فى صياغة هذا الجدال ، سعينا إلى تحديد و نقاش لبّ الحجج و " أفضلها " ، لكن يجب أن نقرّ بأنّ نظريّات باديو تأتي مغلّفة بطبقات من التعمية التى تخفى طابعها غير الثوري والمعادي للثورة بينما يبدو أنّها تكسو مشروعه بقامة [شامخة].

و الغاية من هذا الجدال هي كشف ما تمثّله فعلا " سياسة التحرير " لألان باديو . و بإنجازنا هذا نرسم خطّا حادا من التمايز بين هذا الخطّ و خطّ التحرير الحقيقيّ : العلم و الحركة السياسيّة الثوريّة و هدف الشيوعيّة .

ويتوجّه هذا الجدال إلى المعنيّين بمستقبل الإنسانيّة و الذين يتوقون إلى مستقبل مغاير جذريّا – و الذين يبحثون عن نظرية مناسبة لتحدّيات زمننا . إنّه يستهدف تمكين الناس من عقد مقارنة بين الخطّين المتعارضين ، و فهم لماذا خطّ باديو مهما كانت نوايا صاحبه ، يظلّ سجينا موضوعيّا منغلقا فى إطار العالم كما هو ، بينما يوفّر الخطّ الآخر[خطّ التحرير الحقيقيّ] طريقا إلى الأمام لتخطّى هذا الجنون .

==

ألان باديو و دكتاتورية البروليتاريا أو لماذا يساوي نبذ إطار " الدولة-الحزب " نبذا للثورة

مقدّمة :

مثلما عرّجنا على ذلك فى مقدّمة هذا الجدال ، المشروع الشيوعي فى مفترق طرق . فقد بلغت الموجة الأولى من الثورات الإشتراكيّة نهايتها مع الإطاحة بالسلطة البروليتاريّة فى الصين سنة 1976 . و فى نفس الوقت ، حدثت تغيّرات كبرى فى النظام الإمبريالي العالميّ ، مأثّرة فى الحياة الإقتصاديّة و الإجتماعيّة . و كلّ هذا يثير مسائلا كبرى بشأن التجربة التاريخيّة للثورة البروليتاريّة و بشأن ما يعنيه القيام بالثورة – أو ما إذا كان القيام بالثورة ممكنا أو مرغوبا فيه – و قضية دكتاتورية البروليتاريا نقطة مركزيّة مفتاح فى القضايا و التحدّيات المطروحة فى هذه اللحظة من مفترق الطرق . هناك معركة حامية الوطيس من أجل تلخيص : إرث الثورة الإشتراكية للقرن العشرين و دروسها ؛ و فهم صحيح للحاجة إلى قيادة حزبيّة و نوع جديد من الدولة فى ظلّ الإشتراكية و التناقضات ذات الصلة .

يقدّم **" الشيوعية : بداية مرحلة جديدة ، بيان للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية "** هذا الإطار لتقييم و تلخيص التجربة التاريخية :

" المرحلة الأولى من الثورة الشيوعية مضت بعيدا ، وحقّقت أشياء ملهمة لا تصدّق ، القتال من أجل تجاوز العراقيل الواقعيّة حقّا التى واجهتها وفى التقدّم صوب عالم حيث سيتمّ فى النهاية القضاء على العلاقات الإستغلاليّة والإضطهاديّة وسيتمتّع الناس ببعد جديد من الحرّية وسيأخذون على عاتقهم وسينجزون تنظيم ومواصلة تغيير المجتمع فى كافة أنحاء العالم ، بمبادرة واعية وطوعيّة غير مسبوقة فى تاريخ البشرية . لكن ليس بالأمر الغريب أن وُجدت أيضا نواقص هامة وأخطاء حقيقيّة وأحيانا أخطاء جدّية للغاية ، فى كلّ من الخطوات العمليّة التى إتّخذها قادة تلك الثورات والمجتمعات الجديدة التى وُلدت وفى مفاهيمهم ومناهجهم . وهذه النواقص والأخطاء ليست **سبب** هزائم المحاولات الأولى للثورة الشيوعيّة لكنّها ساهمت وإن كان بصورة ثانويّة فى تلك الهزائم وأبعد من ذلك كلّ هذه التجربة للمرحلة الأولى بكلّ من إنجازاتها الملهمة حقّا وأخطائها ونواقصها الحقيقيّة جدّا وأحيانا الجدّية جدّا، حتّى وإن كانت عموما ثانويّة ، ينبغى التعلّم منها بعمق من كلّ الجوانب لأجل إنجاز الثورة الشيوعيّة فى الوضع الجديد الذى ينبغى أن نواجهه والقيام بما هو أفضل هذه المرّة. " (48)

و بطبيعة الحال للبرجوازية تقييمها : كانت الإشتراكيّة كارثة مطلقة ، طوباويّة خاطئة تحوّلت إلى كابوس . و هذا لا يشوّه من جميع النواحي أهداف هذه الثورات و مناهجها و " حقيقتها المعيشيّة " فحسب ، بل يحجب كذلك بصورة تلائم الغرض كيف أنّ الإمبرياليين و القوى الرجعيّة الأخرى سعوا إلى خنق هذه الثورات - سواء عبر المحاصرة و الهجوم العسكريّين، و الضغط الإقتصادي بلا هوادة أو القصف الإيديولوجي .

كانت الثورات البلشفيّة و الصينيّة تضطلعان بأمر بقدر ما هو جريء هو غير مسبوق – بناء مجتمعات حرّة من الإستغلال و الإضطهاد – و القيام بذلك فى ظروف ليست من إختيارهما . و قد جعلتا من تغيير الواقع و الظروف المادية للجماهير أولويّاتهما و بذلك فتحتا أفاقا جديدة تماما لمئات ملايين الناس الذين كانوا ، قبل تلك الثورات ، بالفعل مضطرّين إلى العيش فى ظلّ إستغلال فاحش و بؤس و موت قبل الأوان . لذا التلخيص الجدّي لكلّ من المكاسب و النواقص ، التلخيص الذى نادي به و إضطلع به **البيان** المذكور أعلاه – مستندا إلى فهم ما أنجزته فعلا هذه الثورات ، ما الذى كانت تخطّط لإنجازه والوسائل المنهجية و الفرضيات التى طبقتها لتحقيق هذه التغييرات – مطلق الضرورة .

لكن ألان باديو لا يقدّم مثل هذا التلخيص . فى الأعمال الحديثة مثل **" جدالات ، القرن ، و منطق العوالم "** يستعرض باديو التمرّدات الهائلة للقرن العشرين ، لا سيما الثورتان البلشفيّة و الصينيّة . و يقرّ بالدفع التحرّري الحقيقيّ الذى قاد هذه الإنفجارات ؛ و يقرّ بأنّ المشروع الثوريّ الحقيقيّ كان على أجندتها . إلاّ أنّ – و هذا هو تلخيصه الشامل – هذه الثورات أثبتت فى النهاية أنّها فاشلة . و أهّم من ذلك حتّى ، كانت هذه الثورات محكوم عليها بالفشل .

لماذا ؟ لأنّها ، حسب باديو ، كانت " سجينة " إطار الدولة – الحزب " أي نظريّة و ممارسة **إفتكاك** سلطة الدولة عبر سياسة إنتفاضية و **بناء** سلطة دولة جديدة ، فى ظلّ قيادة حزب شيوعي طليعي .

و ستالين ، حسب باديو ، أعطى ل " إطار الدولة – الحزب " تعبيره الأكثر تهويلا ، البيروقراطي – التسلطي . و كان ماو مختلفا ... لكن ليس مختلفا جدّا . على حدّ رأي باديو ، ماو إجتهد ضمن حدود و" منطق " الدولة – الحزب . لقد شنّ الثورة الثقافية التى تتضمّن إمكانية القطع مع قبضة جهاز " الدولة – الحزب " الإضطهادي . إلاّ أن ماو تراجع وفى النهاية بات حاميا لهذا الجهاز.

و ينظّر باديو لسياساته المناهضة للدولة وفق مسارين . مسار يبقى على بعض المصطلحات والمفاهيم الماركسية و يحاجج بالإحالة إلى بعض نصوص ماركس (و سلطة ماركس) . و يجرّ هذا المسار حجّة أنّه بعد الإنتصار ، كان يتعيّن على الثورتين الروسيّة والصينيّة أن تتحرّكا على الفور للإطاحة و التفكيك السريعين لجهاز الدولة القمعي و الحاكم . و عوض ذلك ، عزّزتا جهاز الدولة و نتيجة لذلك وقع كبح الحياة السياسيّة و خنقها .

و المسار الثاني ، وهو الأساسيّ الذى من خلاله نقل باديو فكره إلى السنوات الأخيرة ، هو أنّ ذات فكرة إفتكاك السلطة إشكالية : سلطة الدولة ليست ممكنة (لا يمكن أن توجد سياسة إنتفاضيّة فى عالم اليوم) و لا هي مرغوب فيها (الدولة – أية دولة – إضطهاديّة صميميّا).

بداية من ماركس ، و بالإعتماد على التلخيص الرصين و الصارم لتجربة المحاولات الحقيقية للثورة ، إستخلص الشيوعيّون الإستنتاج العلميّ بأنّ هناك علاقة وثيقة بين سلطة الدولة و الثورة . و يمكن للمرء أن يتحدّث عن سياسة جذريّة و حتّى أن يسمّيها " تحريريّة " مثلما دأب على ذلك باديو غير أنّه فى غياب إفتكاك سلطة الدولة - أي ثورة حقيقيّة تحطّم السلطة الإقتصاديّة و السياسيّة و العسكريّة للطبقة المستغِلّة الحاكمة - لا يمكن أن يوجد تغيير جوهريّ و ثوريّ للمجتمع . هذا المبدأ – دكتاتورية البروليتاريا – كان و يظلّ خطّ تمايز بين الشيوعية الثورية و الإصلاحية .

و اليوم ، مع الشيوعية فى بداية مرحلة جديدة ، و مع إثارة مسألة دكتاتورية البروليتاريا من جديد ، يتوصّل ألان باديو إلى التالي :

" الماركسية ، الحركة العمّالية والديمقراطية الجماهيرية و اللينينية و الحزب البروليتاري و الدولة الإشتراكية – كلّ هذه الإختراعات المتميّزة للقرن العشرين – لم تعد ذات فائدة عمليّة ". (49)

و مثلما وضع ذلك سنة 2006 :

" لمصلحة جميع ثوريّي العالم إكتشفت الثورة الثقافيّة فعلا حدود اللينينيّة . لقد علّمتنا أن **سياسة التحرير لم تعد تستطيع أن تكون فعّالة فى ظلّ نموذج الثورة** و لا أن تبقى سجينة شكل – الحزب " (50) [التسطير مضاف] .

وصارت الآن من عادات باديو أن يحيل على الإنتفاضات الثوريّة للقرن العشرين كمؤسسة لدلو مجتمعات تحوّلت إلى " فظائع " . و هكذا يلتحق ألان باديو بالكورال الليبرالي المناهض للشيوعيّة فى تلخيصه **للشيوعيّة فى السلطة** (موضوع الفصل الخامس من هذا الجدال) .

فى هذا الفصل ، نسلّط الأضواء على نظرة باديو القائلة بأنّ الدولة الإشتراكية يجب أن تبتدأ فى الإضمحلال على الفور و بأنّ أي تعزيز لهذه الدولة يتنافى و مكاسب الشيوعيّة ؛ و نظرة باديو بأنّ الأحزاب الشيوعيّة التى نظّمت الثورات لإفتكاك السلطة أثبتت أنّها لا تتناسب مع التحوّل إلى أحزاب فى السلطة . سنبيّن النقص الفادح فى الجدليّة و الماديّة و الحقيقة التاريخيّة الذى يقف وراء لبّ حجج باديو حول دكتاتورية البروليتاريا و الحزب الطليعي الذى يجب أن يقودها . و فى الفصل التالي ، سنتطرّق مباشرة إلى تحليله للثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى .

<u>لماذا تصلح الدولة الإشتراكية ، كيف ستضمحلّ و لماذا ينتهى ألان باديو إلى جانب الدولة البرجوازية :</u>

لقد دشّن كارل ماركس فهما علميّا جديدا للإشتراكية كشكل للدولة و كمرحلة إنتقاليّة ثوريّة :

" بين المجتمع الرأسمالي و المجتمع الشيوعي تقع مرحلة تحوّل المجتمع الرأسمالي تحوّلا ثوريّا إلى المجتمع الشيوعي . و تناسبها مرحلة إنتقال سياسية أيضا ، لا يمكن أن تكون الدولة فيها سوى **الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا** ..." (51) [التشديد فى النصّ الأصلي]

جوهر المرحلة الإشتراكيّة كما كتب ماركس هو كذلك أنّها " إنتقال إلى إلغاء كلّ الطبقات و إلى مجتمع لاطبقي " (52) . الإشتراكية مرحلة تاريخية و سيرورة تاريخية هدفها و غايتها إلغاء أساس إنقسام المجتمع إلى طبقات : فى علاقات الإنتاج الأساسيّة و فى العلاقات الإجتماعيّة و فى البنية الفوقيّة السياسيّة و فى الثقافة و الأفكار (ما أمسى الشيوعيّون الصينيّون يسمّونه " الكلّ الأربعة "). هذا ما تخدمه دكتاتورية البروليتاريا . و من خلال هذه السيرورة من الصراع و التغيير الثوريين ، ضرورة و أسس هذه الدكتاتوريّة الطبقيّة ، و بالنسبة إلى الجهاز المنظّم للقمع الذى بواسطته تهيمن مجموعة على مجموعة أخرى فى المجتمع ، يتمّ تجاوزه أيضا .

لقد وفّرت الممارسة التاريخية للثورة البروليتاريّة تجربة لا تقدّر بثمن لفهم طبيعة هذا الإنتقال و تحديّاته . و قد تطوّرت النظرية الشيوعيّة نوعيّا . و بالإعتماد على تحليل شامل لكلّ من الثورتين السوفياتيّة و الصينيّة ، حلّل ماو أنّه أثناء المرحلة الإشتراكيّة ستبقى الظروف الماديّة التى يَنجم عنها خطر هزيمة الثورة الإشتراكيّة ؛ و قد إكتشف وسائل خوض الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكيّة : مواصلة الثورة ضد القوى البرجوازيّة القديمة والجديدة و إنجاز التغيير الشامل للمجتمع و الناس . و بوب أفاكيان مرسّخا عمله على دراسة عميقة لماو و باحثا بعمق فى التناقضات الكامنة فى المجتمع الإشتراكي كمرحلة تغيير ثوري نحو الشيوعيّة ، تقدّم بنموذج من المجتمع الإشتراكيّ فيه سيرورة أغنى و أكثر ديناميكيّة للإحتجاج و المعارضة و التجريب فى إطار و فى خدمة التقدّم الثوري العالميّ نحو الشيوعيّة .

لكن لكلّ هذه الإختراقات فى تجربة الثورة البروليتاريّة و فى النظريّة الشيوعيّة ، ما يظلّ محوريّا بشأن دكتاتورية البروليتاريا يتأتّى من الأفكار العلميّة الأصليّة اللامعة لماركس : المرحلة الإشتراكيّة مرحلة إنتقال و تغيير ثوريين إلى مجتمع لاطبقي ما يتطلّب نوعا جديدا من الدولة .

بعد التذكير بسلطة ماركس ، يقدّم ألان باديو هذه الحجّة بخصوص الدولة :

" لقد كان الحزب أداة مناسبة للإطاحة بالأنظمة الرجعية الضعيفة غير أنّه أثبت أنّه غير ملائم لبناء " **دكتاتورية البروليتاريا " بالمعنى الذى قد حاوله ماركس - أي دولة مؤقتة تنظّم الإنتقال إلى اللادولة : إضمحلالها الجدلي"**(53). [التشديد مضاف]

وصف باديو للدولة الإشتراكيّة مفصليّ فى كلّ من قراءته للموجة الأولى للثورة الإشتراكيّة و إلى مفهومه ما بعد الماركسيّ و بالفعل المناهض للماركسيّة صراحة ، عن جذريّة " السياسة على مسافة من الدولة " (وهو مفهوم سنعالجه فى الفصل الخامس) .

أوّلا ، الشيء الأساسي بالنسبة لباديو ، بصيغته " دولة مؤقتة تنظّم الإنتقال إلى اللادولة " هو أنّه ينبغى أن توجّه محاصرة فوريّة نسبية ، نوع من " التقليص " الخطّي لسلطة الدولة الإشتراكيّة و سيرها – سيرورة ينبغى الشروع فيها عقب إفتكاك السلطة .

ثانيا ، يدافع باديو عن أنّ أي تعزيز و تقوية لدكتاتورية البروليتاريا يحول بالضرورة دون السيرورة التى من خلالها ستضمحلّ الدولة ويفضى حتما إلى التسلّطية البيروقراطيّة .

لباديو الحقّ فى أمر واحد هو أنّ ماركس إرتأى مرحلة الإشتراكيّة كمرحلة قصيرة نسبيّا .

فمن جهة ، كان ماركس يتوقّع إنتشارا سريعا نسبيّا للثورة البروليتارية ، لا سيما فى البلدان الرأسماليّة المتقدّمة . بيد أنّ الرأسماليّة تطوّرت إلى إمبرياليّة ما زاد بشكل كبير فى تعقيد السيرورة الثوريّة – خاصة ، مؤجّلا تطوّر الثورة فى البلدان الرأسماليّة المتقدّمة فى نفس الوقت الذى تحوّلت فيه الحلقة الرئيسيّة للنهوض الثوريّ إلى مناط الأمم المضطهَدة حيث القوى المنتجة أقلّ تطوّرا .

و من جهة أخرى ، تنبّأ ماركس بأنّه مع إفتكاك البروليتاريا للسلطة ، ستوجد سيرورة متداخلة نسبيّا من تجاوز الإنتاج و التبادل السلعيين عبر المال (و كان من المتوقّع أن تكون هذه نقاط بداية الإنتقال) . لكن هذا أيضا قد تأكّد أنّه سيرورة أعقد من التغيير المادي والإيديولوجي العميقين .

ما تمّ تعلّمه – و ماو قطع أرضيّة مفهوميّة جديدة للشيوعيّة – هو أنّ البون الذى لا يزال قائما بين العمل اليدوي و العمل الفكريّ ، و بين المدينة و الريف ، و الإختلافات و اللامساواة الإجتماعيّة الأخرى هي أرض تنبت إمتيازات جديدة وقوى برجوازيّة فى المجتمع الإشتراكيّ . هذه اللامساواة و ظهور القوى البرجوازية الجديدة فى المجتمع الإشتراكي تتفاعل مع موقع الإمبرياليّة الذى لا يزال مهيمنا على النطاق العالمي .

و الآن نفهم على نحو لم يكن متوفّرا لماركس و إنجلز (و حتّى للينين كقائد للدولة الإشتراكيّة الأولى ، أنّ سيرورة بلوغ الإشتراكيّة على النطاق العالمي ستكون معقّدة و طويلة الأمد ، و تعنى :

• تطوير إقتصاد إشتراكيّ مخطّط و مستديم لتلبية الحاجيات الإجتماعيّة و تجاوز الإنتاج السلعي إلى الإنتاج من أجل الإستعمال الإجتماعي المباشر ، و للمرور إلى ضمان الوفرة المادية **العامة** خدمة لحاجيات الإنسانيّة عالميّا .

• إجتثاث كافة بقايا و لامساواة المجتمع الطبقيّ التى ورثها المجتمع الإشتراكيّ مثل الإنقسام بين العمل الفكري و العمل اليدوي ، و بين المدينة و الريف و الرجال و النساء – إلى جانب إنعكاسات و تعزيزات كلّ هذا فى مجال الأفكار والقيم وقوّة العادة .

• مقاتلة إعادة تركيز الرأسمالية و منها ؛

• التقدّم بالثورة العالميّة وإلحاق الهزيمة بالإمبرياليّة العالميّة .

إنّ مادة إختبار ألان باديو ل " الدولة المؤقتة تنظّم الإنتقال إلى اللادولة " تخلو من فهم تعقيدات العالم الحقيقيّ و تناقضاته و المهام الهائلة للإنتقال العالميّ إلى الشيوعيّة .

و لهذا فائدة خاصة بالنسبة إلى علاقة الجيش القائم فى المجتمع الإشتراكي . و قد تحدّث ألان باديو كذلك عن " هوس بالإنتصار " ميّز الثورات الإشتراكيّة للقرن العشرين و إخفاق فريد للدول الإشتراكيّة فى تقليص الجهاز القمعيّ . و عنصر محوريّ فى هذا النقد لتوجيه ماو للثورة الثقافية هو أن ماو لم يتحرّك لحلّ و بوضوح عارض حلّ الجيش النظامي (نقطة سنعود إليها بالتفصيل فى الفصل الرابع) .

صحيح أنّ الدولة تتكثّف فى إحتكار شرعيّة القوّة المسلّحة (و إضمحلال الدولة ، ما يسمّيه باديو " لادولة " متميّز بإضمحلال مثل هذه الأجهزة). لذا المسألة المطروحة هي : هل يمكن ، فى وقت قصير بعد إفتكاك السلطة ، أن يقع حلّ الجيش القائم النظامي و توزيع وظائفه ؟ هذا غير ممكن لسببين جوهريين :

أوّلا ، تدلّل التجربة التاريخية على أنّ أيّة دولة ثوريّة ستكون بإستمرار عرضة للغزو الإمبرياليّ . و لا يمكن أن نعتقد بأنّ باديو غير واعي للطرق التى مرّ بها هذا : غزو الإتّحاد السوفياتي من قبل أكثر من 12 جيشا إمبرياليّا خلال الحرب الأهليّة المريرة عقب إفتكاك السلطة ؛ و الهجوم الوحشيّ لألمانيا النازيّة أثناء الحرب العالميّة الثانية ؛ و المساعي الأمريكيّة لغزو الصين فى المراحل الأولى من الحرب الكوريّة بما فى ذلك تفكيرهم فى إستخدام الأسلحة النوويّة إلخ . وفى إرتباط وثيق بالإمبرياليّة وجدت البرجوازية المطاح بها و الطبقات الإستغلاليّة الأخرى ضمن البلدان الإشتراكيّة ذاتها ، وهو شيء بينما تعرّض ل " دكتاتورية البروليتاريا " و منع من تنظيم نشاطات معادية للثورة ، قد عزّزته مع ذلك الإمبرياليّة العالميّة و التجربة السابقة لحكم المجتمع و علاقاتهم بالطبقات الحاكمة القويّة فى مناطق أخرى من العالم ، و مواصلة تواجد بقايا هامة من المجتمع القديم فى كلّ من القاعدة الإقتصاديّة و البنية الفوقية للمجتمع الإشتراكي الجديد ، و كذلك من قبل قوّة العادة و التقاليد و عوامل أخرى . و للحفاظ على المجتمع الجديد و تغييراته و للحفاظ عليه كمنطقة إرتكاز لمزيد التقدّم الثوري ، و الوقوف فى وجه هذه القوى الرجعيّة التى تحاول أن تخنقه فى المهد – دلّل هذا أنّه يستدعي جيشا قارا بدرجة هامة من التخصّص و الحرفيّة . ثانيا ، تواصل القوى الطبقيّة البرجوازيّة التواجد وتتوالد العناصر البرجوازيّة الجديدة بإستمرار فى المجتمع الإشتراكي . و محاولة " تسليح كافة الشعب " – بدلا من جسم

عسكري مختصّ ، جيش قائم ، فى ظلّ قيادة الطليعة الشيوعيّة – سيؤدّى بالفعل بمختلف الجيوش إلى التشكّل تحت قيادة قوى طبقيّة مختلفة ، منها البرجوازيّة . و العديد من هذه القوى ستبحث هي نفسها عن تحالفات مع القوى الإمبريالية الأجنبيّة و الدول الرجعيّة الأخرى .

لقد تحدّث بوب أفاكيان عن هذا بشيء من العمق فى " الديمقراطية : أكثر من أي زمن مضى بوسعنا و يجب علينا أن ننجز ما هو أفضل " ، جدال ضد ماوي سابق ،ك. فينو الذى بنى عدّة حجج مشابهة لحجج باديو . فى هذا الجدال ، مناقشا دور كلّ من الجيش و المليشيا فى المجتمع الإشتراكي ، كتب أفاكيان :

" و لا يعنى هذا طبعا أنه من غير الهام تسليح الجماهير الواسعة فى ظل الإشتراكية و أن بالإمكان التعويل على الجيش القائم وحده لصيانة حكم البروليتاريا . و بالفعل ، فى كل من وجهة نظر مكافحة الهجمات المسلحة للمعادين للثورة (و العدوان الإمبريالي) و وجهة نظر إنجاز التحويل الثوري نحو إلغاء الإنقسامات الطبقية (و معها الدولة) ، من الضروري و الحيوي إيجاد وضع تكون فيه الجماهير الواسعة " مسلحة " و أكثر من ذلك ، منظمة و مدربة فى مليشيات شعبية واسعة ، إلى جانب جيش دولة البروليتاريا القائم (إلى حد الوقت الذى **يمكن** للجيش القائم أن يُلغى) .

لكن المسألة المصيرية فى ما يتعلق بالجيش القائم و أيضا فى ما يتعلق بالمليشيا الشعبية هي ما إذا كانت البنادق بأيدى الجماهير **فى الواقع الفعلي و ليس فقط شكليا** . و تتوقف هذه المسألة على طبيعة القيادة التى تمارس فى الجيش القائم و المليشيا . و تبعا لذلك ، تجد طبيعة القيادة هذه تعبيرها المكثف فى **الخطّ** ، فى كل من الخط الإيديولوجي و السياسي فى تعبيره العام و كذلك فى تعبيره السياسي الملموس . و يتضمن هذا العلاقات بين القوات المسلحة (و من ضمنها المليشيا) و العلاقات بين هذه القوات المسلحة و مبادئ القتال و العقيدة و سواها مما ينجرّ عن ذلك . " (54) .

المسألة هي أن سلطة الدولة الإشتراكية كانت وهي ضرورية أ- للدفاع عن المجتمع الإشتراكي الإنتقالي و ب- لجعل التغييرات الثورية ممكنة نفى علاقة بتوسيع و تعميق الثورة البروليتارية على النطاق العالمي و فى تشجيع على تقدّم الثورة العالمية ، ما سيخلق ظروف إلغاء الحاجة للدولة و أساسها . تعزيز الدولة الإشتراكية هوتعزيز للأداة المطلوبة فعلا لإنجاز الإنتقال إلى المجتمع اللاطبقي . بيد أنّ باديو يرفض معالجة كلّ هذا وعوض ذلك يبدو أنّه يأمل أن يعتبر ذلك **من الماضي** بمجرّد نعت المفاهيم و المبادئ المستخلصة بألم من التجربة التاريخية الواقعية بأنّها " مشبعة " .

حتى نكون واضحين ، يجب أنتكون الدولة الإشتراكية و يجب أن تغدو بصفة متصاعدة نوعا مغايرا راديكاليّا من الدولة . لم يشدّد على هذا ماركس فقط ، بل شدّد عليه لينين ثمّ بصفة خاصة ماو ، حتى وهم يواجهون المشاكل الغاية فى التعقيد لبناء عالم جديد عندما كان العالم القديم بعيدا عن أن يكون قد قُبر. و يشكّل هذا نقطة جوهرية لمنطلق الخلاصة الجديدة لأفاكيان . و فيما وجدت أحيانا نزعات ، بوجه خاص بارزة لدى ستالين ، لرؤية إضمحلال الدولة على أنّه تقريبا مندمج نتيجة التطوّر المستمرّ للمجتمع الإشتراكي ، لن يصلح بالنسبة لباديو أن يُغمض عينيه على المعالجة الفعلية لهذه المسألة ومنها الابحث الفعلي للأشكال العملية من قبل الذين ركّزوا أنفسهم على و فعليّا صاغوا الأفكار العلمية الحقيقية اللامعة حول الدولة المصاغة بداية من قبل ماركس و إنجلز .

كيف نفهم إذن هذه السيرورة من إضمحلال الدولة إذا لم تكن كما يقترح باديو " دولة مؤقتة تنظّم الإنتقال إلى اللادولة " ؟ لقد قبض بوب أفاكيان على الجدلية الحقيقية لهذه السيرورة فى " الديمقراطية : أليس بوسعنا أن ننجز أفضل من ذلك ؟ " :

" ...إضمحلال الدولة ، بدروه ، يجب أن يُنظر إليه ليس ك " تبخّر " أو " حلّ " لجهاز الدولة فى يوم ما فجأة أو مرّة واحدة من لا مكان ، بل كنتيجة لسيرورة جدلية و نضال محدّد – عبره تشهد علاقات الناس فى المجتمع تغييرا ثوريّا . و مثلما قد شدّد ماركس ، فى تلخيص التجربة التاريخية للدولة البروليتارية الأولى (التى لم تعمّر طويلا) ، كمونة باريس لسنة 1871 ، البروليتاريون " من أجل تحقيق تحرّرهم الخاص ، و إلى جانبه الشكل الأرقى الذى ينزع إليه بصفة لا تقاوم المجتمع الحالي بفعل عوامله الإقتصادية الخاصة ... سيتعيّن عليهم المرور عبر صراعات طويلة ن عبر سلسلة من السيرورات التاريخية ، مغيّرة الظروف و البشر ". **هذه السيرورة – هذا الصراع ، جدلي بمعنيين : يشمل العلاقة الجدلية بين الدكتاتورية و الديمقراطية فى المجتمع الإشتراكي ... و يشمل العلاقة الجدلية - الوحدة و التضاد - بين تعزيز دكتاتورية البروليتاريا و فى نفس الوقت ، بذات الوسائل ، خطوة خطوة خلق و لكن أيضا عبر سلسلة من القفزات الثورية ، الظروف حيث لن تعود دكتاتورية البروليتاريا ضرورية ...أو ممكنة .** والسيرورة – الصراع – التى

تشمل إلغاء اللامساواة و التناقضات الباقية من الرأسمالية و العصر البرجوازي والمميزة لهما ، هي الطريق الذى من خلاله ستتحقّق فى النهاية الشيوعية عالميّا ، و الدولة – و إلى جانبها الديمقراطية – فى النهاية سيضمحلاّن : تغيير الظروف و الناس لبلوغ إلغاء " الحقّ البرجوازي" وتقسيم العمل الملازم للمجتمع المقسّم إلى طبقات ، فى كافة مظاهرها؛ و إلغاء الإنتاج و التبادل السلعي و تعويضهما بالتخطيط الواعي للإنتاج و التبادل – شاملة كلاّ من الوحدة و التنوّع ، كلاّ من الخطوط العامة المركزية و المبادرة الواسعة – و كلّ هذا فى إنسجام مع المبدأ الأساسي " لكلّ حسب قدراته إلى كلّ حسب حاجياته " ، و تجاوز اللامساواة العدائية بين النساء والرجال و بين مختلف القوميات و المناطق ... و تجاوز الإنقسامات القومية و كذلك الطبقية وإنشاء مجتمع إنساني عالمي حقيقي ، موحدين عن وعي- و مصارعين – لتحقيق التطوّر العام للمجتمع الإنساني و البشر الذين يكوّنونه " (55)[التسطير مضاف].

بهذا الفهم ، شدّد أفاكيان على المهمّة النقدية للتغيير الواعي للدولة الإشتراكية ذاتها : " مطوّرين عمليّا الأشكال و المؤسسات الملموسة التى تقود فى إتجاه الإضمحلال العملي للدولة ".

وبعض بذور هذا يمكن ان تشاهد فى أشكال السلطة من المستوى القاعدي التى أنشأت أثناء الثورة الثقافية ؛ مزج النشاط الإقتصادي و الإداري و العسكري ضمن الكمونات الشعبية ؛ وبعض الهياكل غير المركزية ل " تخطيط المناطق " التى فيها تتحمّل المناطق المحلّية المسؤولية المباشرة فى تنسيق التطوّر ضمن الإطار الموحّد للإقتصاد الثوري الصيني المخطّط.

لكن مهما كانت أهمّية هذه الأشياء ، فإنّها كانت **بذورا** ؛ و الخلاصة الجديدة لأفاكيان ترتئي تعديلات مؤسساتية (و تجريب) تذهب أبعد منها و تتطلّب توجّها و صراعا أكثر وعيا حول موضوع إضمحلال الدولة. والشكل (الأشكال) الدقيقة لهذا المفهوم الذى سيظهر فى المجتمعات الإشتراكية المستقبلية ستكون بلا أدنى شكّ متنوّعة . والأساس ، مع ذلك، هو أنّه يجب أن يوجد تغيير للمؤسسات السياسية و الإجتماعية للحكم البروليتاري بإتجاه " توزيع " وظائف تسيير المجتمع كي تتولّى الجماهير " مسؤولية مختلف مجالات المجتمع و تكون العامل الأهمّ فى بلوغ وضع فيه الدولة و معها الديمقراطية تصبحا هيكلا شكليّا و يمكن أن تضمحلاّ ".

على ضوء هذا الفهم ، محاولة باديو الإحادية الجانب و الميكانيكية تقلّص الدولة الإشتراكية إلى الإنتقال المنظّم إلى اللادولة و ببساطة ستجهض سيرورة بلوغ الشيوعية – بإعادة السلطة إلى البرجوازية . فى عالم منقسم إلى طبقات ، البرجوازية لن تتراخى و لو للحظة .

ملاحظة مقتضبة عن الفلسفة :

بالرغم من إستعماله لكلمة " الجدلية " لوصف فهم ماركس لدكتاتورية البروليتاريا، فإنّ ألان باديو قد نبذ نظرية التناقض :

" أثناء مرحلة سياسة الحزب ، النموذج المنطقي كان الجدلية الهيغلية ؛ كان نظرية التناقض . أثناء كامل تطوّر الماركسية و اللينينية و الماوية ، كانت نظرية التناقض لبّ الإطار المنطقي . و قناعتى أنّ هذا أيضا قد إنتهى " . (56)

هنا ليس بوسعنا الدخول فى نقاش خلط باديو بين التناقض الهيغلي و المادية الجدلية ،و لا الحكم بالموت الذى أصدره على المادية الجدلية . إلاّ أنذ ما هو بارز فى هذا النقاش هو أنّ ألان باديو يرى تناقضات ظاهرية ، أو تناقضات لا تحلّ و يعيد تأويل تناقضات العالم – الواقعي عبر هذه النظّارات . عوض رؤية كلّ من الوحدة و التضاد فى التناقض المتجسّد فى وجود الدولة الإشتراكية ، وإستيعاب مقاربة جدلية حقيقية لهذا التناقض ، لا يرى باديو سوى التضاد بين مختلف المظاهر، تناقض ظاهريلا يحلّ : تعزيز دولة يجب ألاّ يكون دائما . و على ضوء هذا ، من السليم أن ننظر فى المقطع التالي من **" فى التناقض "** لماو و فيه يتحدّث عنكلّ من المسائل موضوع النقاش و مسائل الجدلية و المنهج :

" إنّ توطيد دكتاتورية البروليتاريا أو دكتاتورية الشعب يعنى بالضبط تهيئة الظروف لتصفية هذه الدكتاتورية و التقدم إلى مرحلة أعلى ، مرحلة يتمّ فيها القضاء على جميع أنظمة الدولة . و إنّ تـأسيس الحزب الشيوعي و تطويره يعنى بالضبط تهيئة الظروف للقضاء على الحزب الشيوعي و جميع الأحزاب السياسية . و إنّ تأسيس الجيش الثوري بقيادة الحزب الشيوعي و القيام بالحرب الثورية يعنى بالضبط تهيئة الظروف للقضاء على الحرب إلى الأبد . إنّ هذه الأشياء متناقضة لكنها يكمل بعضها بعضا فى الوقت ذاته ." (57)

لقد إكتسبت الشيوعية فهما أعمق لطبيعة هذه التناقضات ذاتها و الحاجة إلى العمل بوعي بإتجاه معالجتها خدمة لمصالح الإنسانية العالمية و بلوغ الشيوعية العالمية . لكن النقطة المنهجية و النظرية تظلّ :الدولة الإشتراكية فى ظلّ القيادة الشيوعية هي " إعداد للظروف " نحو حلّها – و تنجز ذلك ، و لا يمكنها أن تنجز إلاّ بالتعاطي مع تناقضات العالم الواقعي ، التناقضات العميقة جدّا التى يجب أن تواجهها و تحوّلها لأجل التقدّم عبر حقبة كاملة من الصراع ، جوهريّا على نطاق عالمي ، لبلوغ القاعدة الفعلية لإضمحلال الدولة – فى تعارض مع مجرّد تصوّر هذا الإضمحلال [على طريقة باديو] الذى مرّة أخرى لن يساهم سوى فى إنتصار الدولة البرجوازية و تأبيدها .

<u>ألان باديو يزوّر المكاسب التاريخية للمجتمعات الإشتراكية :</u>

لتقسيم باديو للتجربة الإشتراكية معنيين . من جهة ، يتحدّث عن " طغيان " الحزب و " فظاعة " تجربة الشيوعية فى السلطة ، و " المواجهات البيرقراطية العنيفة " للثورة الثقافية ؛ ومن جهة أخرى ، و هذا فى صلة بذاك ، يقرأ مكاسب هذه الثورات و المجتمعات عبر نظّارات صلاح المعيشة .

و إليكم توصيفه المستعجل الذى يرمي جانبا بالتغييرات فى هذه المجتمعات :

" قطعت بعض هذه الأنظمة أشواطا واقعية فى التعليم و الصحّة العمومية و تثمين العمل و ما إلى ذلك ؛ و وفّرت حاجزا عالميّا أمام عجرفة القوى الإمبريالية . و مع ذلك ، مبدأ الدولة فى حدّ ذاته أثبت أنّه فاسد و على المدى البعيد غير فعّال ". (58)

يفرز الحقد الشديد لباديو على دكتاتورية البروليتاريا هذا التزوير المذهل أو بالأحرى التزوير الجامح للحوافز و المكاسب التحريرية للموجة الأولى من الثورة الإشتراكية . و مدحه " للأشواط الواقعية فى التعليم و الصحّة العمومية ..." يمكن أن ينطبق أيضا على إسكندينافيا .

لا معنى للإتحاد السوفياتي الثوري – و حتى أكثر للصين الإشتراكية – كأصناف مختلفة راديكاليّا من الدول ، حيث " قطعت " أشواطا واقعية فى التعليم و الصحّة العمومية و تثمين العمل" على قاعدة سلطة دولة ثورية فى خدمة الجماهير، مارستها الجماهير بصورة متصاعدة ؛ و إقتصاديات لا يحرّكها حافز الإستغلال و الربح لكن تتوجه نحو تلبية حاجيات الناس و تغيير المجتمع ، و فى النهاية العالم ككلّ ، نحو الشيوعية ؛ و جهود تطوير جماعية ثورية جديدة شعبية و علاقات و أفكار تعاون ؛ و المجتمعات الساعية إلى تشجيع الثورة العالمية – لكن أجل ، كذلك متميّزة بنواقص و نواقص جدّية تماما فى حال الإتحاد السوفياتي .

كانت المكاسب غير مسبوقة . كانت مجتمعات متوجّهة و مقادة نحو تغيير العلاقات الإقتصادية و تثوير العلاقات و التفكير الإجتماعيين . و يخفق ألان باديو فى الإشارة إلى **التغييرات فى العلاقات بين النساء و الرجال** التى ميّزت الإتحاد السوفياتي الإشتراكي و الصين الإشتراكية – و إجتثاث الدعارة ، أو التغييرات الراديكالية فى مكانة النساء فى الصين الثورية مقارنة بربط الأرجل و الخليلة الإقطاعية للصين ما قبل الثورة . يفشل باديو فى أفشارة إلى إختراقات الدولة السوفياتية ، لا سيما فى عقديها الأولين ، فى مهاجمة **اللامساواة** بين الأمم و القوميات التى شكّلت فى روسيا ما قبل الثورة " سجن الأمم ". و يخفق باديو فى الإشارة إلى مكسب الصين فى الإكتفاء الذاتي فى الغذاء و تلبية الحاجيات الأساسية **دون** التعويل على علاقات إستغلالية ، داخل البلد أو فى علاقة ببلدان أخرى .

و يخفق ألان باديو فى الإشارة إلى أنّ " الأشواط فى التعليم " كانت موجّهة نحو **التقليص فى التقسيم الإجتماعي** بإتجاه فتح أبواب الجامعات إلى أبناء الفلاحين و العمّال فى الصين ، لا سيما أثناء الثورة الثقافية . إنّه يخفق فى الإشارة إلى الإختراقات فى إيجاد ثقافة ثورية نمثل تغيير الأوبرا الصينية و بثّ صورة قويّة عنالنساء الثوريّات . و يخفق فى الإشارة إلى صياغة نظرة مجتمعية ل " خدمة الشعب " عوض " أنا أوّلا " خدمة للفردية الأنانية الرأسمالية . و يخفق ألان باديو فى الإشارة إلى ألممية الثورية للإتحاد السوفياتي فى تشجيع و دعم النضالات الثورية حول العالم ، حتى مع بعض الأخطاء التى إقترفت فى خضمّ هذا ، و خاصة فى إطار التهديد و ثمّ الواقع المدمّر للغزو الألماني النازي الضخم فى 1941 . و يخفق فى افشارة إلى مساعدة الصين للنضالات الوطنية المناهضة للإمبريالية فى كوريا و فيتنام ، حتى مع وجود مشاكل كبرى فى معالجة العلاقة بين الدفاع عن الدولة الإشتراكية و تشجيع الثورة العالمية . (59)

هذه ليست سوى لمحة عن التغييرات الكاسحة ،الجوهرية و المتعدّدة الوجة – فى العلاقات الإنتاجية و الإجتماعية و فى العلاقات السياسية فى كلّ من داخل البلاد و عالميّا و فى عالم الإيديولوجيا و الثقافية – التى ميّزت جذريّا المجتمعات الإشتراكية عن المجتمعات الإستغلالية التى وجدت قبلها .

أجل ، تحققت هذه المكاسب الملهمة فى علاقة جدلية بنواقص واقعية و أحيانا (و إن كانت ثانوية) جدّية لدي الدول الإشتراكية الأولى . بيد أنّ تلخيص باديو لا يمكن أن يشمل ما كانرائدا بشأن هذه الثورات و لا المشاكل العملية فى الفهم و المنهج اللذان أدّيا إلى الأخطاء و النواقص – و التى و إن كانت ثانوية كانت مهمّة . (هنا ليس بمستطاعنا سوى ملامسته ، و نشجّع القرّاء على الغوص فى الكتب المذكورة ، لا سيما منها " القيام بالثورة و تحرير الإنسانية " (60)

المكتسبات الكبرى لهذه الموجة الأولى للثورة الإشتراكية ، لا سيما ا تحقّق عبر الثورة الثقافية فى الصين (موضوع الفصل الرابع) ، هي أعلى القمم التى بلغتها الإنسانية إلى اليوم . لا يمكننا لا البقاء عندها و لا وضعها وراءنا : الإختراقات الكبرى للموجة الأولى يجب أن تعاد صياغتها بمفهوم أكثر تقدّما .

هل كانت سلطة الدولة تستحقّ ذلك العناء ؟ نعم ، قطعا .

هل تستحقّ سلطة الدولة مجدّدا العناء ؟ نعم ، مطلقا .

هل يجب علينا و هل بوسعنا إنجاز ما هو أفضل و المضي إلى أبعد من ذلك ؟ نعم ، مرّة أخرى .

<u>نظرة باديو اللاطبقيّة و الشكليّة للدولة :</u>

محى باديو إفتكاك السلطة و التغيير الثوري للمجتمع بواسطة دولة جديدة فى ظلّ قيادة البروليتاريا و مراقبتها على أنّه غير ممكن و غير مرغوب فيه أيضا . و نتابع الآن ألان باديو وهو يسافر على مساره النظري الآخر . لا يتعلّق المر بباديو الذى يحيل على و حتى يبدو أنّه يحدّد حجته بجملة لماركس أو بمفهوم ماركسي ، بل بألان باديو الذى يعتبر أنّ الماركسية " لم تعد ذات إستعمال عملي" و الذى يعتبر أنّ الدولة كدولة (الدولة فى حدّ ذاتها) مشكل . لقد كتب فى " القرن " : " بينما كانت الدولة دائما جوهر النظرة الفاشية للسياسة – كدولة يدفعها الوجود المفترض لجمعيات كبرى مغلقة – فى تاريخ اللينينية و لاحقا الماوية ، لم يوجد أبدا شيء سوى عائق أمام مقدار عنف عمليّات السلطة يعارض الحركية السياسية اللامتناهية "(61).

عن باديو يصدر إدعاءان شاملان . الأوّل هو أنّ التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا قد بيّنت أنّ هذه الدولة تشكّل "حاجزا " لسياسة مشاغل (مضمون يبدو ضبابيّا لدي باديو) . و الثاني هو ،وفى إرتباط وثيق بالأوّل ، إدّعاء أنّ الدولة البروليتارية عرضة لبعض المنطق اللاطبقي المفترض من " عمليّات السلطة " عنف مقدر له هيكلة و هدف (" عنف " بالمعنى الحرفي و المجازي فى آن معا) يقف ضد السياسة التى تدفع نحو النهاية المفتوحة (مرة أخرى ، بلا مضمون طبقي ، أو واقعيّا بلا الكثير من المضمون المحدّد أبدا). هذا الإنفصام ليس إنقساما طبقيّا و عداءا طبقيّا يشقّ المجتمع كلّه و يشكّله ، بل هو هيكل كنهيّ و منطقي لدولة مقابل مجتمع .

الآن ، فى المجتمع الإشتراكي هناك فعلا تناقض بين الدولة و الفرد . هذه الدولة ، حتى كنوع جديد راديكاليّا من الدول ، مؤسسة مختصّة فى تركيز السلطة – تحديدا لخدمة هدف قمع الثورة المضادة ، مسندة الجماهير فى النضال من أجل تغيير العالم ، و التقدّم بالثورة العالمية . لكن هذا التركيز للسلطة المتفاعل مع قوّة العادة فى المجتمع الإشتراكي (الناس يعوّلون على آخرين فى الإعتناء بالأشياء ، الذهاب مع الموجة ، الإنحناء للسلطة إلخ) يحمل معه بعض التناقضات الهامة.

فى المجتمع الإشتراكي ، آليّات الدولة يمكن أن تستخدم ضد الأفراد و المجموعات فى المجتمع . لقد لفت ماو الإنتباه إلى التناقض بين الفرد و الدولة فى المجتمع الإشتراكي ، و أنجز أفاكيان مزيدا من التقدّم فى فهم هذا المشكل و حلوله ، بما فى ذلك حاجة المجتمع الإشتراكي إلى إرساء " قواعد اللعبة " لسير الدولة فى شكل دستورو قوانين قائمة على ذلك الدستور تنصّ على الحقوق والإجراءات و تصون حقوق الفرد.

و يصبح التناقض حادا بصفة خاصة فى لحظات إستيلاء القوى التحريفية الرأسمالية و سيطرتها على أقساط من سلطة الدولة ، حتى حينما يظلّ المجتمع عامة إشتراكيّا و تظلّ الدولة ، فى مظهرها الرئيسي ، تعكس و تخدم الطابع الإشتراكي

للمجتمع . لكن لكلّ هذا مضمون طبقي موضوعي . المسألة الأساسية هي : دولة لمن ، دولة لماذا ، دولة بصورة متصاعدة تتحكّم فيها الجماهير و تثوّر عبر الصراع الطبقي المستمرّ ، صراع فيه التناقضات يعترف بها على نحو متصاعد و وسائل و طرق حلّها تكتشف و يتمّ التحكّم فيها لمصلحة الجماهير و بإتجاه الشيوعية – أم لا ؟

منهج ألان باديو ، من جهة أخرى ، منهج شكلاني : الدولة كهيكل فى حدّ ذاتها . إنّها نظرة لاطبقية للدولة ؛ و حسب معاييره الإختلافات بين الدول الإشتراكية و الرأسمالية ثانوية نسبة لما هو مشترك بينهما. فى **" الوجود و الحدث "** ، يطوّر هذا الموقف (و فى ما يلي يستعمل " دولة " فى كلّ من معناها السياسي و معناها الفلسفي) :

" و ذلك لأنّه حتى إن كان طريق التغيير السياسي – و أقصد طريق التوزيع الجذري للعدالة – على الدوام تحدده الدولة ، لا يمكنه بأية طريقة أن يدع الدولة تقوده ، **لأنّ الدولة تحديدا لاسياسية ، فى ما يتصل بأنّه لا يمكنها أن تغيّر و تنقذ الأيادي و من المعلوم جيدا أنّ هناك القليل من الإستراتيجيا الهامة فى مثل هذا التغيير** ... لا شكّ فى أنّ السياسة ذاتها يجب أن تنشأ فى ذات المكان الذى تنشأ فيه الدولة : فى تلك الجدلية . لكن **هذا بالتأكيد ليس لأجل إفتكاك الدولة و ليس من أجل مضاعفة تأثير الدولة** . (62) [التسطير مضاف] .

بالنسبة إلى باديو ، الدولة أداة إضطهاد فى حدّ ذاتها تثقل كاهل الجماهير ، بغضّ النظر عن الأيدي التى تمسكها ، و لا يمكن غستعمالها للتحرير- مجدّدا ، مثلما وضع ذلك باديو ، " بالتأكيد ليس لأجل إفتكاك الدولة و ليس من أجل مضاعفة تأثير الدولة ".

ما يحجبه باديو فى فهمه أنّه لا وجود " لأهمّية إستراتيجية " فى " تغيير الأيادي " الماسكة بالدولة هو واقع أنّه ثمّة **مضمون طبقي** للدولة ، أنّها أداة و شكل من **الحكم الطبقي** فى خدمة علاقات الإنتاج الكامنة و تعزيزها . و مثلما صرّح لينين بجلاء " **إنّ الدولة ليست إلاّ جهازا لقمع طبقة من قبل طبقة أخرى** " [التسطير مضاف](63).

لقد تطوّرت الدولة تاريخيّا و **ظهرت** على أنّها تقف فوق الطبقات غير أنّها **جوهريّا** نتيجة و تعبيرا عن التناقضات الطبقية العدائية التى لا يمكن التوفيق بينها و وظيفتها هي الإبقاء على النزاع ضمن حدود " النظام " لفائدة الحفاظ على الهيمنة الطبقية . و دكتاتورية البروليتاريا نوع مختلف جذريّا من الدولة ، منجز للإنتقال الإشتراكي – لكنّها لا تزال أداةهيمنة طبقية ، حتى و إن كانت تهدف إلى وضع حدّ لكافة الهيمنة الطبقية ، لكافة الإختلافات الطبقية و لكافة الدول .

فى كتاباته ، يعترف باديو بأن مختلف الدول تعطي ميزة لتجمعات مختلفة او " شرائح " – و هذا يقدّم طلاء خارجيّا ماركسيّا مستمرّا لتحليله السياسي . لكن بما أنّ التجمعات يمكن **أو لا يمكن** أن تكون طبقية لا يرى طبيعة الدولة بمعناها الجوهري و المحدّد : معناها الطبقي و التناقضات العدائية الطبقية . أقليل هو هذا التغيير بالمعنى الإستراتيجي؟ ماذا عن دولة و مجتمع عوض تعزيز خطّ إستغلال العمل و مراكمة رأس المال يمنعان ذلك ؟

بنبذ مفهوم الطبقة ، يمحى ألان باديو الإختلاف الجوهري بين الدولة الرأسمالية و الدولة الإشتراكية ، راسما وجوه شبه شكلية صارمة بين الإثنين . لكن الإنعكاس الأكبر لحجته حول الدولة هو أنّه يغطّى الحاجة إلى سلطة الدولة و العلاقات الإقتصادية الجديدة . إنّه يرسى أرضية حججه السياسية و الإستنتاج الصريح بأنّنا نحتاج إلى " سياسة لا تكون فيها سلطة الدولة لا موضوعية و لا قادة " .

و فى الواقع ، سلطة الدولة الإشتراكية ، دكتاتورية البروليتاريا ، شيء جيّد جدّا – و نعم ، له " معنى إستراتيجي " هائل فى " تغيير الأيدي " – ومثلما وضع ذلك بوب أفاكيان :

" من الصحيح أن نسعى وراء سلطة الدولة . من **الضروري** أن نسعى وراء سلطة الدولة. سلطة الدولة شيء **حسن** – سلطة الدولة شيء **عظيم** – بأيدي الناس الحقّ ، و الطبقة الحق ، فى خدمة الأشياء الصحيحة : التوصّل إلى القضاء على الإستغلال والإضطهاد و اللامساواة و إيجاد عالم ، عالم شيوعي ، فيه بمقدور البشر أن يزدهروا بطرق جديدة و أعظم من ذى قبل أبدا " (64).

الحزب فى المجتمع الإشتراكي : " غير ملائم" أم أداة للتحرير :

يُعدّ آلان باديو عمله جزءا من مشروع أشمل لبعث " الفرضية الشيوعية إلى الوجود بكيفية مختلفة عن سابقتها " (65). والكيفية السابقة التى يحيل عليها باديو هي إفتكاك السلطة (سياسة الإنتفاضة الثورية) و بناء سلطة دولة جديدة بقيادة حزب شيوعي (" إطار الدولة – الحزب ") .

هنا نسائل أطروحات باديو عن الحزب الشيوعي كحزب فى السلطة . و نقارن ذلك بالفهم الشيوعي ل- أ- الحاجة إلى دور قيادي مؤسساتي للطليعة فى ظلّ الإشتراكية و- ب- التناقضات المرتبطة بهذا و - ت – كيف و عبر أية وسائل يجب على المجتمع الإشتراكي أن يتقدّم بإتجاه الأغاء القيادة الشيوعية المؤسساتية فى النهاية – كجزء من توفير الظروف الضرورية للمجتمع الشيوعي العالمي .

و لنعد إلى التأكيد الجوهري لباديو بخصوص الحزب الطليعي : " كان الحزب أداة مناسبة للإطاحة بالأنظمة الرجعية الضعيفة ، لكنّه أثبت أنّه غير ملائم لبناء " دكتاتورية البروليتاريا " بالمعنى الذى سعى إليه ماركس – أي دولة مؤقتة تنظّم الإنتقال إلى اللادولة : " إضمحلالها " الجدلي " (66) .

و المعلّقون الديمقراطيون–الإشتراكيون و المناهضون للشيوعية عادة ما حاججوا ب "عدم الملاءمة " : حزب شيوعي كان يخوض نضالا فى ظلّ ظروف صعبة من القمع ،واضعا أولوية للإنضباط لإستنهاض الإنتفاضة ضد الأنظمة التسلّطية و محدود بالإنفتاح المغشوش يصبح متصلّبا ومتخشّبا كحزب حاكم . إنّ تنويع باديو الطفيف فى هذا النحت هو أن مثل الحزب المنشغل بإستمرار بالتمسّك بالسلطة ، يجد نفسه يوسّع قمع سلطة الدولة – الحزب عندما يجب أن يقلّص وظيفة الدولة .

تلخيص باديو هو أنّه عقب هزيمة كمونة باريس المسألة المهيمنة بالنسبة للحركة الشيوعية كانت : " كيفية الصمود – على خلاف كمونة باريس – فى وجه الرجعية المسلّحة للطبقات المالكة ؛ كيفية تنظيم السلطة الجديدة لحمايتها من هجمات أعدائها ؟ الهوس بالإنتصار المركّز حول مسائل التنظيم ، وجد تعبيره الرئيسي فى " الإنضباط الحديدي" للحزب الشيوعي – البناء المميّز للتتابع " (67) [و يقصد ألان باديو رئيسيّا الثورتان فى الإتحاد السوفياتي و الصين] .

هذا مقطع متميّز . على الفور يجبر المرء على طرح سؤال أوّلي على ألان باديو : فى عامل فيه الفظائع تلو الفظائع تكدّس على كاهل الإنسانية ، فى عالم فيه تمرّد المضطهَدون و المستغَلون و إحتجّوا فيقع إخضاعهم ، عادة بالعنف الأشدّ فظاعة ، فى عالم فيه كومونيو باريس وقع ذبحهم و إلحاق الهزيمة بهم ، فى جزء كبير لعدم إمتلاكهم لقيادة و تنظيم وإيديولوجيا ترشد النضال من أجل تحريرشامل – ما الخطّا فى الرغبة فى الإنتصار و الرغبة فى الحفاظ على الإنتصار لبلوغ هدف لا أقلّ من تحريرالإنسانية ؟ هل وجدت مشاكل و أخطاء فى الحفاظ على المجتمعات الإشتراكية " ضد هجمات أعدائها " ؟ أجل ، وجدت و وجدت حتى مشاكل و أخطاء جدّية . لكن الإجابة ليست إعادة السلطة للعدوّ ، أو التخلّي عن النضال من أجل السلطة . المسألة هي كيف يمكن أن ننجز ما أفضل – بالكسب بكلّ من المعنى المباشر و بطريقة متسقة مع الأهداف و القيم البعيدة المدى لمجتمع شيوعي حقيقي .

و إلى مزيد تحليل تشويه باديو لجوهر الطليعة الشيوعية . يرفع باديو الإنضباط و التنظيم فوق اللبّ الإيديولوجي الذى يشكّل حزبا ...حزبا شيوعيّا . يتحدّد الحزب الطليعي بإيديولوجيته و بالمصالح الطبقية التى تتكثّف فيه . و طريقة أخرى لطرح المسألة : يتحدّث الحزب الطليعي بخطّه (نظرته للعالم و منهجه و السياسات و التوجّه النابعين من ذلك). و التنظيم و الإنضباط و يخدمان و يعكسان تلك الإيديولوجيا – الشيوعية – وهما يسترشدان بهذه الإيديولوجيا ؛ إنّهم يخدمون الصراع الطبقي ؛ إنهم يخدمون جدلية النظرية و الممارسة ، لولب المعرفة لدي حزب شيوعي ، حتى يستطيع أن يقودالجماهير فى فهم العالم وتغييره ، فى القيام بالثورة فى مجتمع منقسم إلى طبقات .

لكن الخطّ يساوي لا شيء فى الإطار الشكلاني الذى يتبنّاه باديو . (68) فالحزب الشيوعي الصيني فى ظلّ قيادة ماو كان عالي التنظيم و الإنضباط إلاّ أنّ ماو شدّد على أنّ الخطّ السياسي و الإيديولوجي هو المحدّد . هل ثمّة فرق بين كون دنك سياو بينغ قاتل صلب ذلك الحزب من أجل خطّ تطوّر رأسمالي و بين ماو الذى قاتل من أجل خطّ آخر - خطّ مواصلة

الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا ، تجاه هدف الشيوعية ؟ هل كان هناك إختلاف و هل هناك إختلاف فى المجتمع الصيني بين 1949 و 1976... و المجتمع الصيني اليوم ؟ أم هل أنّ ماو و دنك أقرباء فى الحزب البيروقراطي ؟

يوجد إنضباط الطليعة فى وحدة جدلية مع الصراع حول الخطّ صلب الحزب . و المبادئ التنظيمية التى طوّرها أوّلا لينين تعنى بكلمات قرار الحزب الشيوعي الثوري " حول القادة و القيادة " :

" درجة عالية من الإلتزام و المبادرة الفرديين (من الأفراد و وحدات الحزب على جميع المستويات) مع درجة عالية من وحدة الإرادة و العمل و يخوّل لنا قتال العدوّ بطريقة منظّمة و منضبطة. و يمكّننا هذا من عمل سلسلة المعرفة الحزبية و سلسلة القيادة الحزبية التي تربط الحزب بالجماهير لقيادتها فى النضال من أجل مصالحها الثورية ." (69)

و بكلمات **القانون الأساسي** الجديد (2008) :

" الحزب بكاملة ملتحم فى سلسلة معرفة و سلسلة قيادة على قاعدة المركزية الديمقراطية .

تعرض قيادة الحزب المبادئ و التحليلات الأساسية و تركّز الإنتباه على المسائل الرئيسية أمام الثورة ، و توجّه الحزب عبر البحث الصارم و النقاش الحيوي لكلّ هذا. و هكذا تمكّن من إيجاد سيرورة غنية من النقاش و الجدال فى صفوف الحزب على أساس علمي . و عندما يحدّد الخطّ ، بحماس يمارسه كلّ شخص عمليا . َمظهَرا المركزية الديمقراطية كلاهما- الجدال حول الخط و تطبيقه الموحّد- ضروريان للسيرورة الشاملة لمعرفة العالم و تغييره على أكثر الأسس الممكنة صحّة و عمقا . و المركزية الديمقراطية لا تخوّل للحزب جماعيا فقط أن يستخلص ، على قاعدة علمية ، أفكار الرفاق فى الحزب و توليفها / تلخيصها ...لكن أيضا التعلّم من تفكير الجماهير الشعبية خارج الحزب ، و تطوير و تعزيز روابطه معها ، كجزء هام من تكريس العملية الجدلية لتعميق فهمه للواقع فى علاقة متبادلة مع قدرته على قيادة الجماهير الشعبية لتغيير الواقع ثوريا بإتجاه هدف الشيوعية. " (70)

فى المجتمع الرأسمالي ، يجب على حزب شيوعي أن يعدّ الأرضية للثورة من أجل إفتكاك السلطة . و كعنصر حيوي فى عمله ، يجب عليه أن يرفع الوعي السياسي و الإيديولوجي للجماهير المتعرّضة للقذف المستمرّ بقنابل الأفكار البرجوازية . إنّه يجلب الإيديولوجيا إلى الجماهير . مقاتلا تأثيرات الإيديولوجيا البرجوازية صلب البروليتاريا و القطاعات الأوسع من المجتمع ، و الدفع نحوالعفوية وقوّة العادة . إنّه يقدم للجماهير رؤية للإشتراكية و الشيوعية و يدرّبها على الفهم العلمي لسير الواقع و خاصة المجتمع و ترابط مختلف الطبقات و الشرائح الإجتماعية .

فى إطار مجتمع تتحكّم فيه الطبقات المستغِلة و عبر السيرالعادي الجاري لمثل هذا المجتمع ، تحرم الجماهير من هذا الفهم . فى المجتمع الطبقي ، فقط قالّة قليلة (المثقفون) هم المدرّبون و الذين يطوّرون بيسر الإشتغال فى مجال الأفكار . و هذا يعنى : الحاجة إلى أن يبرز حزب شيوعي التناقضات الطبقية لمجتمع رأسمالي غارق فى الإنقسام بين العمل الفكري والعمل اليدوي . و دون مثل هذا الحزب ، لا توجد مطلقا أية إمكانية للإطاحة بالحكم الطبقي و بالإستغلال الطبقي اللذان يأبّدان مثل هذا التقسيم الإضطهادي .

لكن ماذا عن المجتمع الإشتراكي ؟ لماذا هناك حاجة فى مجتمع لا تعود فيه الجماهير مخضعة ومحرومة من المشاركة بصورة دالة فى المجالات الجوهرية لصناعة القرار والنشاط الفكري ؟ بالتأكيد، سيرورة القيام بالثورة و إفتكاك السلطة تحدث تغييرات هائلة . و القوّة القمعية و ثقل إضطهاد الدولة البرجوازية قد وقع تفكيكه . و تسند دولة جديدة بأهداف جديدة الجماهير فى إعادة صياغتها للعالم . و إضافة إلى ذلك ، فى أثناء القيام بالثورة و إفتكاك السلطة ، يعرف الناس تغييرا كبيرا – تخطّى الإنقسامات و العثور على قوّة جديدة فى الجماعية وتبنّى أفكار راديكالية و شيوعية جديدة .

لكن بالمعنى الجوهري ، بالكاد إبتدأت سيرورة التغيير الثوري بإفتكاك السلطة . لهذا هناك حاجة للقيام بالثورة : و فقط بإفتكاك السلطة و على أساس ذلك ، يغدو من الممكن أن نغيّر جذريّا المجتمع و تفكير الناس . و بالفعل ، مهام التقدّم بالثورة هي الآن حتى أعقد و أكثر تحدّيا ممّا كانت عليه مع إفتكاك سلطة الدولة فى البداية . و هذه المهام لن تنجز ذاتها بذاتها ، لن تتمّ معالجتها بتوافق شعبي دون واسطة .

لماذا ؟ هنا علينا أن نأخذ بعين الإعتبار مكوّنات المجتمع الإشتراكي . مع كافة التغيرات الكبرى التى تحدثها الثورة ، الغالبية العظمى من الناس فى المجتمع الإشتراكي ، حتى لفترة زمنية عقب إفتكاك السلطة ، لن يكونوا شيوعيين ثوريين . فى المراحل الأولى من الإشتراكية ، سيوجد لبّ صغير نسبيّا ملتزم تمام الإلتزام بغايات الشيوعية وأهدافها و مناهجها . وعلاوة على ذلك ، فإنّ البون بين العمل الفكري و العمل اليدوي – بما فى ذلك البون بين الذين كانوا تدرّبوا فى عديد مجالات العلم و الإدارة و كذلك فى حقول مثل الهندسة و ميادين تقنية أخرى ، إلخ و الذين حرموا مثل هذا التدريب- سيظلّ إلى " فترة ما بعد الثورة ". و حتى مع إتخاذ خطوات مباشرة بإتجاه تجاوز ذلك البون ، مع شروع المضطهَدين و المستغَلين سابقا فى دخول مجال الإشتغال بالأفكار بطرق غير متصوّرة فى ظلّ الرأسمالية ، سيكون هذا نضالا طويل الأمد عبر المرحلة الإشتراكية.

و يعود هذا إلى الواقع الراسخ لكون المجتمع الإشتراكي لا يزال مجتمعا منقسما إلى طبقات . و ستظهر قوى برجوازية جديدة من ذات الظروف المادية و الإيديولوجية التى يجب تغييرها فى ظلّ الإشتراكية و تدين بالذات للتناقضات و الديناميكية المميزة و الدافعة للمجتمع الإشتراكي ، فإنّ هذه القوى ستجد تعبيرتها المركّزة فى الصفوف العليا للحزب و الدولة و ستبحث عن أن تجعل المجتمع يسلك طريقا آخر، يعيد تركيز الرأسمالية . و هذه البرامج و النظرات متعارضة مع التغيير الثوري للمجتمع لن تكون برجوازية " صراحة " و من المفيد أن نذكّر بأن فى الصين الثورية ، " أتباع الطريق الرأسمالي " خلال المرحلة الإشتراكية لم يعلنوا عن أنفسهم على أنّهم مدافعين عن الرأسمالية بل وقفوا بالأخرى على أرضيات مزيد من " الفعالية " و مزيد من " العقلانية " و " مستويات عيش أساسية " إشتراكية .

ما يجعل الأمر فى منتهى التعقّد و الحدّة هو أنّ التناقضات الكبرى للمجتمع الإشتراكي تتركّز فى الحزب عينه – بما أنّ الحزب فى السلطة يملك سلطة و مسؤولية غير محدودتين لقيادة سيرورة حلّ تناقضات المجتمع الإشتراكي بإتجاه الشيوعية . علاقة الحزب بالمجتمع تتغيّر عندما يقع تركيز دولة إشتراكية جديدة يقودها الحزب الشيوعي . كحزب فى السلطة ، يمكن أن يتحوّل إلى نقيضه . الحزب و معه إطار الدولة يمكن أن تستولي عليهما البرجوازية الجديدة ، و مجدّدا – لأسباب متصلة بذات طبيعة المجتمع الإشتراكي كمرحلة إنتقالية ، لكن ليست بعدُ شيوعية ، إلى الشيوعية ، مجتمع لا يزال يتميّز بالإنقسام الطبقي القائم فى عالم لا يزال تهيمن عليه لفترة طويلة من الزمن دول إمبريالية قوية – و هذه البرجوازية ستجد تعبيرها الأكثر تركيزا ضمن الحزب الشيوعي ذاته ، فى صفوف قادة الحزب الذين يتبنّون نظرة برجوازية للعالم و " يتبعون الطريق الرأسمالي " ، مثلما لخّص ذلك بنفاذ فكر و علميّا ماو تسى تونغ .

لا وجود لحلّ بسيط للمشكل . إنّه مشكل و خطر نابع من الواقع المادي و الإجتماعي ؛ إنّه لا " يعزى " إلى الشيوعيين " المهووسين بالسلطة " . هذه هي " جدلية " المادة فى الحياة – الواقع ، التى لا يستطيع ألان باديو إستيعابها .

الخطر فى ظلّ الإشتراكية – و هذا ما سنتطرّق له بصفة مباشرة أكثر فى نقاش الثورة الثقافية – هو أنّ السلطة **البرجوازية** (أتباع الطريق الرأسمالي) ضمن الهياكل القيادية يمكن أن تفتكّ السلطة و تحوّل هذه الهياكل إلى أدوات برجوازية تسلّطية لإعادة تركيز الرإمالية – حتى بإسم الجماهير و الشيوعية . لهذا يجب على الثورة أن تستمرّ فى ظلّ الإشتراكية لمقارعة هذه المحاولات وكذلك لمزيد تغيير هياكل الدولة و المجتمع . و هذا الفهم و النضال النابع منه ، بلغا أعلى قممهما إلى حدّ الآن فى الثورة الثقافية فى الصين ، و يمثّلان تطوّرا نوعيّا فى نظرية و ممارسة نموذج " الدولة – الحزب " .

و عادة ما يذكر ألان باديو " قدرة بلوغ الحقيقة " لدى الجماهير فى " سياساته دون حزب " . و فى هذا تناقض . ينبغى على المجتمع الإشتراكي أن يعوّل على الجماهير . و ينبغى أن يكون التقدّم نحو الشيوعية إنجازا واعيا للجماهير الشعبية المكوّنة للغالبية العظمى من المجتمع ، و نوع مختلف جذريّا من الدولة يمكّن الجماهير من ممارسة السلطة . لكن تجربة النضال الثوري عبر العالم و المجتمع الإشتراكي قد بيّنت كذلك أنّه من غير الممكن التعويل على عفوية الجماهير ببساطة بالذهاب " مع التيّار" حيث توجد الجماهير ، ببساطة " الثقة " فى الجماهير " كما هي ". تدفع الجماهير فى إتجاهات متناقضة ، حتى فى مجتمع إشتراكي . و التعويل عليها مسألة مبدأ جوهري و توجه إستراتيجي بيد أنّ هذا يحتاج إلى عمل و نضال إيديولوجي ؛ إنّه يتعلّق بتعبئة نشاطها **الواعي** (72) .

و نظرا لهذه المكوّنات الإجتماعية و نظرا لتواصل مثل هذه الأشياء كالعلاقات السلعية و البون بين العمل الفكري و العمل اليدوي و نظرا للتأثير المتجذّر بعدُ بعمق للأفكار و القيم التقليدية فى المجتمع الإشتراكي ، لا تزال هناك حاجة إلى طليعة

– و بالفعل لزاما على الجماهير أن تتابع المضي على طريق التحرّر ، صوب الهدف النهائي للشيوعية . و يظلّ من واجب الطليعة أن تقدّم فهما علميّا للجماهير و تدرّبها على النظرة العلمية الشيوعية ؛ و تواصل رفع نظرة الناس للمشاكل الكبرى للمجتمع و العالم . ينبغى على الطليعة فى السلطة أن تتعلّم بينما تقود . على وجه التحديد لتعميق فهمها للعالم و التناقضات الحيوية المأثّرة فى تطوّر الأمور ، ليس فى بلد معيّن فحسب بل فى العالم ككلّ ، و قدرتها على تمكين الجماهير أكثر فأكثر من الإنجاز الواعي للتغيير الجذري للعلاقات الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية و للمؤسسات و طرق تفكيرها الخاصة . مثل هذه القيادة لازمة لتشخيص أكثر المشاكل الحيوية التى تواجه المجتمع و لتقود الكلّ فى تركيز أفضل الظروف الممكنة للنقاش و الصراع ، فى كافة المخاض و الصراع الذين سيميّزان المجتمع الإشتراكي .

خلاصة القول ، فى المجتمع الإشتراكي ستظلّ هناك لفترة زمنية طويلة ، مجموعات أناس صغيرة نسبيّا تمثّل مصالحا طبقية مختلفة و متعارضة تمارس تأثيرا غير متناسب . المسألة ليست ما إذا كانت ستوجد أم لا قيادة فى المجتمع الإشتراكي – أمر وجود نوع أو آخر من القيادة أكيد و متجذّر فى الواقع الموضوعي ، فى التناقضات الواقعية التى لا زالت تميّز المجتمع - لكن بالأحرى هي مسألة نوع القيادة ، فى خدمة أية غايات و أهداف ، تقودها أية مبادئ ؟ و يتركّز هذا فى النزاع الحيوي فى ظلّ الإشتراكية فى : سيتقدّم المجتمع على الطريق الرأسمالي نحو الشيوعية أم يعود إلى الطريق الرأسمالي . و لجميع هذه الأسباب ، بعيدا عن أن يكون " غير ملائم " لقيادة المجتمع الإشتراكي ، فإنّ الحزب هو التنظيم الأهمّ طوال كامل المرحلة الإنتقالية . و دوره يجب أن يكون مؤسساتيّا على نحو يعكس ذلك و يخدم التقدّم المستمرّ صوب الشيوعية .

ولنكن واضحين : كيف نحافظ على الحزب كحزب **ثوري** كحزب **شيوعي حقّا** ، مسألة كبرى ، مسألة عالجها ماو بعمق بشكل خاص ، مثلما سنرى فى الفصل المتعلّق بالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، و مسألة تحرّك الكثير من الخلاصة الجديدة التى تقدّم بها بوب أفاكيان . ألان باديو – و فى هذا بالكاد هو فريد أو مبتكر – يمكن بالتأكيد أن يشير إلى المشاكل والصعوبات فى المرحلة الإنتقالية الإشتراكية ، بما فى ذلك التناقضات المتعلّقة بالمسؤوليات الخاصة بالقيادة . هناك أخطاء و نواقص ، بعضها جدّي جدّا ، فى الموجة الأولى من الثورة الإشتراكية . لكن دون حزب ، لا فرصة للتشخيص الصحيح لهذه المشاكل و التأثير فيها . أفاكيان إنكبّ على معالجة هذا التناقض بالذات و زاد فى تعميق مفهوم دور الحزب فى المجتمع الإشتراكي .

" يجب على الحزب فى المجتمع الإشتراكي أن يتحرّك كطليعة ليس فقط بمعنى كونه حزب فى السلطة بل أيضا بمعنى المشاركة النشيطة فى وقيادة – عمليّا مطلقا العنان و كاسبا قيادة – الصراع الطبقي فى تعارض مع هذه المظاهر من **الوضع السائد** التى تصبح فى أي وقت عوائقا أمام مزيد تثوير المجتمع ، ما يقف فى تعارض مع القوى الثورية الجديدة التى يقع التقدّم بها . بإختصار ، يجب أن يكون حزبا فى السلطة **و أيضا** طليعة الصراع الثوري ضد أي جزء من أجزاء السلطة يقف سدّا فى طريق التحرير التام "(73) [التسطير مضاف].

مرّة أخرى حول روسو و التمثيليّة :

نظرة ألان باديو للدولة و الحزب و نموذج الدولة – الحزب تجد جذورها فى نظرة روسو ل " الإرادة العامة " التى لا يمكن أن تقبل وساطة أو تمثيلية ، و يجب أن يتمّ التعبير عنها مباشرة . قال باديو بصدد وساطة روسو :

"... يبيّن روسو بصرامة أنّ الإرادة العامة لا يمكن أن يقع تمثيلها ، ليس حتى من قبل الدولة : ... إنّها تحرّر السياسة من الدولة ... و تكمن كلّيا فى " الوجود الجماعي " لمواطنيها – مناضليها ...

... عدائية روسو تجاه الأحزاب و الكتل – و هكذا تجاه أي شكل من التمثيل البرلماني – تنبع من الطابع الأصلي لأسقاط أن السياسة تتحقّق فى إنتخاب الممثلين بما أنّ " الإرادة لا تقبل التمثيلية " (74).

و فى مكان آخر ، يأكّد باديو :

" ... سياسة التحرير لم يعد بوسعها أن تعمل فى ظلّ نموذج الثورة [سلطة – الدولة] و لا أن تبقى سجينة شكل- الحزب . و بالتوازي لا يمكن أن تنخرط فى الجهاز البرلماني و الإنتخابي " (75).

لن نسرد هنا الحجج حول " الإرادة العامة ". ما هو قار فى هذه المواقف هو أنّ باديو يقوم بحركة شكلية أخرى : مساواة " الجهاز البرلماني و الإنتخاب" للديمقراطية – البرجوازية فى شكل " دولة – حزب " ثوري ، و معياره إدعاء " تمثيلية " الإرادة . مجدّدا ، تخفى هذه الشكلانية الإختلافات الجذرية فى المضمون الطبقي الأساسي بين الدولة الإشتراكية و الدولة الرأسمالية . و علاوة على ذلك ، فى ما يتصل بحزب شيوعي وعلاقته بالجماهير ، يخفق فى المسك بجوهر ما تكثفه طليعة و تمثله فى خطّها .

فى مجتمع طبقي ، السياسة دون واسطة و دون تمثيلية ، دون دول أو أحزاب ، هي فعلا غير ممكنة . فى أرض – روسو المثالية للبناءات الشكلية ، يمكن للمرء أن يتخيّل على هذا النحو – لكن فى العالم الواقعي ، المجتمع الطبقي ليس حرّا أصلا ، أو دون واسطة من الدول و الأحزاب : المسألة مسألة **مضمون** مثل هذه الدول و الأحزاب : هل تخدم الحفاظ على علاقات الإنتاج الإستغلالية و العلاقات الإجتماعية الإستغلالية و الأفكار التقليدية و تعزّزها – و نعم ، إلى جانب ذلك ، الطبقات و الدول و الأحزاب - أم هي تخدم إطلاق العنان للجماهير لتغيّر المجتمع بإتجاه تجاوز كل الطبقات و الإنقسامات الإجتماعية و نعم ، إلى جانب ذلك ، الدول و الأحزاب ؟

يعيب باديو على السيرورة البرجوازية للإنتخاب – الحزب محاولتها القيام بالمستحيل : أن تمثّل " الإرادة العامة " فى حين أنّه ، فى الواقع ، حسب روسو لا يمكن أنتوجد تمثيلية لمثل هذه الإرادة . و يتفق باديو مع روسو بشأن أنّ الوساطة و التمثيلية تشوّه الإرادات الفردية التى تشكّل" الإرادة العامة ". على هذا الأساس من تشويه تأثيرات الوساطة ، يجد ألان باديو أن " الأحزاب البرلمانية " قد فسدت على نحو قاتل . لكن الواقع مختلف . بينما تدّعى الأحزاب البرجوازية أنّها تمثّل أوتستجيب للإرادات الفردية لخيارات الأفراد الناخبين (و كتل مثل هؤلاء الناخبين) إلخ، فإنّها واقعيّا تمثّل مصالح **طبقة** (البرجوازية) التى تقف فى تعارض عدائي جوهري مع طبقة أخرى (البروليتاريا).

ماذا عن القيادة الشيوعية ؟ بداية ، ليست مسالة تمثيل الإرادة العامة للمجتمع – هذا لا يمكن أن يحصل فى مجتمع منقسم إلى طبقات . لكن القيادة الشيوعية ليست كذلك مسألة " تمثيل " " إرادة الجماهير " مثلما تعبّر عن نفسها عفويّا فى أي وقت معطى . جوهر القيادة الشيوعية هو الخطّ الإيديولوجي و السياسي . و الدور الطليعي للحزب الشيوعي هو " تمثيل " أعلى مصالح الجماهير وحاجياتها الجوهرية – بلوغ الشيوعية – ليس المزاج أو النزعات المؤقتة لهذا القطاع أو ذاك من العمّال أو الفئات الأخرى فى المجتمع (رغم أن حزبا يتحمّل مسؤولية قيادة المجتمع بإتجاه الشيوعية يجب أن يكون لديه فهم عميق ل " الهيكلة الإجتماعية " و التشكّل الطبقي للمجتمع و أمزجة شتى فئات الجماهير فى أي زمن معيّن ، و سياسات الحزب الخاصّة فى أي زمن معيّن يجب أن تأخذ كلّ هذا بعين الإعتبار).

دون حزب ، لن تكون أعلى مصالح البروليتاريا مثلما تتركّز فى الخطّ الإيديولوجي و السياسي و تعكس العلم والحركة السياسية الثورية وهدف الشيوعية ، " ممثّلة " أي لن تصبح قوّة مادية و إيديولوجية فى العالم . دون حزب ، ستتمّ فى الواقع التضحية بأعلى مصالح البروليتاريا . و هذه المصالح يجب و لا يمكنها إلّا أن تجد تعبيرا عنها فى الخطّ الإيديولوجي و السياسي للحزب عاكسة و معبّرة عن العلم و الحركة السياسية الثورية و هدف الشيوعية .

لكلّ طبقة أخرى عدا البروليتاريا عفوية – فكر و أفكار تقليدية و ثقل العلاقات الإقتصادية و الإجتماعية فى المجتمع – إلى جانبها . و مقارنة بذلك ،مصالح البروليتاريا الثورية لا يمكن أن تتحقّق بالتعويل على العفوية. لكن للردّ على العفوية ليس بوسع القيادة الشيوعية أن تعوّل على الفرض بإسم قتال العفوية .لا ، التوجه يجب أن يكون إطلاق العنان لسيرورة حول التناقضات غير المعالجة للإشتراكية كقوّة دفع فى المجتمع الإشتراكي - و أجل ، تقديم قيادة هذا - ملخّصين و موضّحين الإتجاه و متعلمين بينما يقودون ، و عاملين على الإطاحة بالتقسيم بين قادة و مقادين .

هناك منطق محدّد – ومرّة أخرى خاصة بالنسبة لفئة معيّنة فى المجتمع ، لا سيما قطاعات متجذّرة من البرجوازية الصغيرة ، هناك بعض الإغواء – بالنسبة لهجوم ألان باديو على الحزب الطليعي (إنّه " لم يعد مفيدا عمليّا لنا ") . سياسة المساواة حتى فى تجسيداتها الأكثر " راديكالية " و التى يعدّها هو " تحريرية " ، يمكن أن تجد و تجد تعبيرا عفويّا فى المجال – القوة التى تنجذب إلى المجتمع الديمقراطي – البرجوازي . والسبب هو أنّ الديمقراطية البرجوازية متشكّلة حول مبادئ المساواة الشكلية . و هذا بدوره يتناسب مع و يتعزّز بتأثير الإنتاج السلعي لإقتصاد المجتمع البرجوازي المحكوم بتبادل السلع المتساوية (تبادل السلع حسب قيمتها) . لكن حجج باديو لا علاقة لها - أو بأكثر دقّة ، تنأى عن –

التغيير الراديكالي للمجتمع ، تخليص العالم من علاقات الإستغلال و الإضطهاد ، و جميع تبعاتها الفظيعة ، و تحقيق تحرير إنساني حقيقي .

" الخضوع البيروقراطي اللاطبقيّ " أم مجدّدا الخطّ هو الحيوي ؟

فى " ما وراء السياسة " ، يطرح ألان باديو سؤاله الضخم : "... يجب أن نثير دون شكّ سؤالا يمثّل اللغز الكبير لهذا القرن : لماذا تندرج السياسة ، سواء عبر شكل الإستعباد الفوري (للجماهير) أو إستعباد الوسيط (الحزب) فى النهاية فى إفراز الخضوع البيروقراطي و عبادة الدولة ؟ " (76) .

توجد مغلّفة فى هذا السؤال أو بالأحرى هذه الأطروحة عديدالمبادئ الجوهرية ل " نظرية مناهضة الكليانية " (و هذا بالرغم من التنصّل المتكرّر منها) . فهناك سلسلة من الفرضيات السارية المفعول : أنّ تولى مسؤولية قيادة دولة بروليتارية و تسييرها – و فى هذا الإطار إطلاق العنان للجماهير فى ظلّ قيادة حزب – يؤدى إلى حكم بيروقراطي (لاطبقي) و إلى فرض بالقوّة لإرادة هذا الحكم . ولنكشف بعض هذا منطلقين من موضوع البيروقراطية .

فكرة أنّه بوسع الجماهير أن تمارس مباشرة سلطتها السياسية دون قيادة طليعية شيوعية ، دون " دولة - حزب " (أو بصفة أدقّ دون دولة إشتراكية ينهض فى إطارها الحزب بدور قيادي مؤسساتي) ، تذهب ضد التناقضات الفعلية و التطوّر الإجتماعي – الإيديولوجي للمجتمعات الإشتراكية التى قد وجدت و ما سيتمّ مواجهته فى المجتمعات الإشتراكية التى ستولد مستقبلا .

إنّ ذات تعقد المجتمع الرأسمالي و كذلك المجتمع الإشتراكي يملى تقسيما عاليا للعمل . فثمّة مسؤوليات إدارة – قيادة مختصّة فى المجتمع الإشتراكي تضع سلطة متفاوتة بأيدي القادة السياسيين . و العلم و التقنية و حقول أخرى تتطلّب درجة عالية من التخصّص و المعرفة المتقدّمة . هنا نجد تعابيرا عن مجتمع منقسم – طبقيّا حيث لا تزال قائمة الإختلافات بين العمل الفكري و العمل اليدوي ، بين المدينة و الريف ، بين العمال و الفلاحين ، بين الرجال و النساء إلخ وتواصل تشيلها لأساس التمييز الطبقي .

فى المجتمع الشيوعي ، سيوجد تمييز فى المهام لكن لن يظلّ هذا محدّدا و رمزيّا إجتماعيّا و لن يعني تبعية عبودية للفرد لأي تقسيم للعمل ، بالأحرى سيوجد تقسيم واعي فى المهام المتعدّدة ، ما سيكون هو ذاته مرنا للغاية .

وفى المجتمع الإشتراكي ، المسألة ليست جوهريّا ما إذا كان سيوجد كوادر و قادة و إداريين إلخ . هذا واقع يرثه المجتمع الإشتراكي . ولنفترض أنكم طردتم كلّ الموظّفين و الإداريين؟ سيكون من الضروري بسرعة أن تترجّوهم للعودة أو أن تجدوا من يعوّضهم ، لاعبين ذات الدور الجوهري لأنّ إقتصادا و مجتمعا إشتراكيين معقدين و مترابطين يتطلّبان قيادة و تنسيقا و مستويات متنوّعة من التخصّص.

لذا هل أنّ المجتمع الإشتراكي سيتأقلم ببساطة مع التقسيم الإجتماعي للعمل السائد ؟ لا . يجب أن يعمل بنشاط و جذريّا ليغيّر التقسيم الإجتماعي للعمل .

والمسألة الحاسمة هي الخطّ – أي خطّ يقود على كافة أصعدة المجتمع ، لا سيما على أرقي الأصعدة . هل أنّ الإدارة فى التخطيط ، هل أنّ القيادة فى التعاليم و فى المجالات الأخرى و فى الوحدات الفردية تخدم التغيير الشامل للمجتمع صوب الشيوعية أم هي طرق تنمّ عن مجتمع طبقي و حتى إضطهاد طبقي يُلجأ إليها و يعوّل عليها ؟ هذا ليس أمرا معطى ؛ ينبغى أن يكون موضوع نقاش و صراع جماهيريين ، و تساؤل إجتماعي مستمرّ .

و فى نفس الوقت ، هناك مسألة حيوية هي مسألة إعادة صياغة الفئة الإدارية و خوض الصراع الإيديولوجي بهدف كسبها لتبقى على الطريق الإشتراكي عامة و بوجه خاص فى دورها ضمن جهاز الدولة ، بينما فى نفس الوقت ، يجرى قتال للحيلولة دون تغيير هذا الجهاز عينه إلى جهاز يخدم دكتاتورية البرجوازية الجديدة . لهذا فيما كانت تستهدف حفنة نسبية من أتباع الطريق الرأسمالي ، كانت الثورة الثقافية أيضا مدرسة عظيمة للتربية و كذلك للصراع الطبقي ، إختبارا شرسا ليس للجماهير فقط لكن بخاصة للحزب و الإداريين فى كافة المستويات .

و مع ذلك ، فإنّ التقسيم الإجتماعي للعمل لا يمكن تجميده . و على قاعدة خطّ ثوري ينبغى أيضا على المجتمع الإشتراكي أن يتقدّم فى تقليص الإختلافات بين القادة و المقادين ، بين العمل الفكري و العمل اليدوي ، بين المحترفين و غير المحترفين و تناقضات أخرى مشابهة ، إلى أكبر درجة ممكنة فى كلّ مرحلة معطاة من التطوّر الإقتصادي – الإجتماعي.

هناك فى أي وقت معطى ضغوطات مادية و إيديولوجية للمدى الذى يمكن أنتذهب إليه فى تقليص البون فى الخبرات و الوظيفة . بيد أنّه علينا أن ندفع هذه الحدود . و سيشمل هذا أشكالا جماعية جديدة ، و سيعنى التجريب مع تعديلات جديدة إجتماعية – مؤسساتية بإتجاه الإطاحة بتراتبية التخصّص الوظيفي و الإداري المعيقة [لمزيد التطوّر]. كان هذا احد أبرز بصمات الثورة الثقافية ، توجّه له إمتدادات حقيقية – عالمية و لباديو القليل يقوله بهذا المضمار . و قد بيّنت أيضا الثورة الثقافية أنّ هذه مسألة صراع طبقي . حدثت تغييرات كبرى فى المجتمع الصيني نتيجة الصراع ضد أتباع الطريق الرأسمالي على المستويات العليا من الحزب (ليس بمقدور باديو إلاّ إستحضار مرجع برّاق و من غير إهتمام لسياسة مزج القيادة السياسية ، بما فى ذلك ضمن الجماهير ، مع الأخصّائيين – أو ما كان يسمى " أحمر و أخصّائي " و " غير المحترفين يقودون المحترفين ").

فى المجتمع الشيوعي ، صارت مهام إدارة المجتمع والتحكّم فيه و القدرة على فعل ذلك جزءا من المسؤولية و القدرة الجماعية للأفراد على تشكيل مجتمع . مهام الإدارة لن تجسّد بعدُ تناقضا طبقيا عدائيًا أو لامساواة إجتماعية للتخصّص . فى المرحلة الإنتقالية الإشتراكية دور و تحدّى القيادة الطليعية هو إيجاد وسائل عبر تطوير السياسة و تقديم التوجه الشامل للنضال الثوري – نقود بينما نتعلّم ، و نتعلّم و نحن نقود – لمواصلة التقدّم صوب إلغاء مثل هذا العداء الطبقي واللامساواة الإجتماعية من خلال سيرورة طويلة الأمد من النضال الذى سيتطلبه تغيير الظروف المادية و الإيديولوجية مبعث هذه التناقضات العدائية و اللامساواة و التى ستنتزع طالما أنّ هذه الظروف ستبقى و لم يقع إجتثاثها إلى إعادة ولادة هذه التناقضات العدائية و اللامساواة .

القيادة الشيوعيّة المؤسساتيّة و تناقض القيادة – المقادين و خلاصة جديدة للمسألة :

لقد كنّا نظريّا نحاجج و نبيّن بالأمثلة التاريخية الدور الحاسم و بالفعل لا بدّمنه الذى ينهض به و يجب أن ينهض حزب طليعي. عندما يقوده خطّ شيوعي ثوري ، الحزب و الدولة الإشتراكية أدوات ثمينة للتحرير و فعلا وسائل **ضرورية** لدفع المجتمع إلى أبعد من " الكلّ الأربعة " إلى حيث لن توجد بعدئذ ضرورة بقاء مثل هذه القيادة المؤسساتية . جوهريّا مثل هذا الحزب أداة تحريرية طوال هذه السيرورة بكلّ الإلتواءات والمنعرجات التى ستظهر حتما .

و مع ذلك ،ثمّة تناقض عالمي – تاريخي مركّز هنا ، تناقض يخفق باديو فى الإعتراف به و قد رفض " نموذج الدولة – الحزب " و التناقضات الواقعية المتعلّقة بالإنتقال الإشتراكي و وسائل تجاوز " الكلّ الأربعة " .

يخفق باديو فى رؤية الوحدة بين ما يسمّى " الدولة – الحزب " – دكتاتورية البروليتاريا بقيادة الحزب الشيوعي الطليعي – و السيرورة التحريرية التى تطلقها . إنّه يرى سلطة الحزب المتفاوتة على أنّها تتعارض مطلقا مع مبادرة الجماهير ،عوض فهم العلاقة الجدلية الفعلية المعنية و الطريقة التى بها – على أساس خطّ صحيح و طالما أنّه متميّز بمثل هذا الخطّ الصحيح – الحزب سيخدم أكثر إطلاق مبادرة الجماهير من قمعها .

ونحتاج إلى أن نعود خطوة إلى الوراء . إنّها حالة كافة الدول بما فيها الدولة البروليتارية أنّه منذ ظهورها التاريخي ، كانت تقودها مجموعة صغيرة نسبة للسكّان ككلّ (و حتى نسبة للطبقة التى تخدم الدولة جوهريّا مصالحها) . كافة أنظمة الدول فى مجتمع طبقي إستغلالي قد خدمت مصالح طبقة مهيمنة مثّلت الأقلية فى المجتمع . و كافة الأنظمة السياسية فى المجتمع الطبقي تمأسس قيادة الطبقة الحاكمة بشكل أو آخر .

و الإختلاف فى ظلّ الإشتراكية هو أنّ الأقلّية التى تقود دكتاتورية البروليتاريا تقف فى علاقة مختلفة نوعيّا مع المجتمع . بخلاف وضع جميع الأشكال السابقة للدولة ، هذه القيادة تركّز و تدافع عن مصالح ليس أقلّية مستغِلّة بل مصالح الغالبية الغالبة للإنسانية فى العالم . إنّها تبحث عن قيادة الجماهير و إطلاق العنان لها لتسيّر هذه الدولة و تتحكّم فى المجتمع – و لخوض الصراعات و إنجاز التغييرات لذا فهذه الدولة فعلا نوع مغاير جذريّا من الدولة . و هذه " الكيفية " من القيادة تهدف إلى تجاوز الظروف المادية والإيديولوجية التى تقتضى كلاّ من دولة و حاجة إلى قيادة شيوعية مؤسّساتية .

لكن هناك هذا التناقض فى المجتمع الإشتراكي : ليست الدولة بأي معنى مباشر أو " غير وسيط " بأيدى غالبية المجتمع . إذ تمارس الجماهير السلطة فى المجتمع الإشتراكي فى آن معا **بصفة غير مباشرة** ، عبر القادة و الممثلين من منظمات جماهيرية متنوّعة ؛ و بصفة متصاعدة عبر الحركة و التطوّر المتقدّمين للمجتمع الإشتراكي ، **مباشرة** ، بكسب القدرة على تولّي مسؤولية حتى أكبر أبدا فى قيادة المجتمع و فى إدارة المجتمع على جميع الصعد .

بيد أنّ التناقض بين القيادة و المقادين يظلّ عميقا فى المجتمع الإشتراكي . و هذا التناقض التاريخي العالمي يتطلّب ، مثلما ناقشنا سابقا فى ما يتصل بالدولة الإشتراكية و " إضمحلالها " ، مقاربة جدلية لحلّه . إنّه يقتضى مزيد البحث العلمي و التلخيص لأجل مزيد تطوير أفضل الوسائل للتعاطي مع هذا التناقض و معالجته – لتجاوز التناقض بين الطليعة و أوسع الجماهير ، خطوة خطوة و فى شكل أمواج .

و قد واجه أفاكيان هذا التحدّي و تقدّم مثلما ناقشنا سابقا بالحاجة إلى الحزب فى المجتمع الإشتراكي ليمارس السلطة و**أيضا** ليكون " طليعة الصراع الثوري ضد أي جزء من أجزاء السلطة يقف سدّا فى طريق التحرير التام ".

و قد طوّر أفاكيان مفاهيم نوع من المقاربة . أوّلا ، يجب أن يتوفّر لبّ صلب من القيادة . و هذا اللبّ الصلب يجب أن يستوعب بصلابة الهدف الجوهري و النهائي للثورة ، بلوغ الشيوعية عبر العالم ، و يجب أن يتمسّك بصلابة بزمام السلطة ضد الضغط الإمبريالي و العناصر الرأسمالية التى تظهر فى المجتمع الإشتراكي – و منها فى الحزب ذاته حيث ستبحث هذه العناصر عن تشكيل قيادات عامة و تصارع من أجل السلطة فى المستويات القيادية – ويجب أن يحافظ على سلطة الدولة الجديدة كسلطة دولة **إشتراكية** فى مرحلة إنتقالية إلى المجتمع الشيوعي . ثانيا ، ينبغى أن توسّع هذه القيادة اللبّ الصلب إلى أقصى درجة ممكنة فى أي زمن معطى . ثالثا ، يجب أن تعمل بصراحة بإتجاه إيجاد ظروف حيث لن يكون مثل هذا اللبّ بعدُ ضروريّا . و رابعا ، ينبغى أن تعبّر إلى أقصى درجة عن المرونة فى أي وقت معطى . " (77)

و النقطة الأخيرة (المرونة إلى أقصى درجة ممكنة فى أي وقت معطى) تشدّد من جديد على أنّه يتمّ رؤيتها ليس كمزيد من النقاش و المعارضة على قاعدة " خطّية " تقريبا فحسب – كإمتداد تقريبا مباشر لخطّ الحزب و سياساته فى أية نقطة معينة- بل كسيرورة أعقد بكثير متضمّنة مبادرة أكبر بكثير من جهة الأعداد المتنامية من الجماهير ، و فى علاقة بها يتعيّن على الحزب أن يجتهد لينهض بدوره الطليعي ويكسب أعدادا متنامية من الجماهير لتصبح أوعي للحاجة إلى أهداف الثورة الشيوعية ولتناضل من أجلها بصورة أوعي . بالتأكيد أنّ الإشتراكية لا يمكنها أن تتبع " خطّ مسار " واحد إلى الأمام لكن يجب أن تشمل أناسا يذهبون و يشعرون بأنّ بإمكانهم الذهاب فى كلّ أنواع الإتجاهات الخلاّقة و المتنوّعة ، يجب أنتشمل المعارضة و الصراع المخاض حول القضايا الكبرى للمجتمع و العالم ؛ ينبغى أن تشمل التعميق المتواصلّ لغايات الثورة الشيوعية و مناهجها ، و المساءلة المستمرّة للمجتمع و قيادته فى كافة المجالات و كافة المؤسسات و الهياكل .

مهمّة القيادة ليست " إدارة " هذا بل تقديم التوجّه العام وفق نظرتها و أهدافها الشيوعيين . و عبر تطوير هذه السيرورة العامة ، سيتسع اللبّ الصلب . و بقدر ما تكون هذه السيرورة أبعد مدى و تفحّصا و تجريبا ، بقدر ما تكون أكبر مخاطر فقدان السلطة . غير أنّه دون البحث بنشاط عن الذهاب إلى " الشدّ و السحب إلى حدود التمزّق " ، كما وضع ذلك بوب أفاكيان ، لن نغيّر المجتمع بالطرق التى يجب أن يتغيّر بها و لن تكسب الجماهير المعرفة و الفهم اللذان يجب أن تكسب و لن تستطيع أن تطوّر بصورة متصاعدة القدرة على الحكم و تغيير المجتمع بإتجاه الشيوعية – و فى النهاية تجاوز التناقضات و الظروف التى تقف وراءها و إبراز الحاجة إلى القيادة الطليعية المؤسساتية .

هذا التوجّه ليس للقيادة فحسب. إنّه مقاربة يجب أن تخوض فيها الجماهير الشعبية فى المجتمع الإشتراكي ، و حتى قبله – فى مسار تطوير الصراع الجماهيري الثوري الذى سيقود إلى الإطاحة بالرأسمالية – يجب على أعداد متنامية من الناس أن تخوض فى هذا كجزء حيوي من الإستعداد للحكم و تثوير المجتمع ، عندما تكون السلطة قد وقع إفتكاكها.

على عكس حجج ألان باديو ، إطار " الدولة - الحزب " – دكتاتورية البروليتاريا بقيادة حزبها الطليعي – أداة أساسية لتحرير الجماهير المستغَلّة و المضطهَدة ، و فى النهاية لتحرير الإنسانية ككلّ من علاقات الإستغلال و الإضطهاد . و تلخيص علمي – مادي وجدلي ، فى تعارض مع مثالي و لاتاريخي – للتجربة التاريخية بما فيها التجربة التاريخية

للمجتمع الإشتراكي ذاته تأكّد بعمق هذه الحقيقة الجوهرية . لكن إطار العمل هذا يشهد هوالآخر تطوّرا نوعيّا وهو ما تتطلّبه مرحلة جديدة من الثورة الشيوعية .

=================

الهوامش :

هوامش المقدّمة : 1-8 :

1. Terry Eagleton, *Figures of Dissent* (London: Verso, 2005), p. 253.

2. *Communism: The Beginning of a New Stage, A Manifesto from the Revolutionary Communist Party, USA* (Chicago: RCP Publications, 2008), pp. 30-33. Hereafter cited as *Communism: The Beginning of a New Stage*. Online at revcom.us.

3. "Class truth" refers to the view, which has had considerable currency in the international communist movement, that truth—especially in the realm of the social sciences—is not objective but rather specific and relative to different classes, i.e., the bourgeoisie has its truth and the proletariat has its truth. But what is true is objectively true: it either corresponds to or does not correspond to reality in its motion and development. "Class truth" overlaps with the erroneous idea that people of proletarian background have a special purchase on the truth by virtue of their social position. But truth is truth no matter who articulates it; and getting at the truth, for proletarians as well as people of other social and class origins, requires the grasp and application of a scientific approach to society and the world.

4. *Communism: The Beginning of a New Stage*, p. 24.

5. *Communism: The Beginning of a New Stage*, p. 25.

6. Filippo Del Lucchese and Jason Smith, "We Need a Popular Discipline: Contemporary Politics and the Crisis of the Negative," Interview with Alain Badiou, Los Angeles, 2/07/07; *Critical Inquiry*, Vol. 34, No. 4, Summer 2008, p. 646.

7. Avakian's critical explorations of bourgeois-democratic theory and his theorization of the need for communism to more fully and deeply rupture with

democracy are addressed in pivotal works that include *Conquer the World? The International Proletariat Must and Will* (Chicago: RCP Publications, 1981); the polemic "Democracy: More Than Ever We Can and Must Do Better Than That," which appears as an appendix to Avakian's *Phony Communism Is Dead...Long Live **Real** Communism!* 2nd edition (Chicago: RCP Publications, 2004), online at revcom.us; *Democracy: Can't We Do Better Than That?* (Chicago: Banner Press, 1985); *Communism and Jeffersonian Democracy* (Chicago: RCP Publications, 2008), (revcom.us); *The Basis, The Goals, and the Methods of Communist Revolution* (revcom.us); and *Views on Socialism and Communism: A Radically New Kind of State, A Radically Different and Far Greater Vision of Freedom* (revcom.us).

In writings on the international communist movement, including *Conquer the World? The International Proletariat Must and Will*, Bob Avakian has pointed to tendencies in the international communist movement to view the communist revolution as the true upholder of democracy, which was especially pronounced during the Stalin period with political orientations such as the "united front against fascism."

8. *Communism: The Beginning of a New Stage*, p.32. [back]

هوامش الفصل الثالث : 48- 77 :

48. *Communism: The Beginning of a New Stage*, p. 22. [back]

49. Alain Badiou, *The Meaning of Sarkozy* (London: Verso, 2008), p. 113.

50. Badiou, *Logics of Worlds*, p. 518.

51. Marx, "Critique of the Gotha Programme," p. 538.

52. In 1852, Marx wrote to Weydemeyer, "As to myself, no credit is due to me for discovering the existence of classes in modern society, nor yet the struggle between them. Long before me, bourgeois historians had described the historical development of this struggle of the classes, and bourgeois economists the economic anatomy of the classes. What I did that was new was to prove: 1) that the *existence of classes* is only bound up with *particular historical phases in the development of production*; 2) that the class struggle

necessarily leads to the *dictatorship of the proletariat*; 3) that this dictatorship itself only constitutes the transition to the *abolition of all classes and to a classless society*." *The Marx-Engels Reader*, p. 220. [emphasis in original]

53. Badiou, "The Communist Hypothesis," p. 36.

54. Avakian, "Democracy: More Than Ever We Can and Must Do Better Than That," pp. 196-97.

55. Avakian, *Democracy: Can't We Do Better Than That?*, pp. 253-54.

56. Badiou, University of Washington Interview.

57. Mao Tsetung, "On Contradiction," *Selected Works*, Vol. I, p. 339.

58. Badiou, "The Communist Hypothesis," p. 11.

59. Avakian has criticized the error of Stalin—an error which persisted with Mao, though to a lesser degree—to equate the defense of the socialist state with the advance of the world revolution, rather than recognizing that there is in fact a contradiction between the defense of the socialist state and the advance of the world revolution. To correctly handle this contradiction, Avakian has emphasized the need for the socialist state to put the advance of the world revolution above everything, including the advance of the revolution in the particular country. Avakian has developed the orientation of building the socialist state as, above all, a base area for the world revolution. See *Conquer the World? The International Proletariat Must and Will*, published as issue No. 50 of *Revolution* magazine, December 1981, and "Advancing the World Revolution: Questions of Strategic Orientation," originally published in *Revolution* magazine, Spring 1984, both available online at revcom.us.

60. Bob Avakian, "Making Revolution and Emancipating Humanity," *Revolution and Communism: A Foundation and Strategic Orientation*, revcom.us.

In "Making Revolution And Emancipating Humanity," Part One, Avakian notes several main areas of shortcomings, including:

- A tendency towards positivism and reductionism—towards flattening out contradictions and applying a mechanical approach, including in the manner of treating the superstructure as too closely linked to the goal of

economic transformation at any given time, linking things in the superstructure too closely to the immediate tasks at hand, particularly with regard to the economic base.

- A tendency towards the reification of the proletariat, as already discussed in the chapter on class, and towards viewing things in such a way that whether or not someone is a proletarian is a crucial factor in determining whether or not that someone has truth in their hands, so to speak.
- A reification of socialism itself in a certain sense—viewing socialism as a static thing and more or less an end in itself, rather than its being understood as a very dynamic process and a transition to communism, leading to some mishandling of the relation between goal and process, so that whatever was happening at a given time became or tended to be identified with the goal itself, rather than being understood as part of a process toward a larger goal. Along with this was a constriction of the relation between the necessary main direction, in fundamental terms, and what were objectively "detours" or departures from that main direction but which were seen and treated as dangerous deviations from—that main direction. This led, to a certain degree, and sometimes to a considerable degree, to a stifling of creativity, individual initiative, and individual rights in the overall process.

61. Badiou, *The Century*, p. 103.

62. Badiou, *Being and Event*, p. 110.

63. V.I. Lenin, "Proletarian Revolution and the Renegade Kautsky," p. 260.

64. Avakian, *Views on Socialism and Communism: A Radically New Kind of State, A Radically Different and Far Greater Vision of Freedom*, revcom.us.

65. Badiou, *The Meaning of Sarkozy*, p. 115.

66. Badiou, "The Communist Hypothesis," p. 36.

67. Ibid.

68. It is revealing (and frankly astonishing for someone who lays claim to have been a Maoist at one time) that in his essay "The Communist Hypothesis," Badiou matter-of-factly blends and homogenizes the Soviet Union and China, when they were genuinely socialist societies, with Czechoslovakia, Cuba, and North Vietnam, which never were socialist societies. In Cuba, Fidel Castro put commodity relations in command of planning, organizing economic development around the sugar economy and its international linkages. But in the formalist mind-set none of this matters—all of these societies are sub-species of the "party-state paradigm."

69. "Resolution: On Leaders and Leadership," RCP, USA, revcom.us.

70. *Constitution of the Revolutionary Communist Party* (Chicago: RCP Publications, 2008), p. 17.

71. Badiou, *Infinite Thought*, p. 54.

72. *See* Bob Avakian, *Ruminations and Wranglings: On the Importance of Marxist Materialism, Communism as a Science, Meaningful Revolutionary Work, and a Life with Meaning* (revcom.us) and particularly the section "Relying on the masses, but not on spontaneity, even in socialist society" for more discussion of this point

73. Bob Avakian, "The End of A Stage—The Beginning of New Stage," "A Final Note," *Revolution*, Fall 1990, p. 46.

74. Badiou, *Being and Event*, pp. 347-48.

75. Badiou, *Logics of Worlds*, p. 518.

76. Badiou, *Metapolitics*,, p. 70.

77. *See* Avakian, "Making Revolution and Emancipating Humanity," p. 36.

+++

الفصل الرابع :

القدح فى الشيوعية و التزلّف للإمبريالية

تزييف سلافوج تزتزاك للحقائق و جلبه العار لنفسه

ريموند لوتا

مجلّة " **تمايزات** " عدد 2 / 2012

www.demarcations-journal.org

تضمّن عدد ديسمبر 2011- جانفي 2012 من " **مجلّة بلاتيبوس** " حوارا صحفيّا مع الفيلسوف و المنظّر الثقافي سلافوج تزتزاك (1) . و مثّل هذا الحوار الصحفي هجوما ببنادق التشويه على التجربة التاريخيّة للثورة الإشتراكية في القرن العشرين مرفوقا بهجوم غير مبدئي و غير مدروس بشكل فادح ضد الخلاصة الجديدة للشيوعيّة لبوب أفاكيان .

و قد تقنّعت تصريحات تزتزاك هذه بأنّها تفكير جديد و دقيق في درجات الإختلاف إلاّ أنّها في الواقع لم تكن سوى مناهضة للشيوعية من الصنف القديم و البارز كجزء من الرواية البرجوازية المهيمنة عن الشيوعيّة بإعتبارها " فشلا " و " فظاعة " . و يقدّم تزتزاك نفسه ك " مناهض للرأسماليّة " غير أنّ في عرضه مدح للرأسماليّة – الإمبريالية .

و هذا ثمرة لما يسمّيه تزتزاك " بأسه النزيه " .

و في ما يلى ، أسوق ردّا على المزاعم الجوهريّة لتزتزاك و تشويهاته . و في الخاتمة ، أدعو سلافوج تزتزاك إلى المشاركة في نقاش على الملأ معى حول طبيعة الإمبرياليّة و تاريخ المشروع الشيوعي و آفاقه .

I - تحدّيات حقيقيّة و بدائل حقيقيّة و مسؤوليّات حقيقيّة

عالمنا فظيع . فحالة بيئيّة إستعجاليّة تهدّد النظام البيئي للكوكب ذاته ؛ و عن الحروب الإستعمارية الجديدة التي تشنّها الإمبرياليّة الغربيّة ينجم الموت و الدمار و التفكّك ؛ و يعانى مليار إنسان من سوء التغذية و المجاعات ؛ و النساء ، نصف الإنسانيّة ، يقع تشييئهنّ و تغليفهنّ و المتاجرة بهنّ و الحطّ من قيمتهنّ . و قد دفع تطوّر التكنولوجيا و مراكمة المعرفة الإنسانيّة الإنسانيّة إلى عتبة إمكانيّة وضع نهاية لهذا وتوفير حياة ماديّة كريمة و حياة ثقافيّة ثرية للإنسانيّة قاطبة - و مع ذلك ، يعرقل النظام الرأسمالي العالمي للربح قبل كلّ شيء تحوّل هذه الإمكانيّة إلى واقع و يقيّدها .

و تقاوم أعداد متنامية من البشر ، من مصر إلى حركات إحتلال الشوارع [أوكوباي – المترجم] و تضع النظام القائم موضع السؤال . و يرفع الناس رؤوسهم و يبحثون عن حلول و بدائل .

و مسؤوليّة الثوريين و كافة المثقّفين الراديكاليين في علاقة بهذه الحركات هي قطعا و بلا ريب التوحّد معها و العمل على البناء على الإيجابي الغالب فيها . لكنّ من الحيوي كذلك الخوض في الحواجز و التناقضات التي تواجهها هذه الحركات و النضالات – و العمل على توفير قيادة لتوجيه هذه التحرّكات نحو طريق ثوري أتمّ و أوعى . و في الوقت نفسه ، ثمّة حاجة ماسة لرسم خطوط تمايز بين الخطاب و السياسات الراديكاليّة و الثوريّة الحقيقيّة – و تلك التي ستأسرنا في العالم كما هو . (2)

هناك مخرج من عذاب هذا العالم و جنونه . إنّه الثورة ، الثورة الشيوعيّة . و المحاولات الأولى في التاريخ المعاصر لإيجاد مجتمعات حرّة من الإستغلال و الإضطهاد – الثورة السوفياتيّة 1917-1956 و الثورة الصينيّة 1949- 1976 – قادتها أحزاب طليعيّة ذات نظرة ثاقبة و أرست إقتصاديّات و مؤسّسات حكم جديدة تحريريّة و علاقات إجتماعيّة جديدة عمادها التعاون و تجاوز اللامساواة و شرعت في معالجة طرق التفكير القديمة - و كلّ هذا في صراع مع عوائق إيديولوجيّة و ماديّة لا يمكن تصديقها .

لقد مثّلت هذه الثورات نقاط تحوّل تاريخيّة بالنسبة للإنسانيّة المضطهَدة . و قد كانت مكاسبها غير مسبوقة و عظيمة على حدّ سواء . زمنها ، وجدت مشاكل و نقائص في الفهم و المنهج و الممارسة – بعضها جدّي تماما و بعضها حتّى مرير. كيف يجب أن نقيّم كلّ هذا ؟ و في نهاية المطاف هزمت الموجة الأولى من الثورة الشيوعيّة و أعيد تركيز الرأسماليّة . ما هي الأسباب و العوامل الكامنة وراء ذلك ؟

لقد أنتج بوب أفاكيان جملة من الأعمال ملخّصا الجانب الرئيسي الإيجابي و كذلك الدروس السلبيّة للموجة الأولى من الثورة ، بينما كان يستفيد كذلك من مجالات متنوّعة من التجارب و النشاط الإنسانيّين ، و فتح طرقا جديدة للمضيّ أبعد و القيام بما هو أفضل في المرحلة الجديدة من الثورة الشيوعيّة . و حصيلة هذا هي الخلاصة الجديدة للشيوعيّة . إنّها شيوعيّة تغييريّة ... لا تلين في تصميمها على قيادة الملايين لإفتكاك السلطة من خلال نضال ثوري مصمّم عندما تظهر الظروف للقيام بذلك ... و غاية هذا ليست أقلّ من إستخدام السلطة لتحرير الإنسانيّة و بلوغ عالم يكون فيه بمقدور البشر أن يزدهروا .

هناك تحدّى هائل ، لكن هناك أساس حقيقي للقتال من أجل مثل هذا العالم و تشييده . التحدّيات حقيقيّة مثلما هي حقيقيّة المسؤوليّات الفكريّة . و الأستاذ تزتزاك يتهرّب من هذا التحدّى . و ما نحصل عليه بدلا من ذلك هو خدعة موجّهة لا أساس لها من الصحّة في تحليل متداخل للنضال من أجل تغيير الواقع تغييرا راديكاليّا ، موقف مدروس ل " ينبغي أن لا نأخذ أنفسنا كثيرا على محمل الجدّ " ؛ و في النهاية ، التسوية مع العالم بكلّ بؤسه .

II- يرفض الخوض في الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان بينما يهاجمها هجوما غير مسؤول

من البداية ، في الحوار الصحفي ل " **بلاتيبوس** " ؛ يعلّق تزتزاك على الخلاصة الجديدة للشيوعيّة لبوب أفاكيان : " لا وجود لمادة نظريّة : لا يقوم باللازم ". (3) لا يقوم باللازم ؟ لا وجود لظلّ للخوض النظري لتزتزاك في هذا الحوار الصحفي ، في العناصر الحيويّة للخلاصة الجديدة ، في :

- القضايا الفلسفيّة : في أعمال مثل " **ملاحظات حول الفنّ و الثقافة و العلم و الفلسفة** " ، و " **القيام بالثورة و تحرير الإنسانيّة** " أجرى أفاكيان قطيعة أعمق مع بعض المفاهيم الدينيّة و شبه الدينيّة التي إنطوت عليها الشيوعيّة ، إلى جانب القطيعة الأعمق مع بعض النزعات البراغماتيّة و التجريبيّة ، و أرسى الشيوعيّة على أسس علميّة أرسخ .

- ما معنى أن نكون أمميّين في عالم اليوم . في أعمال مثل " **كسب العالم ؟ واجب البروليتاريا العالمية و رغبتها** " ، سنة 1981 ، بحث أفاكيان كيف أنّ الديناميكيّة العالميّة العامة للنظام الإمبريالي هي التي تضع إطار ما يجدّ في كلّ بلد على حدة . و قد طوّر توجّه كيف ينبغي على الشيوعيين أن يقاربوا كلّ شيء بما في ذلك القيام بالثورة في البلد الذى يعيشون فيه ، من وجهة نظر الثورة العالميّة أوّلا و كيف – و لماذا – ضلّ قادة المرحلة الأولى من الثورة الشيوعية طريق ذلك و في ظروف معيّنة حتّى تحرّكوا ضد هذا الفهم و هذا التوجّه .

- الفهم الحيوي الجديد لطبيعة الإشتراكية كمجتمع إنتقالي ، مع الحاجة إلى المضيّ من اللامساواة و الإختلافات العميقة الجذور لعالم اليوم بإتّجاه مجتمع شيوعي و عالم خالى من الطبقات و الإختلافات الطبقيّة و من المؤسّسات الإضطهاديّة التي تفرضها و من الأفكار النابعة من هذه الإنقسامات و المعزّزة لها . و فيما تعلّم من ماو بعمق ، إعترف أفاكيان و شدّد على الحاجة إلى دور أكبر للمعارضة و تشجيع أكبر للصراع الفكري و مدى أكبر من المبادرة و الإبداع في الفنّ في المجتمع الإشتراكي . وقد نقد نظرة إحاديّة الجانب صلب الحركة الشيوعيّة حيال المثقّفين – نظرة تعتبرهم **مشكلا** لا أكثر. و تأسّس كلّ هذا على البحث عن الحقيقة و على الطابع التغييري للمشروع الشيوعي و تجاوز الإنقسام الذى تمتدّ جذوره إلى عصور سحيقة في القدم بين العمل الفكري و العمل اليدوي .

كيف تعيد الخلاصة الجديدة للشيوعية صياغة الإشتراكية كمرحلة إنتقاليّة حيويّة مسألة جرى تحليلها في أعمال بوب أفاكيان مثل " **نهاية مرحلة – بداية مرحلة جديدة** " و " **الدكتاتوريّة و الديمقراطيّة و الإنتقال الإشتراكي إلى الشيوعيّة** " و " **وجهات نظر حول الإشتراكية و الشيوعيّة : نوع جديد راديكاليّا من الدولة ، نوع من النظرة إلى الحرّية مختلف راديكاليّا و أعظم بكثير**".

- الإستراتيجيا الثوريّة و الحاجة إلى حركات شيوعيّة لمقاومة الدفع نحو التحوّل إلى جزء آخر من المشهد السياسي للمجتمع البرجوازي ، عوض القيام بالثورة . " **القيام بالثورة و تحرير الإنسانيّة** " عمل حيوي بهذا المضمار . و قد طوّر

الحزب الشيوعي الثوري إستراتيجيا تتطرّق للمشاكل و الصعوبات الحقيقيّة للقيام بالثورة في بلد إمبريالي كالولايات المتحدة ؛ و تجاوز الإنقسامات العميقة العنصريّة و الجنسيّة في صفوف شتّى فئات الشعب ؛ و ردم الهوّة و دفع التعاضد الإيجابي بين المثقّفين و الذين يوجدون في قاع المجتمع ؛ و تحدّى تسريع تطوّر وضع ثوريّ في زمن لا وجود فيه لأزمة ثوريّة فيما يقع إعداد الشعب لإستغلال الفرصة حين تتوفّر .

- إعداد الجماهير لتغيير العالم و تغيير نفسها . و قد شدّد أفاكيان على أنّه يجب إنجاز الثورة الشيوعيّة بتوجّه أنّ الجماهير ينبغي أن تكون القوّة المحرّكة ك " محرّرى الإنسانيّة " . فهذه الثورة ليست للإنتقام أو لتغيير المواقع في إطار " الأخير يجب أن يصبح الأوّل و الأوّل يجب أن يصبح الأخير " – و إنّما هي ثورة لتغيير العالم بأسره ، حتّى يكفّ عن الوجود إنقسام المجتمع إلى " أوّل " و " أخير " .

ماذا لدى سلافوج تزتزاك ليقوله بشأن عناصر الخلاصة الجديدة هذه ؟ لا شيء .

و يهاجم تزتزاك أفاكيان و الحزب الشيوعي الثوري قائلا إنّهما : " يملكان على الدوام الأجوبة : لا أسئلة ، فقط أجوبة " (4) ؛ بكلمات أخرى ، يريد من القرّاء أن يعتقدوا أنّ الحزب الشيوعي الثوري لا يخوض في التناقضات الصعبة و المعقّدة – له فقط يقينيّات معرفة خاصة . إنّه ينعتنا ب " الضالين " زاعما أنّنا نبحث عن أن نفرض على الآخرين رغباتهم و ما يجب أن يكونوا عليه .

و يتعيّن أن نقول إنّ هذا " تشويه " مدهش للحقيقة . فقسم كامل من كتاب بوب أفاكيان " **ليس بوسع العصافير أن تلد تماسيحا لكن بوسع الإنسانيّة تجاوز الأفق** " يتحدّث على وجه الضبط عن هذا التناقض ، خاصة كما يطرح نفسه في المجتمع الإشتراكي بين المصالح الأساسيّة للجماهير الشعبيّة من ناحية و ما يمكن أن يريده بعض الناس في أي وقت معطى ، من ناحية أخرى – و التحدّيات المعنيّة في التعاطى مع هذا التناقض ، بتعقيداته العديدة ، على نحو يستمرّ في التقدّم صوب الشيوعيّة بينما في نفس الوقت جوهريّا يتمّ التعويل على الجماهير الشعبيّة للمضيّ عن وعي قدما بهذا النضال .

و بالفعل ، كامل العمل المذكور أعلاه ، إلى جانب " **القيام بالثورة و تحرير الإنسانيّة** " تفحّص غنيّ من بوب أفاكيان لعديد التناقضات المفاتيح و تعقيدات القيام بالثورة – و بالقيام بذلك في أي بلد خاص كجزء من النضال العام في سبيل الهدف النهائي للشيوعية عالميّا .

و يتّهم تزتزاك بوب أفاكيان و الحزب الشيوعي الثوري بالحديث ببساطة عن إفتكاك السلطة ثمّ معالجة المشاكل ، و بعدم معالجة كيف أنّ كلّ هذا سيتشكّل و " ما سيعنيه في نظر الجماهير ". و هذه كذلك تهمة لا أساس لها من الصحّة . فعلاوة على الأعمال التي أشرت إليها بعدُ ، " **دستور الجمهوريّة الإشتراكية الجديدة في شمال أمريكا " (مشروع مسودّة)** و بيان الحزب الشيوعي الثوري " **حول إستراتيجيا الثورة** " مفيدة للغاية بهذا الصدد .

و لا وجود لدى تزتزاك لأي نقاش ملموس و لا نقد مبدئي للخلاصة الجديدة – تشويهات رخيصة فحسب لعمل بوب أفاكيان و خطّ الحزب الشيوعي الثوري . لكن أيّها الأستاذ تزتزاك ، لتكن لنا جولة حول هذا الموضوع ، لنناقش الشيوعية و الخلاصة الجديدة في ندوة على الملأ.

III – مناهضة مسعورة للشيوعيّة تلبس قناع التفكير الجديد

في الحوار الصحفي في " **بلاتيبوس** " يعلمنا تزتزاك بأنّ " دروس ل[القرن العشرين] سلبيّة لا غير ". و يتناول بالحديث الإشتراكية في الإتّحاد السوفياتي و حقبة ستالين على أنّها " هيمنة مباشرة عنيفة " (5) و في تقديمه لطباعة بحوث ماو تسى تونغ حول الفلسفة ، يحمل تزتزاك على ماو على أنّه " قلّص الشعب إلى وسيلة للإستعمال مرّة واحدة " (6) . و في خطاب له في أكتوبر أثناء إحتلال وال ستريت ، كان تزتزاك مهووسا ب " فشلت الشيوعيّة فشلا مطلقا " . (7)

و من العسير أن نميّز ما الذى يعتمل أكثر هنا : إستهانة إراديّة بالدقّة التاريخيّة أم مناهضة للشيوعيّة كعمل قوّاد للسلط القائمة . على كلّ حال ، تصريحات تزتزاك خاطئة و تتسبّب في الكثير من الضرر. و للإطلاع على حقيقة الثورات البلشفيّة و الصينيّة ، أنصح القرّاء بكتابات أفاكيان و ببعض بحوثي و خطاباتى و بموقع أنترنت " وضع الأمور في

نصابها " ، و الكتاب الجدالي **" " سياسة التحرير " لألان باديو : شيوعيّة أسيرة حدود العالم البرجوازي "** ، إلاّ أنّ بضعة نقاط تقتضي منّا الردّ الخاص الآتية نقاطه :

- " سلبيّة لا غير " ؟ لقد حقّقت الثورتان السوفياتيّة و الصينيّة أشياء مذهلة في تحرير النساء و تخطّى اللامساواة القوميّة و التحرّك بتصميم حيوي لتلبية الحاجيات الماديّة للشعب ، و البحث عن صياغة قيم و ثقافة جديدين . و قد أحرزت الثورة الثقافيّة في الصين 1966-1976 تغييرات غير مسبوقة في التعليم و في ممارسة إدارة الصناعة و الرعاية الصحّية و في الحكم الشعبي و في الفنون . لم يوجد أي مجتمع في العالم عرف مثل هذا النضال و التغيير الأساسيين الواعيين .

- خطب تزتزاك طويلا ضد ستالين و ما يسمّيه ب " الستالينيّة " و خطابه مذهل لغياب أي تحليل مادي فيه . لا يلمس لا الحصار و التهديد المستمرّين أو تأثير الإنقسامات الإجتماعيّة المستمرّة و البقايا الأخرى من المجتمع القديم ، و تواصل الطبقات و الصراع الطبقي في ظروف الدولة السوفياتيّة الجديدة . و يبرز كذلك غياب مسائل و صراعات الخطّ و البرنامج الحقيقيّة و الحاسمة : السياسات و الطريق الذين كان ستالين يمثّلهم و يقاتل من أجلهم و الخطوط و السياسات التي وقف وراءها و ناضل من أجلها آخرون في القيادة – و إنعكاسات هذا على توجّه المجتمع . عوض ذلك ، نجد أنّ ستالين طاغية .

- و يعلن تزتزاك أن القفزة الكبرى إلى الأمام في الصين بين 1958 و 1960 " تراجيديا كبرى " (8). لا يهمّ ما كانت فعلا القفزة الكبرى إلى الأمام و ما حقّقته عمليّا بمعنى مشركة الفلاحة و تجاوز اللامساواة و البون التقني بين الريف و المدينة ، و تطوير نظام أكثر لامركزيّة في تخطيط الاقتصاد و تحدّى التقاليد الإقطاعيّة و السريّة و أجل ، المساهمة في معالجة مشكل الغذاء كمشكل تاريخي للصين . يريد تزتزاك من القارئ غير المنتبه أن يعتقد أنّ هذا المسمّى " تراجيديا كبرى " (وهو يحيل على وفايات المجاعة التي يفترض أنّ ماو إقترفها) هراء ! ما يجرى الترويج له على نطاق واسع باسم " بحث في الأرشيف " هو تشويه منظّم لماو و روايات تاريخيّة بحسابات عدد جثث إعتمادا على إستقراء زائف و أكاذيب فجّة .

بالنسبة إلى تزتزاك ، من المكوّنات المحدّدة للتنظير الراديكالي " الجديد " و " التجديدي " هو القدح في التجربة التاريخيّة للثورة الشيوعية و تشويهها .

IV – موقف تزتزاك المعادي لمناهضة الإمبرياليّة

يقترح تزتزاك " إعادة التفكير في نقد الاقتصاد السياسي " على ضوء الرأسمالية العالمية اليوم . فإلى أين تقوده " إعادة تفكيره " **هو** ؟ لننظر في بعض إكتشافاته :

- " أكبر نتيجة لرئاسة بوش هي أنّ الولايات المتحدة غدت تقريبا قوّة عظمى محلّية " (9). أصحيح ما أسمعه ؟ للأسف ، نعم . و الآن سيكون شيئا أن " نصدّق " جورج بوش الإبن و قيادته الإمبريالية الأمريكيّة إلى صعوبات جدّية ، لكن إدّعاء أنّ الولايات المتحدة لم تعد قوّة هيمنة حقيقيّة و أنّها تقلّصت إلى مجرّد قوّة عظمى محلّية ، لا يجانب الحقيقة فحسب بل يبعث الإضطراب و التشويش و يضلّل الناس و يجرّدهم من سلاح الإعتراف التام بواقع ما تفعله الإمبرياليّة الأمريكيّة في العالم و معارضته . و سأكون متطلّعا ليس إلى نقاش تأكيد تزتزاك بصدد الإمبرياليّة الأمريكيّة و حسب بل أيضا إلى تبريراته للتسوية التي أقامها نلسن مانديلا مع الإمبرياليّة و خيانته الموضوعيّة لجماهير جنوب أفريقيا ، و لتجميله غزو الولايات المتحدة للعراق باسم معارضة مفترضة للأصوليّة الإسلاميّة . (10)

- و في الحوار الصحفي ذاته ل **" بلاتيبوس "** ، يدّعى تزتزاك أنّ " في الرأسماليّة العالميّة اليوم لم يعد هناك متروبولات [عواصم كبرى / إمبرياليّة – المرتجم] تسحق بلدان العالم الثالث " (11) . إنّ الشبكة العالميّة من المعامل الهشّة و مناطق إعداد المنتوجات للتصدير و عمل الأطفال في آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة ، جزء لا يتجزّأ و جزء حيويّ من ربحيّة رأس المال الغربي – و بعصا سحريّة يتبخّر هذا و يفقد دلالته في الإقتصاد السياسي لسلافوج تزتزاك . و المواد المعدنيّة التي عادة ما تستخرج في ظروف شبيهة بظروف العبيد في مناطق شاسعة من ما يسمّى بالعالم الثالث و حقوق الملكيّة العالميّة التي تبقى الأدوية خارج متناول العالم المفقّر ، و الفلاحة التجاريّة الغربيّة التي تحطّم زراعات الفلاّحين . على ما يبدو هذه آثار إنحسار الإستعمار الجديد . بالنسبة لتزتزاك الإنقسام الكبير و الإضطهادي و المفروض فرضا بين الإمبريالية و الأمم المضطهَدة لم يعد أحدّ و أعمق تناقض من تناقضات العالم .

- ليس بوسع تزتزاك أن يفلت من قبضة الديمقراطية البرجوازية . فهو يهدى أنشودة الشكر هذه لقادة الثورة البرجوازية : " كان البرجوازيّون الراديكاليّون المقاتلون في سبيل الحرّية واعين جيّدا بأنّ الحرّية تتأتّى فقط طالما هي حقّا حرّية إجتماعيّة " (12) . و يقول لشارلى روز إنّه ليس " معاديا للرأسماليّة عداءا متهوّرا " فهو يثمّن واقع أنّ " الكثير من الناس عاشوا حياة حرّة و حياة آمنة نسبيّا و في رفاه نسبي ...فى أوروبا الغربيّة في السنوات الأخيرة من الخمسينات إلى الستينات ." (13) هنا مربط الفرس : في حين أنّ الشيوعيّة " فشلت فشلا مطلقا " ، نجحت الإمبرياليّة نجاحا جزئيّا . لا يمكن لتزتزاك أن يكون إلاّ مبهورا بأن يغمض عينيه عن واقع أنّ الحرّيات البرجوازيّة و الرفاه الاجتماعي قائمان على أرضيّة إستغلال فاحش و حروب عدوانيّة و غزو و نظام حكم إستعماري جديد يتضمّن دعم الأنظمة العميلة القمعيّة بخبث على غرار نظام العربيّة السعودية .

وأودّ أن أشجّع القرّاء على عقد مقارنة بين وجهات النظر الإشتراكية - الشوفينيّة لتزتزاك بشأن الإمبريالية و الديمقراطية وهي وجهات نظر بالمناسبة تفتقر إلى أي فهم علمي للعلاقة بين البنية الفوقيّة و القاعدة المادية للمجتمع و النظام العالمي ، مع أعمال لبوب أفاكيان من ثمل **" الديمقراطيّة : أليس بوسعنا إنجاز ما أفضل ؟ "** و **" الشيوعيّة و ديمقراطيّة جيفرسون "** و مرّى أخرى ، **" ليس بوسع العصافير أن تلد تماسيحا لكن بوسع الإنسان أن يتجاوز الأفق "** .

7 – خاتمة : تصفية حساب و دعوة إلى نقاش جريئ و صريح

يُنكر سلافوج تزتزاك عن خطإ و بصفة غير علميّة كامل تجربة الثورة الشيوعيّة . وهو يتعذّب بخصوص " لا حلول سهلة " و " يأس نزيه " بيد أنّه لا يتورّع عن الوقوف إلى جانب الإمبرياليّة . هذا منه وثيقة كبرى من الإستسلام السياسي و الأخلاقي . و لهذا الإستسلام صلة وثيقة بلماذا لا يقرّ سلافوج تزتزاك – و من المرجّح جدّا أنّه لا يعترف و لا يمكنه أن يعترف – بما هو في الواقع جديد و أهميّته حيويّة في الخلاصة الجديدة للشيوعية التي تقدّم بها بوب أفاكيان . في عالم يصرخ بصفة ملحّة من أجل التغيير الراديكالي ، هذه الخلاصة الجديدة في آن معا قابلة للتطبيق و حيويّة للمضيّ قدما بالنضال في سبيل تحرير الإنسانيّة .

و مجدّدا ، و أنا أختم هذا المقال ، أتحدّى سلافوج تزتزاك أن يشاركنى نقاشا على الملأ لهذه المسائل .

NOTES

Works by Bob Avakian Cited in This Article

Birds Cannot Give Birth to Crocodiles, But Humanity Can Soar Beyond the Horizon.

Communism and Jeffersonian Democracy (Chicago: RCP Publications, 2008).

Democracy: Can't We Do Better Than That? (Chicago: Banner Press, 1986).

Dictatorship and Democracy, and the Socialist Transition to Communism.

"The End of a Stage—the Beginning of a New Stage," *Revolution* magazine, RCP Publications, Fall 1990.

Making Revolution and Emancipating Humanity, *Revolution*, October 2007-February 2008. Also included in *Revolution and Communism: A Foundation and Strategic Orientation*, pamphlet (Chicago: RCP Publications, 2008).

Observations on Art and Culture, Science and Philosophy (Chicago: Insight Press, 2005).

"Views on Socialism and Communism: A Radically New Kind of State, A Radically Different and Far Greater Vision of Freedom," *Revolution*, March-April 2006.

Other Works and Sources

Communism: The Beginning of a New Stage, A Manifesto from the Revolutionary Communist Party, USA, (Chicago: RCP Publications, 2009).

Constitution for the New Socialist Republic in North America (Draft Proposal), (Chicago: RCP Publications, 2010).

"On the Strategy for Revolution," *Revolution*, #226, March 6, 2011.

Set the Record Straight website with materials from Raymond Lotta, at thisiscommunism.org

Raymond Lotta, Nayi Duniya, and K.J.A., Alain Badiou's 'Politics of Emancipation': A Communism Locked Within the Confines of the Bourgeois World," *Demarcations: A Journal of Communist Theory and Polemic*, Summer-Fall 2009 (1).

1. "The Occupy movement, a renascent Left, and Marxism today: An interview with Slavoj Žižek," *The Platypus Review* (42) December 2011-January 2012.

2. It is worth noting that in his discussion of the upsurge in Egypt, Žižek contents himself with tailing this movement, even making a principle out of some of its weaknesses and narrow aspects, including (so far at least) the neglect, or negation, to too far a degree of the Palestinian question. See Žižek interview, p. 4.

3. Žižek interview, p. 2.

4. Ibid., p. 2.

5. Ibid., p. 5.

6. Slavoj Žižek *Presents Mao: On Practice and Contradiction* (New York and London: Verso Books, 2007), p. 10.

7. "Slavoj Žižek at OWS Part 2," October 9, 2011.

8. Žižek interview, p. 2.

9. Ibid., p. 3.

10. In the *Platypus* interview, p. 4, in his commentary on anti-Iraqi war protests, Žižek faults the U.S. left for not working with the Iraqi left, particularly the Iraqi Communist Party. This utterly revisionist party took part in the elections for the first post-invasion government—elections that were carried out under the auspices and in the service of U.S. occupation. Žižek notes the participation of the Iraqi Communist Party and goes on to say: "The standard narrative was that the Iraqi people should liberate themselves, without the U.S. occupation. But they had the same problem, and got into a deadlock. With attacks on the Green Zone: which side should you take, there? I was not ready to do what some did, to claim that, since

they opposed the American occupation, they should side with the resistance. I don't think these radical Islamists should ever be supported."

Under the mantle of not giving quarter to Islamic fundamentalism, Žižek is effectively legitimizing the U.S. invasion and occupation. Contrast this social-chauvinist position with the orientation of the RCP, USA, which is based on the internationalist stand and analysis of Avakian. This analysis a) points to the existence of "two outmodeds": imperialism and Islamic fundamentalism; b) identifies both as being reactionary; c) calls for bringing forward a genuine revolutionary movement in opposition to both; while d) making it crystal clear that, of these "two outmodeds," it is imperialism, and above all U.S. imperialism, that does greater harm to, and constitutes a far greater obstacle to the emancipation of, the masses of people in the world. See Bob Avakian, "Bringing Forward Another Way."

11. Ibid., p. 4. By contrast, see my discussion of the persistence of the savage contradiction between the imperialist metropoles and the Third World in Part 1 of the series "Shifts and Faultlines in the World Economy and Great Power Rivalry."

12. Ibid., p. 4.

13. "Charlie Rose with Slavoj Žižek," October 26, 2011.

ملحق من إقتراح المترجم

سلافوج تزتزاك أحمق متعجرف يتسبّب في ضرر كبير

ريموند لوتا

جريدة " **الثورة** " ، 15 نوفمبر 2016

http://revcom.us/a/465/slavoj-zizek-is-a-puffed-up-idiot-who-does-great-damage-en.html

سلافوج تزتزاك فيلسوف مخادع له تأثيره وهو غالبا ما يقدّم نفسه على أنّه " شيوعي " . على شاشة التلفزة البريطانيّة ، صرّح بدعمه لدونالد ترامب . و حسب رأيه ، إنتصار ترامب سيساعد الجمهوريين و الديمقراطيين على " إعادة التفكير في أنفسهم " ـ و يمكن أن يدفع إلى " نوع من الإستفاقة الكبرى " . و متحدّثا من البرج العاجي " ليس هناك ما يقلقنى " ، أعرب تزتزاك عن أنّ ترامب " لن يُدخل الفاشيّة " . ("Slavoj Žižek would vote for Trump") .

هذا موقف خاطئ ، هذا سمّ . الوقوف إلى جانب العنصريّة و كره النساء و معاداة المهاجرين لا علاقة له مطلقا بأخلاق و سياسات الشيوعيّة الحقيقيّة ـ و مهما كان منطق تزتزاك ملتويا ، فإنّه عمليّا يمضى ضد التجربة التاريخيّة المريرة ، حيث أوّل عمل قام به النازيّون إثر صعودهم إلى السلطة هو سحق الثوريين .

و كلّ من يرغب في فهم و تحليل شيوعيين حقّا لتلك التجربة التاريخيّة و صلوحيّتهما اليوم يتعيّن عليه / عليها أن يطّلع على أعمال بوب أفاكيان و منها :

THE NEW COMMUNISM;

"The Truth About Right-Wing Conspiracy... And Why Clinton and the Democrats Are No Answer";

"The Fascists and the Destruction of the 'Weimar Republic'... And What Will Replace It";

The Coming Civil War and Repolarization for Revolution in the Present Era; and

Conquer the World? The International Proletariat Must and Will.

الفصل الخامس :

فهم الماويّة فهما علميّا و الدفاع عنها بصلابة و تطويرها ، بهدف بلوغ مرحلة جديدة من الشيوعية : أفكار جداليّة حول مقال برنار دى مالو " ما هى الماويّة ؟ "

ك. ج. أ.

مجلّة " **تمايزات** " عدد 2 / 2014

www.demarcations-journal.org

بمقاله " **ما هي الماويّة ؟** " في الأسبوعيّة الإقتصاديّة و السياسيّة ، وضع برنار دى مالو قضايا هامة على طاولة النقاش . و كان هدف ذلك المقال تشخيص المساهمات المميّزة و النوعيّة لماو تسى تونغ ، " الميزات الخاصة " لماو تسى تونغ بكلمات دى مالو ، وعلى هذا النحو تعيين حدودها كنظريّة منسجمة ، واضعا إيّاها ضمن التيّار الأكبر للشيوعيّة . و يجتهد دى مالو للإنطلاق من وجهة نظر ما يحرّر الذين يقبعون في قاع المجتمع . مقال تلك المجلّة الأسبوعيّة جزء من مجموعة مقالات عنوانها " **ما هي الماويّة و بحوث أخرى** " ، نشرت مع مقدّمة لدى مالو (1) و تستهلّ المقدّمة بالتالى : " هذا الكتاب تحرّكه رغبة إعادة إحياء فكرة عن الإشتراكيّة تضع في المصاف الأوّل التحرير و تلبية حاجيات الإنسانيّة الأساسيّة للذين يتعرّضون لأكبر إستغلال و أكبر إضطهاد و أكبر هيمنة على هذه الأرض " .

لنشر هذا البحث في واحدة من أهمّ مجلاّت المثقّفين التقدّميين في الهند دلالته في هذه اللحظة حيث تنكبّ الدولة الهنديّة على حملة منسّقة من الإرهاب ضد الحركة الثوريّة و الماويّة ، مخصّصة قوّاتا عسكريّة و شبه عسكريّة لتحطيم الحركة متابعة و مغتالة خارج القانون قادة و مطلقة قمعا وحشيّا ضد كلّ من ترى أنّه يساند الماويين ، و مسلّحة مجرمين رجعيين لإرهاب المناطق التي تساند الحركة بما في ذلك بالإغتصاب و القتل بلا تفرقة ، و باثّة مغالطات إعلاميّة و إفتراءات عبر القنوات الرسميّة و عبر وسائل الإعلام الرئيسيّة . و تهلّل القوى الإمبرياليّة لهذه الحملة الإرهابيّة بما فيها إلغاء الإحتجاجات الضروريّة ضد دوس حقوق الإنسان .

و يجرى كذلك النقاش حول الماويّة في إطار عالم من الفظائع و من اللامساواة الملحوظة و المتصاعدة و من إمكانيّات وليدة برزت في الإنتفاضات الحديثة في شمال أفريقيا و الشرق الأوسط أو ظاهرة إحتلال الشوارع في الولايات المتحدة و حركات مشابهة في مختلف البلدان الأخرى .

و من المهمّ أنّ في هذا الظرف التاريخي العالمي ، يشرع البعض من جديد في البحث في الماويّة و الشيوعيّة الثوريّة و كيف يُقيم تاريخ الثورات الشيوعيّة للقرن العشرين ؟ هل يمكن إعتبار الماركسيّة علما صحيحا ؟ هل تمثّل الشيوعية الطريق الذى بواسطته تستطيع الإنسانيّة بلوغ التحرّر ؟ هذا هو الإطار الذى جلبت فيه الماويّة الإنتباه – ليس فحسب كتمرين أكاديمي بل كروح أطروحة ماركس حول فورباخ : " لم يفعل الفلاسفة سوى **تفسير** العالم بطرق مختلف في حين أنّ المسألة هي مسألة **تغييره** " ، التي ألمح إليها دى مالو نفسه . (2)

و هذا النقاش المتجدّد للماويّة بلا شكّ إيجابي جدّا . لكن بالتحديد نظرا إلى أهمّية ما هو موضع رهان بالنسبة لمستقبل الحركة الثوريّة و الحركة الشيوعيّة العالمية ، من الحيويّ تفحّص تام لمحتويات هذه المحاججات . فدون رسم خطوط تمايز – بين الشيوعيّة كعلم حيّ ، نقديّ و ثوريّ في خدمة تحرير الإنسانيّة من جهة ، و البرامج التي لا يمكن أن تؤدّي إلى التحرير ، من الجهة الأخرى – لن يكون ممكنا الحصول على الفهم و الوضوح المطلوبين لتغيير العالم تغييرا راديكاليّا . ما يمكن أن يبدو الآن مسائلا نظريّة مجرّدة تحتوى على مسائل حيويّة ستطرح في الصراع السياسي العمليّ القادم .

مفهوم دى مالو للماويّة :

الإستنتاج المحوري لدى مالو و خطؤه المحوري الذى سيكون لنا المزيد من الحديث أدناه ، هي أنّ ماو كان " ديمقراطيّا راديكاليّا " و إستنتاجه هو منسجم كذلك مع " الميزات الخاصة " التي يشخّصها دى مالو على أنّها الماويّة . و هذه بعبارات دى مالو هي :

- " يمثّل الفلاّحون الفقراء في مجتمع رأسمالي / شبه إقطاعي متخلّف و ليس البروليتاريّون المدينيّون القاعدة الجماهيريّة للحركة ،

- تعنى نظريّة الثورة على مراحل و كذلك الثورة المستمرّة صلة وثيقة بين المراحل المتتابعة ،

- مرحلة الثورة الديمقراطيّة الجديدة التي تجعل الرأسماليّة أكثر تناسبا مع الديمقراطيّة ، مساعدة هكذا على الإنتقال إلى الإشتراكيّة ،

- طريق و إستراتيجيا حرب الشعب الطويلة الأمد التي تتركّز في صفوف الفلاّحين و تنشئ قواعد إرتكاز ريفيّة ، و تكرّس " الأرض لمن يفلحها " و سياسات إجتماعيّة أخرى في هذه المناطق (المحكومة ديمقراطيّا بدول صغيرة مكتفية ذاتيّا) مشيّدة هكذا قاعدة سياسة جماهيريّة في الريف لمحاصرة المدن و في النهاية إفتكاكها ؛

- مفهوم " قواعد الإرتكاز " و شكل إرسائها ؛

- " إفتكاك " (بكسب دعم الجماهير) المدن مع إبداء شكل من القوميّة مناهض حقيقة للإمبرياليّة ، معيدا هكذا توجيه أوج القوميّة الجماهيرية الموجودة (مثلما حصل أثناء حرب المقاومة ضد اليابان في 1937- 1945 في الصين) نحو إتمام ثورة الديمقراطية الجديدة ،

- المركزيّة الديمقراطيّة **إضافة** إلى " الخطّ الجماهيري " ، ضامنين أن لا ترتهن " الديمقراطيّة " ب " المركزيّة " و ضامنين أن يساهم الشعب في تحديد السياسات و في تطبيقها ،

- الفكرة المركزيّة لكون التناقضات – صراع الأضداد الموحّد و الوظيفي – في كلّ مرحلة تدفع سيرورة التطوّر بإتّجاه الإشتراكيّة ، ما سيتحقّق في سلسلة من المراحل حيث تكون المرحلة الراهنة ، في الوقت المناسب ، تحمل بذورا هجينة للمرحلة التالية ، و على هذا النحو تحلّ التناقضات البارزة للأولى و تمثّل بداية الثانية ،

- الترابط المفتوح داخل و بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج و البنية الفوقيّة ، و

- فكرة أنّ من يمسكون بالسلطة في السياسة و الإدارة و البيروقراطيّة يتخندقون كنخبة حاكمة و خلال فترة زمنيّة ، يحتلّون موقع الطبقة الإستغلاليّة الجديدة و أنّه بإستمرار يجب تعبئة الجماهير للنضال ضد هذه النزعة " (3).

تعانى قائمة دى مالو من عدم قدرته الجوهريّة على فهم ماو و موقعه و تقييمه **كشيوعي ثوري** . يعرض دى مالو ما يفهمه على أنّه مساهمات ماو ضمن حزمة من خلالها يقلّص ماو إلى ديمقراطي يعتمد على الفلاّحين ، ضرب من الشعبويّة الذى يتحرّك حسب مصالح الجماهير وهو مستعدّ على الدوام لسماعها (هذا هو تأويل دى مالو ل " الخطّ الجماهيري " كما يقدّمه في مقاله ، وهو أمر سنعود إليه لاحقا) . هناك تماثل بين السيرورة الضروريّة التي قادها ماو (ثورة الديمقراطيّة الجديدة) و خصوصيّات بناء قواعد مساندة ريفيّة و الإعتماد على الفلاّحين إلخ من جهة و من الجهة الأخرى ، الإيديولوجيا التي مثّلها ماو و التي بحث عن طبعها كخطّ و توجّه يقودان كامل السيرورة الثوريّة . حتّى عندما يمكن أن يبدو أنّ دى مالو يقترب من المساهمة الأكثر جوهريّة لماو ، مثلا . إنشغاله ب " النخبة الحاكمة " و ضرورة تعبئة الشعب ضدّها ، فإنّ الإندفاع " الديمقراطي الراديكالي " يُبعد دى مالو عن فهم صحيح و علمي للطبقات و للصراع الطبقي كما يوجدان في ظلّ الإشتراكيّة . و مثلا ، يستشهد دى مالو ب " النخبة الحاكمة " المتخندقة بدلا ممّا سمّاه ماو " أتباع الطريق الرأسمالي " و " البرجوازيّة في صفوف الحزب " . و بالفعل ، هذا النوع من التوصيف خارج الطبقات ل " نخبة حاكمة " يمكن أن يلتقي بسهولة مع النقد الشائع المعادي للشيوعيّة للحزب طليعي و حتّى مع رؤية ماو تسى تونغ ذاته على أنّه مفترض جزء من مثل هذه " النخبة الحاكمة " . و السؤال الحقيقي هو السؤال التالى : أي خطّ و من هم الممثّلون السياسيّون الذين يهيمنون ، أيّة سياسات و تغييرات ستحدث و بالتالى ، في الجوهر ، أيّة طبقة ستمسك بالسلطة ؟

يمكننا رؤية تعارض واضح بين الطريقة التي يشكّل بها دى مالو ماو كديمقراطي راديكالي (فارضا في الحقيقة فهمه الخاص للعالم على ماو) و دراسة علميّة للتناقضات الماديّة ، السياسيّة و الإيديولوجيّة للمجتمع الإشتراكي . إستمرار اللامساواة والإنقسامات المميّزة للمجتمع الطبقي ، بما في ذلك المجتمع الإشتراكي الذى وُجد إلى حدّ الآن كمجتمع إنتقالي، يتطلّب بعدُ أن تكون لبعض الناس) " تأثير لامتساوي " نسبة إلى عموم الجماهير . في ظلّ الإشتراكيّة يظلّ قائما التناقض بين " القادة و المقادين " الذى يتضمّن إمكانيّة أن يتغيّر إلى تناقض بين المستغِلّين و المستغَلّين . هذه بعض المسائل التي تفحّصها بوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكيّة ، بصفة متكرّرة و من زوايا مختلفة طوال أربعة عقود . (4) و ترسم الخلاصة الجديدة للشيوعيّة طريق إمكانيّة تجاوز هذه التناقضات بموجات متتابعة و في إطار سيرورة معقّدة سيشهدها التقدّم بالثورة البروليتاريّة . إنّ المفاهيم الخاطئة و السطحيّة لدى مالو عن " الديمقراطيّة الراديكاليّة " لا يمكن حقّا أن تتطرّق للتناقضات الحقيقيّة التي تجعل من الضروري وجود دولة ، و طليعة و قادة طوال فترة تاريخيّة كاملة ، و كيف ، عبر الثورة التامة ، يمكن تخطّى هذه التناقضات .

و ينبغي أن يتمحور تحليل حقيقي للماويّة حول نظريّة ماو ل " مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا " و الممارسة التي قادتها هذه النظريّة (لا سيما الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى) . و يمثّل مثل هذا التحليل جزءا حيويّا من صياغة الخلاصة الجديدة . و تشمل الخلاصة الجديدة لأفاكيان و تعيد صهر أطروحات ماو حول " مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا " و تقدّم توجّها أساسيّا لكيف يمكن لطليعة شيوعيّة أن " تنجز ما هو أفضل " في قيادة الجماهير في تغيير المجتمع بإتّجاه المستقبل الشيوعي . إنّ إعادة تشكيل الحزمة الماويّة التي يقوم بها دى مالو على أنّها " ديمقراطيّة راديكاليّة " ستحرم البروليتاريا من الدروس الحيويّة التي يمكن أن يكون ماو قد إستخلصها . إنّها لا تدفع إلى الأمام ، إنّها تراجع كبير نحو الماضي .

و يختم دى مالو بحثه بدعوة :

" نظرا للخيط الديمقراطي **الراديكالي** الذى يمضى من ماركس إلى ماو ، أفضل ما تستطيع الماويّة فعله هو الإلتزام بوعد الديمقراطيّة الراديكاليّة ؛ فبعد كلّ شيء ، إن كان من الأكيد أنّه لن توجد حرّية بأي معنى هام دون مساواة ، لأنّ الأغنياء بلا شكّ سيكونون أكثر " حرّية " (لديهم أكثر خيارات) من الفقراء ، فلا يمكن أن توجد مساواة دون حرّية ، لأنّه عندها سيكون لدي البعض سلطة سياسيّة أكبر من الآخرين . إلى حدّ الآن ، كافة الثورات التي ألهمتها الماركسيّة لم تتمتّع بمساندة و مشاركة إلاّ أقلّية لها دلالتها . هل يمكن للإلتزام بديمقراطيّة **راديكاليّة** أن يفرز تيّارا للحصول على مساندة الأغلبيّة ؟ هل يتمّ عندئذ إختيار الوسائل إختيارا بعناية على نحو لا يجعلها تخنق التطلّع الإشتراكيّ ؟ " (5)

يؤوّل دى مالو الماويّة على أنّها تسعى إلى " إثراء السيرورة الديمقراطيّة في الحزب اللينيني و المنظّمات الجماهيريّة و المجتمع " . وهو يؤكّد بصفة متكرّرة بأنّ للماويّة " جذور في ماركس الذى كان بالأخصّ ديمقراطيّا راديكاليّا " . و يحذّر من أنّه " ما ليس ديمقراطيّا لا يمكن أن يكون إشتراكيّا " .

و تلتقى هذه الدعوات إلى الديمقراطيّة ، إلى الديمقراطيّة الراديكاليّة ، في الحال مع " مساواة في السلطة السياسيّة " و نجد صداها العميق في الموضة السائدة . فحيثما نظر المرء بما في ذلك في صفوف الحركات الإجتماعيّة الراديكاليّة ، الحرّية و التحرّر يُنظر إليهما ضمن إطار و آفاق و لغة المساواة و الديمقراطيّة – منظور إليهما بدرجة كبيرة كتركيز و توسيع شاملين للمساواة الراديكاليّة .

في عالم من اللامساواة الساحقة ، يمكن فهم هذا ؛ لكن بغرض فهم لماذا يقع نثر " الديمقراطيّة " و يعاد تعليبها على أنّها شيوعيّة و فهم خطر هذا التوجّه ، من الضروري المضيّ إلى ما وراء الظواهر و موقع فهم دى مالو للماويّة و مشروعه السياسي مثلما هو مكثّف في الدعوة أعلاه ، في اللحظة التاريخيّة الراهنة و الظرف الراهن للشيوعيّة .

نهاية مرحلة و بداية مرحلة جديدة :

لم يوجد أي بلد إشتراكي في العالم منذ هزيمة الإشتراكيّة في الصين سنة 1976 إثر وفاة ماو تسى تونغ و إعادة تركيز الرأسماليّة بقيادة دنك سياو بينغ . لقد سجّلت هذه الهزيمة نهاية الموجة الأولى من الثورات الشيوعيّة و المجتمعات الإشتراكيّة – التي بدأت مع كمونة باريس سنة 1871 التي لم تعمّر طويلا ؛ تلتها الثورة البلشفيّة لسنة 1917 بقيادة لينين و إنشاء الإتحاد السوفياتي كمجتمع إشتراكي (من 1917 إلى أواسط خمسينات القرن الماضى ، إلى حين أعاد

خروتشوف تركيز الرأسماليّة) ؛ و إنتصار الثورة الصينيّة سنة 1949 و بناء المجتمع الإشتراكي بقيادة ماو تسى تونغ إلى وفاته سنة 1976 . و هذه التجربة التاريخيّة للمحاولات الأولى للثورة البروليتاريّة لتحرير الإنسانيّة ، على جانب التقدّم و التطوّر النوعيّين في النظريّة الشيوعيّة منذ ماركس و إنجلز مرورا بلينين و ماو ، لم تحسّن بصفة كبيرة ظروف حياة مئات ملايين الناس فحسب بل أرست و خطّت طرقا جديدة و راديكاليّة نحو عالم مغاير و أفضل راديكاليّا . (6)

كانت الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى في الصين قمّة هذه التجربة الثوريّة للمرحلة الأولى من الثورات الشيوعيّة و المجتمعات الإشتراكيّة . و قامت هذه الثورة على التحليل النظري لماو بأنّ التناقضات التي تميّز بإستمرار المرحلة الإنتقاليّة الإشتراكيّة و التي تطرح بإستمرار مسألة التقدّم على الطريق الإشتراكي أو العودة إلى الطريق الرأسمالي . و بطبيعتها المضطربة ، كانت مهمّة الثورة الثقافيّة هي الإطاحة بأتباع الطريق الرأسمالي في الصين لكن غايتها كما أبرز ماو(7)، كانت أكبر حتّى : تغيير فهم الناس للعالم ، والتوسّع إلى كافة مظاهر المجتمع و ملامسة روح الناس ذاتها، كجزء مركزي من التقدّم بالتثوير العظيم لكافة جوانب المجتمع . و أثناء هذه الثورة الكبرى ، ظهرت الماركسية – اللينينيّة – الماويّة و تمّ الإعتراف بها من قبل الحزب الشيوعي الصيني على أنّها " مرحلة جديدة و أرقى " من الشيوعيّة الثوريّة (رغم أنّه الشيوعيين في الصين و في العالم قاطبة زمنها كانوا يستخدمون مصطلح فكر ماو تسى تونغ) . و عقب عقد من النضال البطولي و التغييرات الجذريّة ، إنتهت الثورة الثقافيّة مع وفاة ماو سنة 1976 و ما تلاه من إنقلاب مضاد للثورة وضع أتباع الطريق الرأسمالي في السلطة و فتح الأبواب أمام إعادة تركيز الرأسماليّة بسرعة على يد الحكّام الجدد بقياد دنك سياو بينغ .

و منذ إعادة تركيز الرأسماليّة في الصين سنة 1976 ، و حتّى بصفة أحدّ عقب إنهيار التحريفيّة و الإمبرياليّة الإشتراكيّة السوفياتيّة و كتلتها مع نهاية ثمانينات القرن الماضي ، شاهدنا كذلك عقودا ثلاثة من الثورة المضادة العنيدة) و الإفتراءات و التشويهات كان في أثنائها " كلّ شيء صالح " ضد هذه التجارب الإشتراكيّة كجزء من هجوم إيديولوجي أوسع من طرف حرّاس النظام الإمبريالي العالمي . و توجّه هذا الهجوم الإيديولوجي ضد أعظم تطوير أنجزه ماو لمجموع الشيوعيّة الثوريّة إلى مرحلة ماركسيّة – لينينيّة – ماويّة و نجم عن كلّ هذا خفض الأنظار في صفوف القوى الثوريّة و التقدّميّين الراديكاليين الذين إعتقدوا أنّ عالما مغايرا راديكاليّا غير ممكن و ربّما حتّى ليس مرغوبا فيه . و صار القبول بالأسس الماديّة و الإيديولوجيّة للعالم **كما هو** كأمر واقع بطرق غير مباشرة و (على الأقلّ أحيانا) بصورة غير واعية بما في ذلك في صفوف الذين يفزعهم حقّا هذا الظلم في العالم . بمعنى ما ، **سواء أدركنا ذلك أم لم ندركه ، نعانى جميعا من خسارة الصين ، من هزيمة هذه التجربة و غياب مثال حيّ لدولة و مجتمع إشتراكيين حقيقيين يناضلان في سبيل التقدّم بإتّجاه الشيوعيّة .**

و قد أثارت نهاية هذه المرحلة أسئلة كبرى : كيف نقيّم هذه المرحلة و نلخّص هذه التجربة الثريّة للثورة البروليتاريّة و مكاسبها و حدودها ؟ و موضوعيّا ، سيواجه هذه الأسئلة كلّ فرد و كلّ قوّة تحلّل كيفيّة إنجاز التغيير الجذريّ للمجتمع . هل أنّ المجتمع الإشتراكي هدف قابل للتحقيق و مرغوب فيه ؟ و إن كان الأمر كذلك ، كيف نتقدّم و ندخل مرحلة جديدة من الثورة الشيوعيّة ؟ يتعيّن النظر في مقال دى مالو من هذا الأفق .

يقدّم " **الشيوعية : بداية مرحلة جديدة – بيان للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكيّة** " المعيار التالى لتقييم و تلخيص التجربة التاريخيّة لثورات القرن العشرين :

" المرحلة الأولى من الثورة الشيوعيّة مضت بعيدا ، وحقّقت أشياء ملهمة لا تصدّق ، القتال من أجل تجاوز العراقيل الواقعية حقّا التى واجهتها و فى التقدّم صوب عالم حيث سيتمّ فى النهاية القضاء على العلاقات الإستغلالية والإضطهادية وسيتمتّع الناس ببعد جديد من الحرّية وسيأخذون على عاتقهم وسينجزون تنظيم ومواصلة تغيير المجتمع فى كافة أنحاء العالم ، بمبادرة واعية وطوعية غير مسبوقة فى تاريخ البشرية . لكن ليس بالأمر الغريب أن وجدت أيضا نواقص هامة وأخطاء حقيقيّة وأحيانا أخطاء جدّية للغاية ، فى كلّ من الخطوات العمليّة التى إتّخذها قادة تلك الثورات والمجتمعات الجديدة التى ولدت وفى مفاهيمهم ومناهجهم . وهذه النواقص والأخطاء ليست سبب هزائم المحاولات الأولى للثورة الشيوعية لكنّها ساهمت و إن كان بصورة ثانوية فى تلك الهزائم وأبعد من ذلك كلّ هذه التجربة للمرحلة الأولى بكلّ من إنجازاتها الملهمة حقّا وأخطائها ونواقصها الحقيقية جدّا وأحيانا الجدّية جدّا، حتّى وإن كانت عموما ثانويّة ، ينبغى التعلّم منها بعمق من كلّ الجوانب لأجل إنجاز الثورة الشيوعية فى الوضع الجديد الذى ينبغى أن نواجهه والقيام بما هو أفضل هذه المرّة. " (8)

و قد أنجز بوب أفاكيان هذا الأمر بالذات و طوّر أعمالا كبرى تبحث بدقّة و بطريقة علميّة في هذه الأسئلة ، و قد قام بالعمل العسير لتشخيص نقاط القوّة و نقاط الضعف في المنهج و المقاربة المستخدمين قبلا من قبل الحركة الشيوعيّة عائدا المرّة تلو المرّة إلى تدقيق النظر في هذه التجارب و تفحّصها بأشكال متباينة ، للقيام بما هو أفضل في المرّة القادمة ، و كانت نتيجة كلّ هذا رؤية جديدة و راديكاليّة للمرحلة الإنتقاليّة الإشتراكيّة بمثل هذا الفهم الجديد لدكتاتوريّة البروليتاريا بالإنتقال من الإشتراكيّة إلى الشيوعيّة ، جزءا محوريّا لخلاصة جديدة للشيوعيّة ، إطار نظريّ للمرحلة الجديدة للثورات الشيوعيّة .

و في تعارض مع الخلاصة الجديدة لأفاكيان وُجدت إجابتان تمثّلان " وجها مرآة " الواحد يشبه الآخر ، لبعض الذين كانوا جزءا من الحركة الشيوعية العالميّة . **الإجابة الأولى** هي فهم للشيوعيّة يتشبّث إلى درجة كبيرة بصفة غير نقديّة ، بصفة تقريبا دينيّة و دغمائيّة ، للتجربة الإشتراكيّة و النظريّة الشيوعيّة السابقتين ، أو على الأقلّ لأجزاء منها ، نابذين المقاربة العلميّة لتلخيص الماضي و التقدّم أكثر بالنظريّة الشيوعيّة .

و **الإجابة الثانية** تنبذ بشكل واضح الماركسيّة أو تجعلها غير قابلة للمعرفة ، و تعود إلى القرن 18 لتتبنّى المثل العليا الديمقراطيّة و المساواتيّة و الأنماط الإجتماعيّة لحقبة صعود البرجوازيّة ، و الفلاسفة و المنظّرون السياسيّون كجون جاك روسو و توماس جيفرسون . و تارة تستبعد حتّى كلمة الشيوعيّة و طورا ، تضيف نعت " الشيوعيّة " لمشروع سياسي يمدّ جذوره بصلابة داخل حدود مبادئ الديمقراطيّة - البرجوازيّة .

و مثل هذه القوى تنبذ التحاليل العلميّة حقّا لتناقضات المرحلة الإنتقاليّة الإشتراكيّة و تطبّق معايير ا ديمقراطيّة برجوازيّة و تنأى بنفسها عن التقدّم غير المسبوق في تحرير الإنسانيّة المتمثّلة في الثورتان البلشفيّة و الصينيّة . عامة ، يبتلع المفهوم الثاني إبتلاعا تاما الحكم البرجوازي بأنّ المجتمعات الإشتراكيّة في الإتحاد السوفياتي و الصين في القرن العشرين كانت في الأساس بيروقراطيّة و تسلّطيّة و مبتورة بصفة قاتلة – و تنبذ ما يسمّيه بعض متبنّيها إطار " الحزب – الدولة " ، يعنى ضرورة إفتكاك السلطة و إرساء دكتاتوريّة البروليتاريا كمرحلة إنتقاليّة إلى الشيوعيّة ، و ضرورة قيادة حزب طليعي طوال كامل هذه السيرورة .

و في صفوف هؤلاء الأكاديميين و الملاحظين المثقّفين للحركة الشيوعيّة مثل دى مالو ، من الشائع أكثر أن تسيطر الأطروحة الخاطئة الثانية ، يعنى النبذ " الديمقراطي البرجوازي " للماركسيّة و إعادة تأويلها . لكن مثلما يشرح ذلك **بيان الحزب الشيوعي الثوري** ، تمثّل كلّ واحدة من هتين الإجابتين نوعا من وجه المرآة الشبيه بالوجه الآخر و من العادي رؤية خطأ يتحوّل إلى آخر ، و عامة تتحوّل الدغمائيّة إلى تحريفيّة فجّة و إشتراكية ديمقراطيّة . في خضمّ هذا المقال سنتفحّص أكثر كيف أنّ بعض الأخطاء السياسيّة و المنهجيّة القديمة جدّا صلب الحركة الماويّة قد خلقت أساسا لنوع من " الماويّة " يعتبر دى مالو أنّه إكتشفه و يمكن أن يوجد في تناغم مع " ماويّة " أكثر دغمائيّة لكن خاطئة هي الأخرى ، وقد وُجدت أيضا على المستوى العالمي .

ومجال يمكن فيه لدغمائيّة البعض أن تتزوّج الإشتراكيّة الديمقراطيّة لآخرين يمكن ملاحظتها في نزعة تقليص" الماويّة " إلى مجرّد وصفة لخوض حرب الشعب في بلد من بلدان ما يسمّى بالعالم الثالث و عدم المسك أو التقييم العلمي للمساهمات الكبرى لماو تسى تونغ ، و فهمه الأعمق للإشتراكيّة كمجتمع **إنتقالي** نحو الشيوعيّة و تحليله الرائد لخطر إعادة تركيز الرأسماليّة و قاعدة وجودها في المجتمع الإشتراكي و نضاله لمنع حصول ذلك . و كما يشير **بيان الحزب الشيوعي الثوري** ، حتّى في صفوف الذين يدافعون عن الثورة الثقافيّة الصينيّة ، أولئك الذين ينزعون نحو " وجهي المرآة " عامة " لا يملكون أي تحليل عميق أو جدّي للماذا كانت الثورة الثقافيّة ضروريّة و لماذا و بأي مبادئ و أهداف أطلقها و قادها " . هناك عدّة تنويعات من مزج الأخطاء يمكن أن تصدر عن " وجهي المرآة " . و في حال دى مالو، " الماويّة " يُعاد تشكيلها كحزمة ديمقراطيّة راديكاليّة إضافة إلى نظريّة حرب الشعب ، وهي أطروحة تتعارض بوضوح مع الشيوعيّة **الحقيقيّة** مثلما تقدّمت بها نوعيّا و رفعتها الماويّة إلى مستويات جديدة (أو لنكون أدقّ ، الماركسية – اللينينيّة – الماويّة) و مذّاك أعيدت صياغتها وتمّ التقدّم بها بـأكثر علميّة مع الخلاصة الجديدة لبوب أفاكيان . هتان هما الحزمتان المتنازعتان ، لبّ جدالنا مع دى مالو .

__الديمقراطيّة الراديكاليّة أم الشيوعيّة العلميّة :__

على عكس مقاربة دى مالو و آخرين كُثر مثله الذين ينظرون إلى الخلف نحو المثل العليا البرجوازيّة للقرن 18 معيدين بما في ذلك صياغة الشيوعيّة كديمقراطيّة راديكاليّة الذين يبحثون عن تغيير ثوري حقيقي يجب أن يشدّدوا على مقاربة علميّة تماما للمرحلة الأولى من الثورات الشيوعيّة ، ليس إنطلاقا من معايير و مفاهيم الشرعيّة الديمقراطيّة البرجوازيّة و إنّما من وجهة نظر التناقضات الحقيقيّة المواجهة في تغيير المجتمع و التقدّم نحو الشيوعيّة . إنّ المكاسب و النقائص في الممارسة و الفهم يجب رؤيتهما من هذا الأفق .

و الآن من الضروري و الممكن النظر في كلّ مدى المرحلة الأولى من الثورة الشيوعيّة و النظريّة التي قادتها و على وجه الضبط في ما يتصل ببلوغ هدف الشيوعيّة . و قد حدّد ماركس المشروع الشيوعي على النحو التالى :

" هذه الإشتراكية إعلان للثورة المستمرّة ، الدكتاتورية الطبقية للبروليتاريا كنقطة ضروريّة للقضاء على كلّ الإختلافات الطبقيّة ، و للقضاء على كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها و للقضاء على كلّ العلاقات الإجتماعيّة التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و للقضاء على كلّ الأفكار الناجمة عن علاقات الإنتاج هذه ".(كارل ماركس : " **صراع الطبقات فى فرنسا من 1848 إلى 1850**" ، ذكر فى الأعمال المختارة لماركس و إنجلز ، المجلّد 2 ، الصفحة 282). (9) و خلال الثورة الثقافيّة في الصين تبنّى الثوريّون الذين كان ماو يقودهم مصطلح " الكلّ الأربعة " لوصف المهام و المدى التاريخيّين للثورة البروليتاريّة .

و على هذا الأساس من التقييم العلميّ للمرحلة الأولى نسبة لبلوغ الكلّ الأربعة ، و كذلك مدمجين التجارب الجديدة و التقدّم الحاصل في التفكير في مجالات أخرى من النشاط الإنسانيّ كالعلم و الثقافة ، إرتقت الخلاصة الجديدة لأفاكيان بعلم الشيوعيّة إلى أبعد من الماويّة ، ممثّلة في آن معا إستمرارا و قطيعة مع ما أسميناه الماركسية - اللينينيّة - الماويّة . و قد وضع **بيان الحزب الشيوعي الثوري** الأمر كما يلى :

" تجسّد الخلاصة الجديدة لبوب أفاكيان مواصلة لقطيعة ماو مع ستالين لكن أيضا فى بعض جوانبه قطيعة أبعد بما تأثّر به ماو ذاته ، حتى وإن ثانويا ، من ما صار نمط التفكير فى الحركة الشيوعية فى ظلّ قيادة ستالين. "

و مثلما أعرب عن ذلك أفاكيان ، الشيوعيّة **فلسفة متكاملة و نظريّة سياسيّة** وهي **علم حيّ و نقديّ في تطوّر مستمرّ** . ليست المجموع الكمّي لأفكار الأفراد الذين لعبوا دورا قياديّا في تطوّرها (و ليس من الأكيد أنّ الأفكار و السياسات و التكتيكات الخاصة المتبنّات من قبلهم لم تتضمّن أخطاءا) . " الإيديولوجيا الشيوعيّة خلاصة لتطوّر و بالأخصّ لكلّ خطوات التطوّر النوعيّة التي طوّرتها النظريّة الشيوعيّة منذ إكتشافها على يد ماركس إلى الوقت الحاضر ". (10)

__المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ :__

كان ماو يرمز إلى الثورة ، ثورة شاملة تنتقل بالمجتمع إلى أبعد من كابوس الإستغلال الطبقي . و بغاية المضيّ قدما بهذه الثورة ، إحتاج ماو إلى القطيعة مع العناصر الهامة في الممارسة العمليّة و في المنهج و في تفكير الشيوعيّين ، خاصة تلك المكثّفة إلى درجة هامة في قيادة ستالين للاتّحاد السوفياتي عقب وفاة لينين . و لم يكن على ماو أن يقاتل تحريفيّة الإتّحاد السوفياتي التي إستولت على السلطة إثر وفاة ستالين فحسب ، بل كان عليه أن يقطع مع قوانين المجتمع الإشتراكي التي مكّنت من حدوث هذا الإنقلاب ، و تطوير وسائل و طرق منع حدوث ذلك . كما واجه سلسلة نضالات داخل الصين نفسها مع عديد القادة الآخرين للحزب الشيوعي الذين كانوا يقترحون سياسات و مقاربة شبيهتين بالسياسات و المقاربة اللتين صاغهما خروتشوف في الإتّحاد السوفياتي ، خطوطا كانت مثلما أوضح ذلك ماو ستدفع المجتمع إلى العودة إلى الرأسماليّة . و وفق **بيان الحزب الشيوعي الثوري** :

" إنّ التناقضات فى القاعدة الإقتصادية وفى البنية الفوقية وفى العلاقة بين البنية التحتيّة و البنية الفوقيّة للبلدان الإشتراكيّة ذاتها ، بالإضافة إلى التأثير والضغط و الهجمات العامة من قبل الدول الإمبرياليّة و الرجعيّة الباقية فى وقت معيّن ، تفرز إختلافات طبقيّة وصراع طبقيّ داخل البلد الإشتراكي ، وعن هذه التناقضات تنجرّ إمكانيّة مستمرّة لأن يقاد المجتمع على **إمّا** الطريق الإشتراكي **و إمّا** الطريق الرأسمالي ، وبشكل أكثر تحديدا ستفرز مرارا وتكرارا طبقة برجوازية طموحة ، ضمن المجتمع الإشتراكي نفسه ، ستجد أكثر تعبيراتها تركيزا بين الذين فى الحزب الشيوعي لا سيما فى أعلى مراتبه ،

الذين يتبنون خطوطا وسياسات تحريفية والذين بإسم الشيوعية عمليا يستسلمون للإمبرايلية ويعيدون تركيز الرأسمالية. " (11)

توصّل ماو إلى فهم علمي على مستوى أرقى للعلاقة بين التصدّى لمحاولات الإطاحة بسلطة البروليتاريا و مزيد تغيير المجتمع نحو المستقبل الشيوعي وترافق هذا الفهم النظريّ مع قيادة ماو ك " مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا " (12) ، كما عبّر عن ذلك الحزب الشيوعي الصيني . و كان إطلاقه الجريئ للثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى يستهدف الحيلولة دون إعادة تركيز الرأسماليّة و قطع خطوات إلى الأمام في التغيير الإشتراكي . و بما أنّ هذه المساهة هي مساهمته المركزيّة في ممارسة الثورة الشيوعيّة ، فإنّها إشتملت بالضرورة على كافة مظاهر علم الشيوعيّة الثوريّة . و بوجه خاص ، مع دفاع ماو بطريقة صحيحة عن ستالين على أنّه بروليتاري ثوري ، كان عليه كذلك أن يواجه و ينقد بحدّة جزءا هاما من منهج ستالين وكذلك سياسات ملموسة خلال مرحلة البناء الإشتراكي للاتّحاد السوفياتي . وناقدا ما أطلق عليه " ميتافيزيقا " ستالين ، شدّد ماو مجدّدا على الدور الديناميكي الواعي للشعب في السيرورة الثوريّة ، و إرتقى بفهم الماديّة الجدليّة إلى مستوى جديد تماما . و بالقيام بهذا مضى ماو تسى تونغ ضد جزء كبير من الأفكار المتجذّرة في تفكير الشيوعيّين في الصين و في العالم بأسره .

حتّى و ماو على قيد الحياة ، وُجدت رؤى متضاربة بخصوص إن كان يمثّل أم لا قطيعة مع التفكير الشيوعي السابق و إن كان ذلك كذلك ، فيما تتجسّد هذه القطيعة . و الآن ، حينما نعيد تفحّص الماويّة ، يكتسى هذا أهمّية أكبر . و قد وجد بعض الذين لم يروا أو لم يقبلوا بقطيعة ماو ، مرتئين بدلا من ذلك فقط أنّه واصل طريق لينين و ستالين . و قبل آخرون بشكل عام عن مضض أنّ ماو مستفيدا من التجربة التاريخيّة ، أجرى " تعديلات في المسار " ، تعديلات طفيفة . لم يدركوا (أو عارضوا) أنّ ماو إضطرّ كذلك إلى أن **يسير ضد** الأفكار و المناهج الهامة الخاطئة في صفوف الحركة الشيوعيّة السابقة و التي تمظهرت بالأخصّ في قيادة ستالين .

و الوجه الآخر للعملة كان يمثّله أولئك الذين كانوا يريدون صياغة " ماويّتهم " و إعادة تعليب دكتاتوريّة البروليتاريا و خاصة الدور القيادي لحزب شيوعي طليعي . كانت لدي هؤلاء الناس قراءة ديمقراطيّة برجوازيّة للثورة الثقافيّة لماو فقد كانوا يرتؤونها كهجوم على " نموذج " و " جهاز " " الحزب – الدولة " عوضا عن صراع حياة أو موت لإبقاء الصين ثوريّة و دكتاتوريّة البروليتاريا الحقيقيّة جدّا بقيادة حزب شيوعي حقيقي ، تمضى على الطريق الإشتراكي . و وُجد أناس و وُجدت قوى ، و خاصة و ليس حصرا في البلدان الإمبرياليّة ، إعترفوا بقطيعة ماو مع ستالين لكنّهم أوّلوا ذلك تأويلا إشتراكيّا ديمقراطيّا ، معتبرين عن خطأ أنّ ماو **يبتعد** عن دكتاتوريّة البروليتاريا و عن قيادة حزب شيوعي طليعي . و كانت هذه القوى تنزع نحو القبول بما تعارفت عليه البرجوازيّة من أنّ المشكل في الإتّحاد السوفياتي في ظلّ قيادة ستالين كان القيادة " المتسلّطة " و " اليد الحديديّة " (مفترى عليها عادة كدكتاتوريّة فرديّة) بينما بالرغم من أنّ ستالين قد عالج معالجة خاطئة ، أي نعم ، التناقضات في صفوف الشعب و قمع المعارضة و النقد ، فإنّ هذه الأخطاء مردّها بأكثر جوهريّة إلى عدم الفهم فهما صحيحا لديناميكيّة التناقضات في المجتمع الإشضتراكي . (13)

و وُجد الكثيرون الذين شاطروا واحدة أو أخرى من هذه التأويلات الغالطة لكنّهم كانوا يرون رئيسيّا في ماو نوعا من الشعبويّة من العالم الثالث و أنّ مساهمته تقتصر على إجاباته عن كيفيّة القيام بالثورة في البلدان المضطهَدَة من قبل الإمبرياليّة و تعرف ظروف تخلّف بفعل الإقطاعيّة ، و خاصة نظريّته عن حرب الشعب الطويلة الأمد . (I)

عندما جدّ الإنقلاب في الصين سنة 1976 ، رفاق ماو تسى تونغ الأبرز المعروفين ب " مجموعة / عصابة الأربعة " و ضمنهم أرملته تشانغ تشنغ (14) و القائد و المنظّر اللامع تشانغ تشن- تشياو (15) ، قام الحكّام الجدد التحريفيون بإيقافهم و شنّوا حملة تشويه لهم . و حسب أولئك الذين إستولوا على الصين ، كانت الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى جنونا إجراميّا . و تعرّضت الأطروحات الأساسيّة التي طوّرها ماو و خاصة أطروحته حول مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا إلى هجوم منظّم . و لم تكن غالبيّة الحركة الماويّة العالميّة حينها قادرة أو لم ترد أن تعالج معالجة علميّة ما كان يجرى في الصين . و حتّى في صفوف أولئك الذين لم يقبلوا المصالحة المفضوحة للقادة الجدد للصين مع الكتلة الإمبرياليّة التي تقودها الولايات المتحدة ، قليلون هم من قاتلوا الهجوم النظريّ الذى شنّه المستولون التحريفيّون و عادة ما عارضوا أو كانوا غير قادرين على التعرّف على محوريّة أو أهمّية أطروحة ماو حول مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا (II) . و بدلا من ذلك ، لجأ هؤلاء الناس إلى غربال حرب الشعب الطويلة الأمد أو إلى غيرها من المعايير الأخرى إحاديّة الجانب أو الخاطئة .

وفي تعارض صارخ مع كلّ هذا ، جاء الردّ المنهجيّ و الشامل الذى أنجزه بوب أفاكيان بخصوص ما الذى تمثّله الماويّة. فألّف كتابه " **المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ** " (16) بُعيد وفاة ماو والإنقلاب المضاد للثورة الموجّه ضد الأنصار الأقرب لماو و بالمعنى الأوسع ضد البروليتاريا و الجماهير الثوريّة . و يمنهج " **المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ** " التطويرات الرئيسيّة لماو لعلم الثورة في حقول الاقتصاد السياسي و الفلسفة و الإستراتيجيا و التكتيك و الحرب الثوريّة و الحزب و غيرها من الحقول . (17) و يولى أفاكيان عناية خاصة للمساهمة المركزيّة و الأهمّ لماو تسى تونغ ، أطروحته عن مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا و الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى المقادة على أساس هذا الفهم . و قد حلّل أفاكيان تحليلا عميقا أعمال ماو و كتابات القيادات الثوريّة في الصين التي ترجمها الحزب الصيني بقيادة ماو إلى عدّة لغات و وزّعها على نطاق واسع . و مع ذلك ، يجب أن نشير إلى أنّ قلّة من الناس هم الذين بحثوا حقّا عن البناء و بنوا على ما ورثه الثوريّون عبر العالم عن ماو و أقرب رفاقه . و سطحيّا جدّا أو خاطئا تماما في جزء كبير منه كان فهم الماويين للحقبة حيث كانت الحركة تواجه ما كان يعدّ إلى درجة كبيرة إمتحانها الأكبر ألا وهو خسارة الصين كحصن للثورة البروليتاريّة ، و إعادة تركيز الرأسماليّة فيها و الهجوم الإيديولوجي الشامل على الماويّة بقيادة ذات الحزب الشيوعي الصيني الذى بات بعدُ تحريفيّا .

كلّ هذا يفسّر إلى درجة غير قليلة عمق تداعى ما كان يبدو حركة ماويّة عالميّة واسعة و يفسّر كذلك جزئيّا لماذا إلى السنوات الأحدث ، ظهرت بعض المفاهيم الخاطئة للماويّة و تحوّلت إلى عراقيل في طريق إعادة إحياء المشروع الشيوعي .

و في جدالنا سنعود إلى هذه و غيرها من النقاشات السابقة في صفوف " الحركة الماويّة " بمعناها الأشمل . و ما يكشفه نقاش دى مالو هو أنّ جزءا هاما من فهم الماويّة ، الذى ينعكس في مقاله ، يتوافق بشكل هام مع تأويلات مختلفة للماويّة و يمكن أن نقول خاطئة ، من داخل الحركة الماويّة عينها .

<u>الصراع من أجل الدفاع عن ماو تسى تونغ و إرساء أرضيّة مزيد التقدّم :</u>

بوب أفاكيان هو الذى بادر و إنبرى لمواجهة خسارة البروليتاريا للسلطة في الصين سنة 1976 . و ليس صدفة أنّ في مسار مواجهة هذه الضرورة الكبرى للحركة الشيوعيّة ، قد لخّص أفاكيان مساهمات ماو و في الوقت نفسه أرسى أسس التقدّم اللاحق فى النظريّة الشيوعيّة و مثلما طرح ذلك أفاكيان ، " تعمّقه " في ماو و " توقيره " له خلال تلك الحقبة أرسيا أسس النقد الذى سيتطوّر بداية مع " **كسب العالم** ..." و يمثّل جزءا هاما من خلاصته الجديدة .

في الفترة التي كانت فيها الحركة الماويّة تترنّح جرّاء الإنقلاب في الصين و شرعت فيها في قطع خطوات نحو إعادة تجميع الشيوعيين الحقيقيين على نطاق العالم ، إندلعت خلافات جدّية حول ما إن كانت أطروحة لينين عن تقسيم العالم بين القوى الإمبريالية المتنازعة لا تزال صالحة و إن كانت هذه التناقضات ستؤدّى إلى حرب عالميّة ثالثة (18) ، أو إن كان يجب إعتبار الماويّة تطويرا " للكلّ الشامل " للماركسية – اللينينية – الماويّة ، رئيسيّا الماويّة " الذى يَفصل فصلا كبيرا الماويّة عن جسد علم الشيوعيّة الثوريّة (19) ، حول الإستيعاب – و الفهم الصحيح للقاعدة الماديّة للأمميّة البروليتاريّة و مبادئها (20) ، و حول العلاقة بين الدفاع عن الدولة الإشتراكيّة و التقدّم بالثورة العالميّة ، و حول تقييم " نظريّة العوالم الثلاثة " المقترحة من قبل الحزب الشيوعي الصيني و كذلك التجربة السابقة في الإتّحاد السوفياتي في نضاله ضد الحصار و العدوان الإمبرياليين ، إن كان صائبا ، و يجب مساندة نقد ماو لستالين في ما يتصل بالبناء الإشتراكي كما في ما يتّصل بالفلسفة و غيرها من المسائل الهامة الأخرى .

و الكثير من هذه الجدالات كان ينطوى على بذور الفهم الأكثر تقدّما و الذى سيتجلّى تماما مع الخلاصة الجديدة لأفاكيان و كذلك " وجهي المرآة " المذكورين أعلاه ، المعارضين للخلاصة الجديدة . و رغم أنّ أعمال أفاكيان قد أرست إلى درجة كبيرة أسس تشكّل الحركة الأمميّة الثوريّة سنة 1984 التي جمّعت من جديد قسما كبيرا من الماويين عبر العالم ، كانت الوحدة في صفوف الحركة الأمميّة الثوريّة و الحركة الماويّة بصفة أعمّ تشتمل كذلك على بعض هذه الخلافات . (21) ولسوء الحظّ يبدو أنّ دى مالو ليس مطّلعا على هذه النقاشات ، ومجموعة مقالاته الصادرة تحت عنوان " **ما هي الماويّة ؟** " تتّسم بخاصة بإفتقار لنصوص من داخل الحركة الماويّة ذاتها . و من المهمّ ملاحظة أنّ مساءلة دى مالو للماويّة لا تأتى من داخل الحركة الماويّة – إنّه لا يشاطرها نفس التاريخ السياسي و لا نفس النقاط المرجعيّة . و هذا ليس عيبا في المطلق . في الواقع يجب الترحيب برؤية من خارج هذه الحركة و يمكن أن تطرح آفاقا جديدة ، وهي مثمّنة أكثر

حينما تصدر عن الذين يناضلون ضد المجتمع الظالم . إلاّ أنّ نصّ دى مالو عن الماويّة يعوزه التطرّق إلى النقاشات التي جدّت في صفوف الحركة الماويّة عينها .

و الآن ، بعد عدّة عقود ، و الحركة الشيوعيّة في مفترق طرق ، يمكن أن يكون النقاش مثيرا ضمن إطار البحث عن تحديد أو العودة إلى ما يمثّل " الماويّة الواقعيّة " . و يعود هذا إلى كون علم الشيوعيّة قد تقدّم إلى أبعد من الماويّة معيدا تلخيص و صياغة ما هو عامة صائب وهو الرئيسي في الماويّة و في الوقت نفسه قاطعا مع العناصر الخاطئة الثانويّة (III) و مع الفهم الخاطئ أيضا الذى تطوّر و تعزّز .

الماويّة ذاتها تخضع إلى سيرورة إنقسام إلى إثنين ، بين الخلاصة الجديدة من ناحية و وجهي المرآة ، بالنظر إلى ما وصفناه أعلاه . و من الأكيد أنّه ضمن تفكير ماو تسى تونغ ، و أكثر ضمن تفكير الكثير ممّن يقولون إنّهم يتّبعون الطريق الذى خطّه ماو ، هناك عناصر تقترب أو تظهر كماويّة يعتبر دى مالو أنّه إكتشفها . لكن " الماويّة " التي لا تشمل و بالفعل تنبذ القطيعة اللازمة الآن ، ستتحوّل إلى نقيضها ، إلى مسخ لا ثوريّ لا يستطيع أن يحافظ على الطابع الثوري السابق للماويّة ، و أقلّ من ذلك لن يمثّل الشيوعيّة الثوريّة كما تقدّمت الآن .

لقد إنجذب قدر كبير من الشباب المعارض للنظام الإمبريالي العالمي إلى الإيديولوجيّات غير الثوريّة بما فيها المعادية للثورة كالإسلام أو إعتنقوا " الديمقراطية " ، التي يتزعّمها الإمبرياليّون . و مردّ هذا ليس إلى نقص مادي لبديل إشتراكي كما كان موجودا حين كانت الثورة مزدهرة في الصين في ظلّ قيادة ما ، فحسب ، بل أيضا ، و على الأقلّ جزئيّا ، إلى عدم قدرة الحركة الشيوعيّة على الصعيد العالمي على أن تثبت بصورة واضحة و صريحة رؤية و طريقا شيوعيّا ثوريّا تماما (22) يلبّى الحاجيات الراهنة إلى كلّ من تلخيص الماضي ومعالجة التغيّرات في العالم المعاصر. " ماويّة " الأمس، أو بالأحرى الظلّ الشاحب أو المشوّه للماويّة ، لا يمكن أن يمثّل الرؤية الثوريّة التي تحتاجها الشعوب .

هذا من جهة و من الجهة الأخرى ، تسمح الخلاصة الجديدة للشيوعيّة بأن تتحدّث بإقناع عن الماضي كما عن التجربة الحاليّة و أن ترشد إلى حلّ فعّال و مرغوب فيه لمشاكل المجتمع . و الخلاصة الجديدة لأفاكيان تشمل و **تعيد صياغة** كلّ من فهم أقوى و أكثر تطوّرا لما تقدّم به ماو و لكن أيضا قطيعة كبرى مع العناصر الثانويّة في فهم ماو و التي تذهب ضد تطويراته .

ماو (و ماركس) ك " ديمقراطيّين راديكاليّين " :

لنعد إلى كيفيّة تحديد دى مالو لهدف ماركس . إنّه يكتب أنّه " يجب محاكمة الماركسيّة إنطلاقا من نتائج مشروعها للمضيّ بالإنسانيّة على طريق المساواة و التعاون و التآزر و التضامن " . و من العسير قراءة هذه الكلمات و عدم التفكير مباشرة في شعار " حرّية ، مساواة ، أخوّة " الذى رفعته الثورة البرجوازيّة الفرنسيّة لسنة 1789 أو حتّى " الحرّية و العدالة للجميع " لقسم الولاء لراية الولايات المتحدة . إنّ أحلام التعاون و المساواة قديمة قدم الطبقات عينها لكن في هذه الحقبة ، ينتهى هذا الصنف من الشعارات و النداءات دائما بإستخدامه من قبل القوى **البرجوازيّة** ، في أفضل الأحوال ، لتجميع الجماهير ، بما في ذلك في النضال الثوري الذى تواجه فيه الغالبيّة العظمى من السكّان ، " الأمّة بأسرها " لوضعه بهذه العبارات ، عدوّا مشتركا كالنظام الإقطاعي في فرنسا ما قبل ثورة 1789 . و في الواقع ، معظم الدول الرجعيّة في عالم اليوم تشكو من وباء هذه الديمقراطيّة .

و في عدّة أماكن من مقاله ، يلحق دى مالو بالماوية عددا من التعميمات حول طبيعة التغيير الثوري و مهامه التي تعكس في الواقع فهمه الخاص للعالم و ليس فهم ماو أو أنصاره . تغيير العالم " من أجل تحسين " أو عبارات مشابهة توظّف بصفة متكرّرة لوصف كلّ من هدف دى مالو و مقياسه للقوى الثوريّة . مثلا ، يطرح دى مالو : " قامت الماويّة بشيء غير مسبوق في تاريخ الإنسانيّة : أجرت إعادة تقسيم صارمة لمداخيل الصين و ثرواتها ؛ و أعادت تنظيم شكل توليد الفائض في الاقتصاد في الصين و إستغلاله تنظيما جذريّا ؛ كلّ هذا من أجل تحسين ". أجل ، قام ماو بأشياء و يجدر بنا التذكير بها ، لا سيما اليوم و قدغدت الإفتراءات الخبيثة (و السخيفة صراحة) ضد ماو أمرا عاديّا في وسائل الإعلام الرئيسيّة في المجتمع و في الخطاب الليبرالي و الأكاديمي . لكن " كلّ هذا من أجل تحسين " ليست وجهة نظر صحيحة منها ننظر في المشروع الماركسي و لا هي المعيار الصحيح للحكم على النجاحات أو الإخفاقات في الماويّة . لم يطرح ماو على نفسه في المصاف الأوّل " تغيير العالم من أجل تحسينه " عبر إعادة توزيع الدخل و التخطيط الاجتماعي . كان مشروعه هو التغيير الجذري للمجتمع و الشعب كجزء من سيرورة عالميّة لبلوغ الشيوعيّة .

و في أجزاء أخرى من مقاله ، يقترب تحديد دى مالو لمفهوم الماويّة (و الماركسيّة) من أن يعكس مهمّة و هدف بلوغ مجتمع خالى من الطبقات ، و لوضع ذلك بصورة أكثر علميّة ، " تجاوز الكلّ الأربعة " كما تطرّقنا إلى ذلك في هذا المقال . لكن بالخلط بين الشيوعيّة و توسيع الديمقراطية الراديكاليّة ، يقتلع دى مالو هدف بلوغ مجتمع خالى من الطبقات و في كلّ الحالات يفصل هذا الهدف عن المسار الحقيقي الذى يمكن أن يمضي فيه ويحتاج أن يمضي فيه المجتمع . إنّه " ماركسية " مفقّرة تحافظ على دى مالو أسيرا لفهم مبتور و مشوّه للواقع الاجتماعي . و عندما يتمّ التخلّص من هدف الشيوعيّة ، عن وعي أو عن غير وعي ، على أنّه غير صالح أو غير ممكن بلوغه ، يظلّ المرء ، في أفضل الأحوال يبحث عن طريقة أو أخرى لتغيير المجتمع " من أجل تحسين " دون تغيير الهيكلة الجوهريّة . و حريّ بنا أن نشير إلى أنّ ضمن مجموعة مقالاته " **ما هي الماويّة** ؟ " ، أدمج مقالا لبول سوزى يعالج أهمّية تحقيق إصلاحات في غياب إمكانيّة حقيقيّة للتغيير الثوري . وهذا يذكّرنا بنظريّة كان هواي نيوتن ، قائد حزب الفهود السود في الولايات المتحدة ، يدافع عنها في ستّينات القرن الماضي ألا وهي إستراتيجيا " البقاء على قيد الحياة إلى أن تأتى الثورة " .(بول سويزي ، " **ما هي الماويّة** ؟ " ضمن برنار دى مالو " **ما هي الماويّة ؟ و بحوث أخرى** ").

لدى مالو الحقّ في قول إنّ كلاًّ من ماركس و ماو إنطلقا في حياتهما السياسيّة ك " ديمقراطيّين راديكاليّين " رغم أنّ الظروف و الجوّ السياسي لأواسط القرن 19 في أوروبا و بدايات القرن العشرين في الصين كانت بالملموس متباينة . و التحريفيّون الذين إستولوا على السلطة في الصين عقب وفاة ماو في 1976 كانوا يشدّدون على جذور ماركس و إنجلز في الحركة الديمقراطيّة في ألمانيا ، في محاولة منهم لدحض الثوريين في الصين و أطروحة ماو حول " الديمقراطيّين البرجوازيين الذين تحوّلوا إلى أتباع للطريق الرأسمالي " التي نحلّل لاحقا في هذا المقال . لقد شاهد كلّ من ماركس و ماو عالما مليئا باللامساواة و الظلم و بحثا عن طريق للقضاء عليهما . و بهذا المعنى لم يكونا مختلفين جدّا عن الكثيرين من معاصريهم أو عن الذين نشاهدهم يناضلون على عدّة جبهات في عالم اليوم . و مع ذلك ، الجوهري هو العكس : كان ماركس قادرا في الحقل النظري على إحداث **قطيعة راديكاليّة** مع إطار الديمقراطيّة البرجوازيّة الذى كانت أسيرة له الحركة التقدّميّة و الثوريّة عصرذاك . و هذه القطيعة الراديكاليّة في التفكير و الفهم العلمي للأهداف و الوسائل هي التي أرست أسس موجة قرن نضال ثوري كانت غايته عن وعي إحداث التغييرات في المجتمع إستطاع ماركس توقّعها في خطوطها العريضة .

و لم يمسك دى مالو الأهمّية الحيويّة للخطوات المتقدّمة لماركس و قطيعته الجذريّة مع مفكّري التنوير و مع منظّرين طليعيّين للثورات الديمقراطيّة البرجوازيّة مثل روسو و لوك و كانط (IV). و تتركّز هذه القطيعة و يتركّز الطابع العلمي الخاص للشيوعيّة في المقتطف من ماركس الذى مرّ بنا ذكره حول تجاوز " الكلّ الأربعة " الذى يصف محتوى و هدف الثورة الشيوعية و الإنتقال الإشتراكي إلى الشيوعيّة و الإختلافات مع الإشتراكية الطوباويّة و في الأخير مع الإصلاحيّة .

و تتطلّب الثورة الشيوعيّة التغيير الجذري للناس و لتفكيرهم و العلاقات و المؤسسات الإقتصاديّة و السياسيّة و الإجتماعيّة – ليس بإتّجاه الديمقراطيّة الراديكاليّة و لا لتخفيف الصراع بين جانبي الإستقطاب . و إنّما لتجاوز كافة أشكال الإستغلال و إلغاء الطبقات ، الهدف الشيوعي .

و كجزء من تخطّى " الكلّ الأربعة " و النضال من أجل الشيوعيّة ، يمثّل النضال الشرس ضد كافة أشكال اللامساواة مظهرا حيويّا إلاّ أنّه ليس الأفق الذى يحدّده . و بالضبط ، في سيرورة إجتثاث و تغيير القاعدة الماديّة المولّدة لمثل هذه اللامساواة و هذه التناقضات الطبقيّة العدائيّة سيتمّ تجاوز إختلاف أفق المساواة .(23)

كم هو أكثر ثوريّة فهم ماركس مقارنة برؤية " الديمقراطيّة الراديكاليّة " التي يلصقها به دى مالو !

و مرّة أخرى ، علينا أن نعود إلى تأكيد ماركس على أنّ " دكتاتوريّة البروليتاريا " مرحلة إنتقاليّة ضروريّة و تحريريّة نحو إلغاء كافة الطبقات و نحو مجتمع خالى من الطبقات (V) . و من وجهة النظر هذه نحتاج إلى رؤية الفهم النظري لماو تسى تونغ و ممارسته الثوريّة طوال حياته . و بالفعل مثلما أجلينا ، المساهمة المركزيّة لماو تخصّ تشخيص مختلف تناقضات هذه المرحلة الإنتقاليّة (الإشتراكيّة و دكتاتوريّة البروليتاريا) و الصراع و إيجاد الوسائل الثوريّة للتقدّم صوب الشيوعيّة . كلّ من الهدف (المجتمع الشيوعي الخالى من الطبقات) و الوسائل (دكتاتوريّة البروليتاريا) يتجاوزون حدود " الديمقراطيّة الراديكاليّة " التي يريد دى مالو أن يحصر فيها ماركس و كذلك ماو . مفهوم دكتاتوريّة البروليتاريا مناهض للأطروحة المركزيّة لدى مالو " الديمقراطيّة الراديكاليّة " التي يبنى عليها جوهريّا مقاله . و عندما يتمّ إخراج

هذه الأهداف و هذه الوسائل من إطارها ، لن يبقى هناك خيار آخر عدا التمسّك بـ**معايير** أخرى كالتى يتقدّم بها دى مالو حول تحسين توزيع الثروة إلخ .

من الأكيد أنّ ماو شأنه شأن ماركس إنطلق في نشاطه السياسي كديمقراطيّ راديكالي . لكن من جديد النقطة الجوهريّة هي عكس من يشدّد عليه دى مالو . و **تجاوز** ماو " الديمقراطية الراديكاليّة " التي كانت سائدة في تفسير الشباب الثوري في الصين في العقود الأولى من القرن العشرين . و سمح له فهمه - وتمكّنه من علم الثورة الذى كان معروفا حينها كماركسية - لينينيّة - بوضع الثورة في موضع صحيح لتحرير الصين من الإمبرياليّة و شبه الإقطاعيّة كجزء من المكاسب العظيمة الأهمّية بالنسبة للثورة البروليتاريّة العالميّة . و غالبيّة القادة الآخرين للحزب الشيوعي الصيني لم شاطروه تماما هذه الرؤية و هذا الفهم و لهذا صلة كبرى بالإنقلاب على الطريق الذى خطّه ماو ، بُعيد وفاته .

الخلط بين الشيوعيّة و الديمقراطيّة :

لنقيّم مجدّدا خاتمة دى مالو : " نظرا للخيط الديمقراطي **الراديكالي** الذى يمضى من ماركس إلى ماو ، أفضل ما تستطيع الماويّة فعله هو الإلتزام بوعد الديمقراطيّة الراديكاليّة ". في الواقع ، محاججة دى مالو و وصفه لماو منسجم مع هذا الإستنتاج .

تمضى أطروحة دى مالو عن " الديمقراطية الراديكاليّة " مباشرة ضد واحدة من المساهمات الجوهريّة لماو و أنصاره في ما يتّصل بالعلاقة بين الثورة الديمقراطيّة و التقدّم التالى للثورة الإشتراكيّة . و بوجه الخصوص ، شدّد الماويّون في الصين على واقع أنّ " الديمقراطيين البرجوازيين تحوّلوا إلى أتباع للطريق الرأسمالي " (24) و بهذا يقصدون أنّ العديد من أعلى قادة الحزب الشيوعي الذين ناضلوا بقوّة لتحرير الصين من الإمبرياليّة و شبه الإقطاعيّة طوال السنوات الطوال للمرحلة الأولى من الثورة الصينيّة لم يكونوا يشاطرون في الأساس هدف ماو و فهمه و خطّه لكون الثورة تحتاج إلى التطوّر إلى ثورة إشتراكيّة هدفها الأسمى هو الشيوعيّة على النطاق العالمي . و بعكس هؤلاء الناس ، كان البعض من الذين قادوا بجرئة الثورة في مرحلتها الأولى ، موافقين على بعض إجراءات الثورة الإشتراكيّة إلاّ أنّهم في كلّ مرّة كانوا يقاومون أكثر المضيّ أبعد فأبعد بإتّجاه التحويل الراديكالي للمجتمع و تجاوز " الكلّ الأربعة " – و إتّبعوا في نهاية المطاف الطريق الرأسمالي و عارضوا الثورة الإشتراكية . و بالرغم من كون هذه السيرورة من " تحوّل الديمقراطيّين البرجوازيّين إلى أتباع للطريق الرأسمالي " لا تشمل كامل ظاهرة إعادة تركيز الرأسماليّة في الصين ، الظاهرة التي تمتدّ جذورها في التناقضات الكامنة في المجتمع الإشتراكي ، فهي أجل تشرح إلى درجة معيّنة تاريخ و تشكّل القيادات العامة المناهضة للحزب . هذا من جهة و من الجهة الثانية ، يفهم دى مالو هذا على نحو مختلف بما فيه الكفاية . هو لا يغفل أو يعارض فحسب أطروحة ماو في هذا المجال بل كما سنرى لاحقا ، يحاول أيضا أن يعامل أتباع الطريق الرأسمالي في الصين من مثل شو آن لاي على أنّهم " رفاق مقرّبون " من ماو .

و تتقاسم أطروحة الديمقراطية الراديكالية لدى مالو الكثير من الحدود الواقعيّة جدّا التي كانت لدى كافة الحركة الشيوعيّة في الفهم الصحيح للشيوعيّة كـ**تجاوز** لكافة المجتمع الطبقي ، و لكلّ اشكال هيمنة طبقة على أخرى (VI) . " الديمقراطيّة " ليست إستثناءا : كلّ طبقة مهيمنة لها شكل ديمقراطي يتناسب أكثر مع نظامها الاجتماعي . و الديمقراطيّة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا مغايرة نوعيّا مقارنة بالديمقراطيّة البرجوازيّة للمجتمعات الرأسماليّة . توفّر دكتاتوريّة البروليتاريا و تضمن الحقوق الأساسيّة للمضطهَدين سابقا و تعوّل على الجماهير العريضة في ممارسة السلطة . و أهمّ من ذلك حتّى ، هذا الطراز من الديمقراطية ، على ثرائه الأكبر و النوعي ، ليس هدفا في حدّ ذاته و إنّما هو **يخدم** مواصلة النضال و مواصلة التغيير للحصول على إلغاء " الكلّ الأربعة " لماركس ، بما يخلق الظروف الماديّة و الإيديولوجية لـ " إضمحلال الدولة "(مستخدمين كلمات ماركس) بمعيّة الديمقراطية البروليتاريّة أيضا .

نكرّر ، كان هذا نقطة غاية في الأهمّية في الصراع و النقاش خلال الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى التي أطلقها ماو في الصين . و على سبيل المثال ، أعار الثوريّون في الصين إنتباها كبيرا لـ " نقد الحقّ البرجوازي " و لإيديولوجيا الحقّ البرجوازي . و " الحقّ البرجوازي " مفهوم نحته ماركس في " **نقد برنامج غوتا** " (25) و هذا يحيل خاصة على أنّه ، في ظلّ الإشتراكيّة ، سيكون توزيع الثروة حسب مبدأ " لكلّ حسب عمله " و بعدُ لن يكون ممكنا تطبيق المبدأ الشيوعي " لكلّ حسب حاجياته ". و يتضمّن هذا المبدأ ، " لكلّ حسب عمله " ، إجراءا مساواتيّا لكنّه يحجب اللامساواة الكامنة – الإختلافات في القدرات و في الحاجيات . و يشمل الحقّ البرجوازي مثل هذه العلاقات للمساواة الشكليّة البرجوازيّة التي تورّثها إلى الإشتراكية ؛ و تمظهراته و تعبيراته الإيديولوجيّة في الدولة و السياسة . و قد إعترف الثوريّون في الصين بأنّ

الحقّ البرجوازي لم يكن من الممكن إلغاؤه كلّيا إلى أن يصبح من الممكن الخروج تماما من مجال الإنتاج السلعي و التبادل السلعي عبر المال – يعنى ، كإنتاج للتغيّرات الماديّة و الإيديولوجيّة لكافة المرحلة الإنتقاليّة الإشتراكيّة التي يمكن فهمها فقط كسيرورة إنتقاليّة عالميّة من عصر البرجوازيّة إلى العصر الشيوعي . لكن المسألة هي : يجب أن يُنظر إلى المجتمع الإشتراكي ليس كهدف في حدّ ذاته و إنّما تحديدا كمرحلة إنتقاليّة نحو المجتمع الشيوعي المستقبلي .

لقد فهم ماو و الثوريّون في الصين أنّ الإنتاج السلعي و الحقّ البرجوازي سيظلاّن قائمين بدرجات متباينة خلال المرحلة الإنتقاليّة الإشتراكية ، لكنّهم ، و هذا الأهمّ ، أدركوا أنّ ندوب ولادة الإشتراكيّة من رحم المجتمع الرأسمالي ، بالرغم من أنّ الثورة تقلّصها و تحتصرها ، لا تزال توفّر الأرضيّة الماديّة و الإيديولوجيّة لولادة عناصر رأسماليّة جديدة ستسعى بطريق الحتم إلى إلحاق الهزيمة بالنظام الإشتراكي و إعادة تركيز الرأسماليّة . و بالفعل ، كان الثوريّون في الصين واعين بأنّ محورا غاية في الأهمّية في الصراع الطبقي سيكون بالذات محاصرة الحقّ البرجوازي أم السماح بتوسيع حدوده . و مثّلت هذه جبهة هامة من المعركة بين ماو و أنصاره من جهة و أتباع الطريق الرأسمالي الذين إستولوا على السلطة إثر وفاة ماو من الجهة الأخرى .

و الديمقراطية ، بما في ذلك الديمقراطيّة **الراديكاليّة** كما يحبّ دى مالو التشديد عليها ، مرتبطة كلّيا بالتبادل السلعي ، " التبادل المتساوى للقيم المتساوية " الذى هو كامن في ذات أحشاء نظام الإنتاج الرأسمالي و كذلك الإيديولوجيا (الديمقراطيّة البرجوازيّة) التي تتناسب و نظام الإنتاج و التبادل هذا .

لقد إقترح أوّل من إقترح مفهوم الديمقراطية الراديكاليّة و المساواة المطلقة المفكّرون البرجوازيّون الراديكاليّون في القرن 18 ، من جيفرسن إلى روبسبيار . الديمقراطية الراديكاليّة مثل أعلى برجوازي لا يمكن تحقيقه ضمن إقتصاد و مجتمع يهيمن عليهما إنتاج و تبادل السلع – وهي تتناسب أكثر مع موقع البرجوازيّة الصغيرة . (VII) و حتّى النضالات ضد اللامساواة ، مهما كانت عادلة و ضروريّة ، لن تقدر على الهروب في حدّ ذاتها من ما سمّاه ماركس " الأفق الضيّق للحقّ البرجوازي " ؛ ستظلّ غير قادرة على رؤية أبعد من الإنتاج و التبادل السلعي و الأساس المادي للمجتمع الطبقي . و هذا الضرب من التفكير معمّم جدّا في المجتمع البرجوازي و مقبول جدّا في خطاب عصرنا بحيث أنّ المعارضين المصمّمين للظلم في العالم المعاصر واقعين في حدوده و لا يعملون حقّا على القيام بالقطيعة اللازمة .

و يجدر بنا أن نذكّر بملاحظة إنجلز بأنّه قبل إنقسام المجتمع إلى طبقات و ظهور الدولة " لم يكن يوجد بعدُ إختلاف بين الحقوق و الواجبات " (26) . إنّ تعويض ثنائيّة " حقوق و واجبات " بالإجتماع الحرّ و الطوعي للبشر إختلاف مميّز بين حتّى الديمقراطيّة التي ستوجد في مجتمع إشتراكي حقيقي و تحرريّ و المجتمع الشيوعي المستقبلي الذى سيكون قد تخطّى تخطّيا تاما لأفق الحقّ البرجوازي و جميع الإنقسامات الطبقيّة .

و هذا لا يعنى أنّ الديمقراطيّين الراديكاليّين مثل دى مالو الذى يعدّ واحدا منهم ، يبحثون عن تحسين النظام الرأسمالي للتبادل أو أنّهم عن وعي يحترمون حدود الرأسماليّة و بقاءها (VIII) المشكل هو أنّ دى مالو يدافع عن أنّ مثل هذه القطيعة ليست ضروريّة و عوضا عنها يطرح أنّ الماويّة ينبغي أن تعيد تحديد نفسها لتتماشى بشكل مضمون مع هذا المعتبر مبدأ الديمقراطيّة الراديكاليّة .

خارج نطاق هذا المقال أن نناقش بعمق العلاقة بين الديمقراطيّة و تجاوز كافة الإنقسامات الطبقيّة . هنا ، كذلك ، من الضروري دراسة الأعمال الهامة التي ألّفها بوب أفاكيان بصدد هذا الجانب ، بداية من بوجه خاص كتابه **" الديمقراطية : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟ "** المنشور سنة 1986 . ففي هذا العمل و في عدّة أعمال أخرى خلال عدّة عقود ماضية ، تفحّص أفاكيان كيف أنّه حتّى في صفوف الحركة الشيوعيّة ، بصفة متكرّرة جدّا ، وقع الخلط بين الأهداف الشيوعيّة و النضال من أجل " تحسين " الديمقراطيّة و قلّصت هذه الأهداف إلى تلك الديمقراطية . و شملت مؤلّفات أفاكيان و تنظيراته نقدا و فهما علميّا للديمقراطية البرجوازية كما تمارس الآن ، و جدالات قديمة و حديثة حول الفلسفة السياسيّة لروسو و لوك و جيفرسسون و منظّرون آخرون لديمقراطية القرن 18 و معاصرون ، و كذلك فهما أشمل و تنظيرا علميّا للديمقراطيّة البروليتارية في المجتمع الإشتراكي ، و تقييما نقديّا للمجتمعات الإشتراكيّة الماضية في هذا المضمار ، و إضمحلالها النهائي عند الإنتقال العالمي إلى الشيوعيّة . و كون هذه ليست مجرّد نزاعات أكاديميّة يمكن ملاحظته بوضوح في النيبال حيث أعادت القيادة الماويّة تحديد أهداف النضال بعيدا عن الإشتراكيّة و الشيوعيّة و عوّضتها بإرساء جمهوريّة ديمقراطيّة برجوازية . (27)

تجاهل دروس الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى :

نظرا للجهد المبذول لتحويل ماو إلى ديمقراطي راديكالي ، لا يفاجئنا أنّه ، شأنه شأن جزء كبير من الحركة الماويّة على النطاق العالمي و تاريخيّا ، لم يعالج حقّا العمل النظري لماو حول " الديمقراطيّين البرجوازيين الذين يتحوّلون إلى أتباع للطريق الرأسمالي " و حول " الحقّ البرجوازي " و لا يفهم حقّا التجربة الثريّة للثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى على هذا الضوء . و هذا منسجم مع إعتقاد دى مالو المعبّر عنه في مقاله لسنة 1969 " يمثّل بداية نهاية العهد الماوي " ، قاطعا هكذا الجزء النهائي من الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى التي لم تكن تجربة تاريخيّة جريئة فحسب بل كانت كذلك مرحلة إستطاع فيها الثوريّون في الصين صياغة تعبير نظريّ أكمل و أكثر علميّة لجميع تجربة الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى . و مجدّدا ، ليس دى مالو وحده في إرتكاب خطإ في تقسيم الحقبات التاريخيّة للثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى . لقد رأينا في السنوات الحديثة أنّ " إعادة تأويل " ألان باديو للثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى يستند أيضا إلى بناء مشابه . (28) و " الوجه الآخر للمرآة " ، النسخة الدغمائيّة – الدينيّة للماويّة ، عرف هو الآخر صعوبات في فهم الثورة الثقافيّة إثر سقوط لين بياو في 1969 .

ويعتبر دى مالو ، مثله في ذلك مثل عديد الآخرين الذين ينظرون إلى الأشياء من منظور ديمقراطي – راديكالي ، المرحلة الأولى من الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى ، بتمرّداتها الجماهيريّة و النقد الجماهيري ، كجوهر الثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى . و بالفعل ، لم تكن هذه الفترة الأولى أكثر من مرحلة تمهيديّة لسيرورة ثوريّة معقّدة تطوّرت و تعمّقت مع توسّع النهوض من الشباب الثوري إلى العمّال و الفلاحين ضد أتباع الطريق الرأسمالي في الحزب و الدولة الذين كانوا يسيرون بالصين على نفس الطريق التحريفي السوفياتي . و جرت المراوحة بين فترات نهوض و فترات تعزيز للأشكال الجديدة للسلطة السياسيّة و لإرساء مناهج و ممارسات جديدة في جميع مجالات المجتمع . و ضمن التغييرات الراديكاليّة التي شوهدت بعد سنة 1969 ، هناك إنشاء مؤسّسات جديدة مثل اللجان الثوريّة التي خوّلت للجماهير ممارسة السلطة في ظلّ قيادة الحزب و التي جرى إدماجها ضمن هياكل الدولة الإشتراكية .

و من خلال هذه السيرورة ، إزدهرت بصفة عظيمة الماركسيّة – اللينينيّة – الماويّة ، مع تعميق ماو و المقرّبين منه فهمهم الخاص لقوانين الثورة الإشتراكيّة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا و مواجهة مشاكل جديدة و معقّدة و كذلك إشتغلوا ليل نهار لإعداد شيوعيين جددا و العودة إلى كسب و إعادة صقل آخرين سقطوا في التحريفيّة . و بعيدا عن أن تكون في مسار تنازلي بعد 1969 كما يعتقد دى مالو ، تقدّمت الثورة الثقافيّة و واجهت صعوبات و رهانات جديدة ، و صقلت فهما نظريّا أعمق حتّى ، إلى وفاة ماو تسى تونغ سنة 1976 . و على سبيل المثال ، فقط بعد 1969 ، أضحى الفهم واضحا لكون " أتباع الطريق الرأسمالي يمثّلون علاقات الإنتاج الرأسماليّة " بينما في السابق كانوا يقدّمون على أنّهم أحيانا رئيسيّا أو ببساطة كإستسلاميين و خونة إلخ . لم تكن الثورة تستهدف ببساطة " التحريفيين " بل برجوازيّة جديدة ، أولئك في مواقع المسؤوليّات العليا في الحزب و الدولة السائرين في الطريق الرأسمالي . قد تبدو مسألة متى حدث المنعرج الحيوي في الصين جدالا عقيما ، إلاّ أنّ المحاججة بشأن التاريخ تعكس فهما مختلفا جدّا .

و صيغة دى مالو ل " بداية نهاية العهد الماوي " ستفضى به هو و آخرين إلى **عدم** دراسة دروس الثورة الثقافيّة كما إرتآها ماو و أنصاره في تلك الحقبة . من منظور مفيد لعدّة عقود بعد ذلك و على ضوء الخلاصة الجديدة لأفاكيان ، من الضروري جدّا نهائيّا ، النظر إلى الثورة الثقافيّة نظرة أخرى ، نظرة أعمق و إستخلاص الإستنتاجات المناسبة . لكن هذا ليس ما يفعله دى مالو – فهو لم يستوعب فهم ماو و لم يتقدّم أبعد منه .

و يتكشّف الفهم السطحي و الخاطئ لدى مالو للثورة الثقافيّة في وصفه لشو آن لاي و تشو دا ك" رفاق مقرّبين " لماو . ففي الواقع ، صار تشو آن لاي ممثّلا لقادة الحزب الذين عارضوا أكثر فأكثر تعميق الثورة . (29) و مثلما ألمحت إلى ذلك أعلاه ، يتجاهل دى مالو أولئك القادة الشيوعيين مثل تشانغ تشن- تشياو و تشانغ تشنغ ، الذين قادوا في الواقع الثورة الثقافيّة على قاعدة خطّ ماو تسى تونغ . و ليس صدفة أنّ تشانغ تشن – تشياو و تشانغ تشنغ تعرّضا لحملة تشويه كجزء من " مجموعة / عصابة الأربعة " و جرى إيقافهم عقب الثورة المضادة و توفّيا في السجن بينما يُرفع الحكّام الجدد الرأسماليون إرث شو آن لاي إلى السماء .

و كما أشار ماو ، الكثير من أتباع الطريق الرأسمالي إبتدأوا كديمقراطيين برجوازيين و برجوازيين صغار و لم يقطعوا قط راديكاليّا مع ذلك ليتحوّلوا إيديولوجيّا إلى شيوعيين . و الكثير من أعضاء الحزب الشيوعي هؤلاء لم يرغبوا في أن

تتقدّم الثورة إلى المرحلة الإشتراكيّة أو لم يرغبوا في رؤية مزيد تعميق هذه المرحلة من الثورة . و حسب ما أشار إليه تشانغ تشن – تشياو ، كانوا ينظرون إلى الثورة كقطار " هنا محطّتي و عليّ أن أغادر " . لم يريدوا أن تستمرّ الثورة في إجتثاث جذور النظام الرأسمالي القديم كالحقّ البرجوازي . و بدلا من ذلك ، تحوّلت هذه القوى تقريبا إلى الممثّلين الواعين لذات علاقات الإنتاج الرأسماليّة التي كانت الثورة لا تزال في حاجة إلى تخطّيها . هذه ديناميكيّة تحريفيّة مختلفة عن الإشتراكية في نظر ماو و دى مالو يلصقها به على أنّ كلّ مرحلة من الثورة تعدّ للمرحلة التالية – كما لو أنّ ذلك ممكن الحدوث بشكل تطوّري نقي بلا صراع حاد . و نظرة ماو مغايرة كذلك للنظريّة الشائعة عن " البيروقراطيّة " التي يردّدها أيضا دى مالو وهي نظريّة لا تنظر في الأساس الاقتصادي لأتباع الطريق الرأسمالي .

و على الرغم من أنّ ماو بلا شكّ كان واعيا للتغيرات الهائلة التي أحدثتها الثورة بالنسبة للجماهير الشعبيّة ، فإنّه إتّجه نحو التشديد على النقطة **المقابلة لها** : النضال الطويل الأمد و العسير لجعل الصين تتقدّم على الطريق الإشتراكي نحو مستقبل شيوعي . و أكّد ماو على أنّه " لو وصل أناس مثل لين بياو إلى السلطة ، سيكون من اليسير عليهم إعادة تركيز النظام الرأسمالي " . كان ماو جدّيا و ثاقب النظر بشأن الصعوبات التي تواجهها الثورة و حذّر المرّة تلو المرّة من أنّ خطر إعادة تركيز الرأسماليّة خطر حقيقي . و لسوء الحظّ ، تاريخ الصين بعد وفاة ماو – الإنقلاب المضاد للثورة و السرعة الإنتحاريّة التي وقعت بها إعادة تركيز الرأسماليّة و معها كلّ فظائع الإستغلال – بيّنت مدى بعد نظر ماو .

و لا نودّ أن ننقص من قيمة ما حقّقه ماو و لا من كيف أنّ هذا عاد بالفائدة على الجماهير الشعبيّة . بيد أنّه يجب أن نكون واضحين و صارمين في الدفاع عن أنّ ماو إستطاع إنجاز ذلك كجزء من المشروع الشيوعي الثوري و ليس تعويضا له برؤية مختلفة و معايير مختلفة هي في الواقع غير محبوبة جدّا ، من الديمقراطية الراديكاليّة و إعادة توزيع الثروة و " التغيير للتحسين " (IX).

من أوهام " الديمقراطيّة الراديكاليّة " الإعتقاد في أنّه يمكن أن يوجد تقليص تدريجي للفروقات في الثروة ، و حسّ أكبر فأكبر من الجماعيّة و الأخويّة و تغيّرات متصاعدة " للتحسين " دون مواجهة المهمّة الحيويّة لإجتثاث الرأسماليّة ، و إنتاج السلع و المجتمع الطبقي عموما ، و القيام بذلك بالوسيلة الوحيدة التي تمكّن من فعل ذلك : **دكتاتوريّة البروليتاريا** . وبالفعل ، هدف الديمقراطية الراديكاليّة ذاتها – الجماعيّة و الأخويّة و الديمقراطيّة بلا طبقات ، دون التثوير التام لكافة العلاقات الإجتماعيّة – في حدّ ذاته وهم . و رغم أنّ التاريخ في العالم قاطبة يبيّن العكس ، و سيبيّنه المرّة تلو المرّة ، و التجربة ذاتها لن تفجّر فقّاعة الأوهام هذه . و يعزى هذا إلى أنّ تلك الأوهام لا تنبع من خطأ في المعلومات المرئيّة والسمعيّة بل في وجهة النظر الطبقيّة ل" المثقّف الديمقراطي " (أو إن أراد دى مالو ذلك ، " الديمقراطية الراديكاليّة ").

<u>الثورة الوطنيّة الديمقراطيّة :</u>

في هذا المقال ، ليس من الضروري و ليس بوسعنا أن نحلّل بعمق تعاليم ماو الهامة جدّا بشأن ما أطلق عليه ثورة الديمقراطيّة الجديدة . و مع ذلك ، هناك بضعة نقاط أساسيّة من اللازم فهمها و فهمها بطريقة مختلفة عن تلك التي يمثّلها دى مالو .

لقد طرح ماو أنّ في الصين الثورة تحتاج إلى المرور بمرحلتين ، الأولى هي " الديمقراطيّة الجديدة " الموجّهة ضد الإمبريالية الأجنبيّة و الإقطاعيّة و ماسمّاه ب " الرأسماليّة البيروقراطية " وهي نوع من الرأماليّة المرتبطة وثيق الإرتباط بالإمبرياليّة و الإقطاعيّة . و قد دافع ماو عن أنّ البروليتاريا الممثّلة بحزبها الشيوعي الطليعي بمقدورها أن تقود الجماهيري العريضة ، خاصة الفلاّحين المضطهَدين في إنجاز الثورة . و يمكننا أن نرى الأهمّية المستمرّة للخطوات المتقدّمة لماو ، حتّى الآن ، حيث تظلّ مهمّة كنس الهيمنة الإمبريالية مهمّة مركزيّة بالنسبة للثورة في الجزء الأعظم من العالم و الكثير من خصوصيّات المجتمع لا تزال تتميّز بدوائر الإقطاعية و كافة أنظمة الإستغلال ما قبل الرأسماليّة .

لكن حتّى لمّا يكون دى مالو على حقّ في الإشارة إلى أهمّية أطروحة ماو حول الديمقراطيّة الجديدة ، فهو يبيّن الفهم الخاطئ حقّا لهذا عندما يؤكّد أنّ واحدة من الخصوصيّات المميّزة للماويّة هي " فهم الثورة الديمقراطية الجديدة في معارضة للثورة الديمقراطية البرجوازيّة " . في الحقيقة ، كان ماو واضحا جدّا بصدد طابعها الاجتماعي حيث تظلّ الثورة الديمقراطيّة الجديدة ديمقراطيّة - برجوازيّة لأنّ هدفها هو بالضبط الهيمنة الأجنبيّة و الإقطاعيّة اللذان كانا يعيقان موضوعيّا تطوّر الصين إلى بلد معاصر رأسمالي مستقلّ .

و أكّد ماو كثيرا على أنّ ثورة الديمقراطية الجديدة كانت " جزءا من الثورة البروليتاريّة العالميّة " و لم تعد بعدُ من الثورات الديمقراطية – البرجوازيّة **من الطراز القديم** . و كان ماو يدافع عن أنّ قيادة الثورة الديمقراطيّة الجديدة من قبل البروليتاريا بواسطة حزبها الشيوعي الطليعي مرتبطة بالثورة البروليتاريّة في البلدان الرأسماليّة المتقدّمة ، و **أنّها تتضمّن عناصرا إشتراكيّة** هامة بما في ذلك إستهداف الإمبريالية الأجنبيّة و الرأسماليّة البيروقراطية / الكمبرادوريّة ، الشكل الرئيسي للرأسماليّة على نطاق واسع في الصين ، مرسية هكذا أسس الثورة الإشتراكيّة و من الممكن الإنطلاق فيها في تعارض مع **تعزيز** الديمقراطية البرجوازيّة و الرأسماليّة . ربّما هذا هو الفهم الذى يشير إليه دى مالو عند تمييزه بين الثورة الديمقراطية الجديدة و " الديمقراطية البرجوازية " . إلاّ أنّ فهم دى مالو لهذا متباين للغاية مع فهم ماو و أنصاره .

قد يبدو لنا ثوريّا جدّا أن ينكر دى مالو الطابع " الديمقراطي – البرجوازي " للثورة الديمقراطية الجديدة . و بالفعل ، دمج الثورة الديمقراطية و الثورة الإشتراكيّة في واحد خطأ كلاسيكي لدى الإصلاحيين و خاصة منهم التروتسكيين في بلدان ما يسمّى بالعالم الثالث . و بتقديم الثورة الديمقراطية الجديدة و " الثورة الإشتراكية " معا في إطار" الديمقراطيّة الراديكاليّة " ينتهى دى مالو إلى تناسى الطابع البروليتاري الثوري للثورة الشيوعيّة و **إختلافها نوعيّا** عن الثورة الديمقراطيّة التي هي و **لا يمكنها إلاّ أن تكون** برجوازيّة في طابعها الاجتماعي . هذه هي تحديدا القاعدة الماديّة للكثيرين ممّن يريدون أن يكونوا " ديمقراطيين برجوازيين " في فهمهم في الإلتحاق بالحزب الشيوعي و حتّى في مقاومتهم ببطولة في المرحلة الأولى من الثورة الصينيّة . لكن عندما دخلت الثورة مرحلتها الإشتراكيّة و تعمّقت ، قفز العديد من هؤلاء القادة ليعارضوها .

و يستدعى الأمر المزيد من العمل في ما يتعلّق بكيف ستتطوّر الثورة في القرن الواحد و العشرين في البلدان المضطهَدَة من قبل الإمبرياليّة و التى تعانى من ندوب إقطاعيّة و أشكال أخرى من الإستغلال ما قبل الرأسماليّة . و أطروحة أفاكيان بخصوص الطابع الأكثر " تداخلا " للعالم ، بما في ذلك فهم أنّ الإمبرياليّة صارت داخليّة في هيكلة الطبقات في البلدان المضطهَدَة (30) ، توفّر قاعدة للتشديد الشامل على محتوى الأممية البروليتاريّة للثورة في كلّ بلد .

و لا تزال تحدث تغيّرات كبرى مع تدخّل الإمبرياليّة و تشكيلها للنظام الإقتصادي و الاجتماعي في بلدان العالم قاطبة – و هذا بالتأكيد سيقتضى تطويرا أكبر للإستراتيجيا و التكتيك . لكن أطروحة ماو حول الديمقراطيّة الجديدة ستظلّ مرجعا حيويّا و نقطة إنطلاق لصياغة الإستراتيجيا الثوريّة . و ليس ممكنا تصوّر مثلا ، ثورة في إيران لا تنطوى على مكوّن قويّ للهجوم على الظلاميّة الدينيّة و الإضطهاد القروسطي للمرأة الذى إتّخذ أشكالا جديدة مع الأشكال المعاصرة للإستغلال الرأسمالي . و رأينا كذلك ، المرّة تلو المرّة أنّ الثورات في البلدان المضطهَدَة التي " تتمسّك " بأفق " الديمقراطية الراديكاليّة " تمنى بالهزيمة أو إن إفتكّت السلطة السياسيّة و عزّزتها ، سرعان ما يقع " ترويضها " و تغييرها إلى معدّات أخرى في آلة النظام الإمبريالي العالمي لسحق الحياة .

و إنّها لحقيقة ملموسة أنّ الشيوعيّة الثوريّة قطيعة أشمل مع **كافة أنواع** الإضطهاد . هذه نقطة شدّد عليها لينين في فترة الإعداد للثورة الروسيّة لمّا طرح أن يكون الشيوعي " خطيبا في الشعب " و ليس سكرتير نقابة . أطروحة الديمقراطيّة الجديدة لماو و قيادته للثورة الصينيّة يؤكّدان مبدأ أنّه على البروليتاريا أن تناضل ليس على أساس مصالحها الإقتصاديّة الضيّقة بل كمقاتلة طليعيّة للمضيّ بالمجتمع بأسره إلى مستوى جديد . (X) بيد أنّ هذا ليس حجّة للخلط بين الشيوعيّة و الديمقراطية الراديكاليّة مثلما يؤكّد على ذلك دى مالو .

و من الضروري التأكيد على أنّنا لسنا بصدد مساءلة الحاجة إلى أن يضطلع الشيوعيون بمهمّة قيادة الثورة الديمقراطيّة حيث تكون هذه المرحلة لازمة لكن عندما يضطلع الشيوعيّون بهذا النضال و يقودونه لا يقومون بذلك ك " ديمقراطيين رأديكاليين " ، بل يربطون هذا النضال و يضعونه في إطار أشمل ، بلوغ مجتمع شيوعي . و الهدف الخاص للإستقلال الوطني و الديمقراطيّة مهمّ فقط بإعتباره يعبّد الطريق لهذا الهدف الأسمى . و في الواقع ، دى مالو يصيغ بلغة نظريّة ما قام به عمليّا الكثير من الماويين – " مزج الإثنين في واحد " (في هذه الحال ، الثورة الديمقراطية – البرجوازية و الثورة البروليتاريّة) ، و بالقيام بذلك يخلقون إضطرابا عوض فهم الإختلاف ، و الفرق بين الإثنين . و تفضى تجربة العقود الأخيرة إلى إستنتاج عكسي : على الشيوعيّين أن يقاوموا بكلّ ما أوتوا من جهد إعادة صياغة الشيوعيّة ك " ديمقراطية راديكاليّة ".لا يمكن أن يوجد تحرير حقيقي دون القطيعة الراديكاليّة مع جميع الأنظمة الإجتماعيّة السابقة و الإيديولوجيّات المناسبة لها – بما في ذلك " الديمقراطية الراديكاليّة ".

إنّ ثورة الديمقراطيّة الجديدة ديمقراطيّة – برجوازيّة في طابعها المباشر ، لكن إعتبارا لكون البروليتاريا تقودها و إعتبارا للسياسات الخاصة – مثل ثورة زراعيّة عميقة و مصادرة ملكيّة الرأسماليّة البيروقراطية و الإمبريالية – يمكن لثورة الديمقراطية الجديدة و يجب عليها أن تؤدّي مباشرة إلى الثورة الإشتراكيّة وهي فعلا تؤشّر إلى بداية هذه الأخيرة . دون إستيعاب هذا إستيعابا صحيحا ، ستوجد أخطاء يمينيّة و " يساريّة " . و " يساريّة " بمعنى أنّ الشيوعيين يمكن ألاّ يتعرّفوا على المهام الديمقراطيّة الحقيقيّة التي تحتاج الثورة إلى تحقيقها ، و يمكن كذلك أن يعتبروا أنّ الديمقراطيين البرجوازيين المنفتحين و المعترف بهم على أنّهم دخلاء غير مرغوب فيهم في صفوف الحركة الثوريّة . لكن و إلى حدّ أبعد ، الخطر الأكبر هو الإنحراف اليميني المفضوح ، أنّه عند نقطة معيّنة من السيرورة الثوريّة ، سواء قبل إفتكاك السلطة على الصعيد الوطني ، أم بعدها ، يتمّ التخلّي عن هدف الإشتراكيّة و في آخر المطاف الشيوعيّة على غرار ما نشاهده اليوم في النيبال .

<u>ما معنى القيادة البروليتاريّة ؟</u>

كيف يجب أن ندرك إدراكا صحيحا مفهوم " القيادة البروليتاريّة " الذى طرحه ماو ؟ لدى مالو الحقّ في نبذ المفهوم الميكانيكي لكون هذا يتطلّب بالضرورة أن يكون العمّال الصناعيّون على رأس الثورة كما لا يزال يحاول البعض المحاججة . إلاّ أنّ دى مالو لا يفقه أين يكمن الطابع البروليتاري للماركسية . ناظرين للمسألة من أفق تاريخي ، ظهور البروليتاريا على النطاق العالمي ، نتيجة لعلاقات الإنتاج الرأسماليّة ، هو الذى جلب **إمكانيّة تجاوز نمط الإنتاج الرأسمالي و بلوغ الشيوعيّة .** هذا ما نقصده علميّا لمّا نتحدّث عن المهمّة التاريخيّة للبروليتاريا .

و مع ذلك ، دى مالو يفهم المسألة على النحو التالى (مستشهدا ببنجمان شوارتز) : " في الماويّة ، يحيل مصطلح " البروليتاريا " على جملة من الميزات الأخلاقيّة – نكران الذات ، التضحية اللامتناهية إزاء الحاجيات الجماعيّة ، الإكتفاء الذاتي من نوع إكتفاء الأنصاريين ، الطاقة التي لا تنفذ ... و الإنضباط الحديدي إلخ " – كمبدأ للسلوك الجماعي الحقيقي . و عندها تصل القيادة البروليتاريّة إلى أن تكون متكوّنة من مجموعة من المثقّفين و العمّال و الفلاّحين الذين يتميّزون بهذه الأخلاق المطلوبة " . لا مجال للشكّ في أنّه من الصحيح أنّ الناس من الطبقات الإجتماعيّة المختلفة يمكن أن يتبنّوا النظرة البروليتاريّة للعالم و قد قام بذلك الكثيرون . و كذلك من الصحيح أنّ مثل هذه النظرة للعالم لا توجد عفويّا أو آليّا في صفوف العمّال في **حدّ ذاتهم** (في أي بلد ، مضطهِد أو مضطهَد). بيد أنّ النظرة البروليتاريّة لا تختزل في " متطلّبات أخلاقيّة " ، حتّى و إن كان من الهام الإقرار بوجود مكوّن أخلاقي في النظرة البروليتاريّة للعالم .

و كذلك من الممكن الإقرار بأنّ وصف شوارتز (و دى مالو) للخصوصيّات البروليتاريّة (نكران الذات ، التضحية اللامتناهية إزاء الحاجيات الجماعية ، الإكتفاء الذاتي من نوع إكتفاء الأنصاريين ، الطاقة التي لا تنفذ... و الإنضباط الحديد) لا ينسحب على الثوريين البروليتاريين فحسب فعلى مرّ التاريخ و في العديد من البلدان وُجد قدر كبير من الثوريين البرجوازيين و البرجوازيين الصغار الذين أبدوا مثل هذه الخصال . و روباس بيار قاد الثورة الفرنسيّة (البرجوازيّة) و ضحّى بحياته من أجلها و " كان معروفا بأنّه عنيد " . و ألا يمكن قول إنّ العديد من كوادر مجموعات قوميّة كنمور التاميل في سيريلانكا ، كانوا يتقاسمون الكثير من الخصال التي عدّدها دى مالو ؟

إنّ النظرة البروليتارية للعالم ، فوق كلّ شيء ، مسألة علم فهم المجتمع و تغييره و تشخيص السيرورة الإجتماعيّة الوحيدة التي يمكن أن تفضي إلى بلوغ المجتمع الخالى من الطبقات ، الشيوعي ، و بالتحديد عبر الثورة الإشتراكيّة و دكتاتوريّة البروليتاريا . ليست المسألة مسألة أعضاء معيّنين من الطبقة البروليتاريّة بل يتعلّق الأمر بالبروليتاريا كطبقة محدّدة بعلاقاتها مع نمط الإنتاج و ليس كمجموع أفراد يجسّدون " متطلّبات أخلاقيّة " . لقد مثّل فهم ماركس أنّ الظروف الإجتماعيّة للبروليتاريا تعنى أنّ " البروليتاريا لا يمكن أن تحرّر نفسها إلاّ بتحرير الإنسانيّة بأسرها " (31) ، مثّل خطوة عظيمة . و مهمّة البروليتاريا ، " تحرير الإنسانيّة بأسرها " تتحدّى تماما نوع التأويلات المبتذلة و الإقتصادويّة و العمّاليّة النموذجيّة لدي التحريفيّة و حريّ بنا أن نشير إلى أنّ الثوريين في الصين حوّلوا مقولة ماركس هذه إلى واحدة من شعاراتهم الرئيسيّة خلال الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى . و لهذا بوضوح عمق أخلاقي بيد أنّ هذه الأخلاق قائمة على فهم علميّ و ليست بأي شكل متطلّبات أخلاقيّة لديمقراطية دون طبقات و إنسانويّة .

لقد كان ماو ذاته ممثّلا صريحا تماما للبروليتاريا (ما لا ينكر المظاهر القانويّة المتناقضة لفكره) و تتأتّى ميزة ماو البروليتاري من نظرته للعالم التي كانت في جانبها المهيمن نظرة ماديّة جدليّة و تاريخيّة ، و من كونه قاد النضال من أجل خطّ سياسي يتناسب عموما مع المصالح الطبقيّة للبروليتاريا بالمعنى التاريخي الأوسع ، لا سيما سياسات و تغييرات

دفعت المجتمع إلى الأمام و بصورة ملموسة جدّا ستخلق عبر النضال المعقّد و الطويل الأمد ، الظروف الإقتصاديّة و السياسيّة و الإيديولوجيّة لدفع المجتمع بإتّجاه الإشتراكيّة و الشيوعيّة . ما يميّز الثوريين البروليتاريين عن أتباع الطريق الرأسمالي من مثل دنك سياو بينغ ، كان إلى أين تؤدّى في آخر المطاف توجّهات كلّ منهما و سياساته و سياساته الإقتصاديّة و بهذا المعنى ، ما هي العلاقات الطبقيّة التي يمثّلونها . وبالفعل ، كلّ نظرة ماو لثورة الديمقراطيّة الجديدة تتناسب مع توجّه القيادة البروليتاريّة. أجل ، الثورة الديمقراطية الجديدة كما صاغها ماو في نواحى عدّة مثلما يصفها دى مالو : تعتمد على الفلاّحين و محاصرة المدن إنطلاقا من الريف و خوض حرب الشعب الطويلة الأمد إلخ ، غير انّ البروليتاريا كانت **تقود** هذه الثورة و ما كان مكثّفا في قيادة ماو و الحزب الشيوعي هو خاصة أنّه كان يناضل من أجل خطّ سياسي يسمح للثورة بالمضيّ **أبعد** من الثورة الديمقراطيّة و المرور إلى المرحلة الإشتراكية .

عندما يتعلّق الأمر بالثورة الإشتراكية ، ما من " حياد " . و بكلمات أخرى ، إمّا أن يوجد نضال مصمّم ، واعي و طويل الأمد لتغيير المجتمع بما في ذلك المواجهة الدوريّة للتحدّيات الشرسة و القيام بقفزات كبرى بإتّجاه الشيوعيّة ، و إمّا قيادة المجتمع سيحدّدها ممثّلو علاقات الإنتاج الرأسماليّة و ينظّمونها وفق الخطوط الرأسماليّة . ينبغي أن يوجد نضال واعي و ثوري في مجالات السياسة و الاقتصاد و الثقافة للمضيّ ضد العطالة الكامنة لقرون من الإستغلال الطبقي و ضد عفويّة نابعة من التبادل اليومي ، في كلّ ساعة ، للسلع – تبادل قيم متساوية (مجدّدا مرتبطا بالحقّ البرجوازي الذى وقع نقده بحدّة كبيرة أثناء الثورة الثقافيّة) أمر محوري بالنسبة للرأسماليّة كما لإيديولوجيا الرأسمالية حيث " التبادل المتساوي " للسلع يحجب الإنقسام و الإستغلال الطبقيين .

و دى مالو لا يدرك ذلك على هذا النحو . و مجدّدا ، يجب أن تشير إلى أنّه لسوء الحظّ ، ليس الوحيد . و هذا من الأسباب التي جعلت بوب أفاكيان يلاحظ أنّ " في غالب الأحيان ، معظم الشيوعيّين ليسوا شيوعيّين " (32) فالإنتماء إلى حزب شيوعي غير كافي و ليس حتّى كافى النضال و التضحية من أجل مصالح الشعب . سيتحدّد نجاح الثورة أو إخفاقها في آخر المطاف بالخطّ الإيديولوجي و السياسي في مصاف القيادة . و هذا لا يعنى أنّه إن قَبِل القادة بالهدف الشيوعي في الكلام و حتّى بمعنى جوهريّ سيتحقّق هذا الهدف . في الواقع ، يقتضى ذلك إختيار إستراتيجيا و تكتيك طوال مراحل النضال المتنوّعة بما فيها المرحلة الديمقراطيّة البرجوازيّة للثورة التي تتطلّبها هذه المرحلة .

لهذا مع نهاية حياته ، أكّد ماو بصفة هامّة جدّا على أنّ " صحّة أو عدم صحّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي هي المحدّدة في كلّ شيء " (33) و لسوء الحظّ ، عدد كبير من أعضاء الحزب و قادة المستويات الوسطى إنتهوا إلى مساندة الإنقلاب التحريفي و لعلّ الكثير منهم فعلوا ذلك عن غير وعي ، على الأقلّ في البداية . و كان هذا كذلك صحيحا بالنسبة إلى الشيوعيين على المستوى العالمي بما في ذلك في الهند أين ساندت تشكيلات هامة منها بعض الذين خاضوا نضالا مسلّحا ثوريّا ضد حرّاس النظام القديم ، في البداية ، الإنقلاب في الصين الذى تجلّى بإيقاف ما تسمّى بمجموعة الأربعة .

و في الحقيقة لمّا يجرى الحديث عن الخصال الأخلاقيّة ، يجب أن نكون حذرين جدّا في **عدم فصلها عن الخطّ الإيديولوجي و السياسي العام** . يجب أن نتذكّر كيف أنّ أتباع الطريق الرأسمالي في الصين بحثوا عن تشويه الثوريين على أنّهم " مائعون و منحلّون و كسالى ". هذا من ناحية و من ناحية ثانية ، كان الثوريّون في الصين يندّدون بطريقة صحيحة ب " أتباع الطريق الرأسمالي الناشطين جدّا " الذين كانوا يعملون ليل نهار لإعادة تركيز الرأسماليّة .

و أهمّية هذه المسألة بديهيّة بما فيه الكفاية للجميع الآن و الثورة في النيبال يتمّ الإنقلاب عليها . لن ينكر أحد نضال كافة أعضاء و قادة ذلك الحزب و تضحياتهم في خضمّ حرب الشعب- الذى يشبه ما يحيل عليه دى مالو من" خصال أخلاقيّة " لكن ترتهن قدرة الثورة في النيبال بفتح طريق نحو المستقبل الإشتراكي والتقدّم الحيوي الضروري للثورة الإشتراكية أم ، كما يشير إلى ذلك المسار الحالي ، ستكون النتيجة النهائيّة تعزيز نظام الجمهوريّة البرجوازيّة و الحفاظ على الجماهير مغلولة الأيدى في سلاسل ، ترتهن في الجوهر بالخطّ الإيديولوجي و السياسي للقيادة . " نكران الذات " يمكن أن يكون ميزة لدى التحريفيين و أتباع الطريق الرأسمالي ، و كذلك الصرامة و الإنضباط كانا عادة مرتبطين بالطبقة الرأسماليّة عند صعودها في البداية . (XI)

و مثلما يطرح ذلك أفاكيان : " هناك قدر كبير من المفاهيم الخاطئة و الخلط بصدد مسألة القيادة الشيوعيّة ، خلط إلى درجة هامة مرتبط بالمفاهيم الخاطئة من مبادئ و أهداف الثورة الشيوعيّة في ذاتها – و بأشكال معيّنة تعارضها كما أشرت إلى ذلك ، القيادة – و خاصة القيادة الشيوعيّة – تتكشّف في الخطّ . و هذا لا يعنى مجرّد نظريّات مجرّدة ، رغم أنّ هذه التجريدات ، خاصة بالدرجة التي تعكس بها بطريقة صحيحة الواقع و حركته و تطوّره ، هامة جدّا لكن بالمعنى

العام ، يتعلّق الأمر كما يجرى التعبير عنه بقدرة التطوير المستمرّ لنظريّات مجرّدة صحيحة في الأساس ؛ بصياغة و تطبيق وجهة نظر و منهج و إستراتيجيا و برنامج و سياسة يتطلّبهم التغيير الراديكالي للعالم عبر الثورة بإتّجاه الهدف النهائي للشيوعيّة و قيادة آخرين لإستيعاب – و المبادرة في تطبيق – كلّ هذا و التحرّك على هذا الأساس ؛ و من خلال هذه السيرورة من التمكين المستمرّ للأشخاص الذين تتمّ قيادتهم من مزيد تطوير كلّ مرّة أكثر قدرتهم على القيام بكلّ هذا . هنا يكمن جوهر القيادة الشيوعية " .(34)

ماركسيّة العالم الثالث ؟

يتقاطع تحديد دى مالو للماويّة على أنّها " ديمقراطيّة راديكاليّة " مع تيّارات أخرى في تاريخ الحركة الماويّة في فهم الماويّة أساسا ك " ماركسيّة العالم الثالث " ، وهذا تيّار إرتبط بلين بياو ، قائد هام في الحزب الشيوعي الصيني . (XII) و يتضمّن هذا تقليص الماويّة إلى عدّة مميّزات خاصة عدّدها دى مالو ، لا سيما خوض حرب الشعب الطويلة الأمد و القيام بالثورة في " ريف العالم " أي آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة .

و يولى دى مالو أهمّية كبرى لكون جماهير العمّال في أوروبا خاضت نضالات ثوريّة توقّعها ماركس (35) . و أكيد أنّ سيرورة الثورة البروليتاريّة العالميّة كما توقّعها ماركس و إنجلز تأثّرت بعمق بالتغييرات اللاحقة التي حدثت في العالم . ومثلما سيحلّل ذلك لينين ، ترافق تطوّر الرأسماليّة إلى إمبرياليّة بتغييرات هامة في هيكلة طبقات البلدان الرأسماليّة المتقدّمة و خاصة ، تقسيما للبروليتاريا نفسها في البلدان المتقدّمة بين أرستقراطيّة عمّاليّة تستفيد من الإمبرياليّة وهي مستعدّة للمساعدة في المغامرات الإمبرياليّة للطبقات الحاكمة و من الجهة الأخرى ، قسم من البروليتاريا منزوعة الملكيّة أكثر ظروف عملها وحياتها تتناسب أكثر مع تلك الموصوفة في" **بيان الحزب الشيوعي** " على أنّه " ليس لها ما تخسره " سوى أغلالها . و قد فهم لينين فهما في منتهى العمق هذا الواقع و إعتبر هذا الإنقسام في صفوف الطبقة العاملة نقطة إنطلاق لتطوير إستراتيجيا و تكتيك ثوريين في هذا الصنف من البلدان . لهذا دعا الشيوعيين إلى الإجتهاد لبناء قاعدة في صفوف البروليتاريا " الأعمق " . و نظرا للأطروحات اللينينيّة المعروفة جيّدا بهذا المضمار ، نستغرب أن يقول دى مالو أنّ هذه الظروف " قد أعاقت ولوج وعي ثوري في صفوف عمّال القارة " لكن لينين " تجنّب " هذا الواقع .

نهائيّا ، يمثّل الموقف ذي الإمتيازات النسبيّة للعمّال في البلدان المتقدّمة عاملا هاما يعكس الهيكلة الطبقيّة في هذه البلدان و يزن بثقله في تفكير هذا القطاع من العمّال . إلاّ أنّ دى مالو هو كذلك يسقط في الحتميّة المبتذلة التى يحذّر منها مقاله . أوّلا ، هناك قاعدة ماديّة ل**كلّ** من الشيوعيّة الثوريّة و التعاون الطبقي في صفوف بروليتاريا البلدان الإمبرياليّة و من الخطأ أن نرى **فقط** المظهر الأوّل ، تبرجز قطاعات هامة من الطبقة العاملة و لا نرى وجود " عمق " أو قطاعات أخرى من البروليتاريا مثل جماهير السود و المهاجرين و النساء المضطهدات و غيرها ، حتّى داخل البلدان الإمبريالية الأكثر تقدّما و التي تؤدّى بها ظروف الحياة إلى الحقد على النظام القائم . و فضلا عن ذلك ، يجب التأكيد على أنّ و لا في وضع واحد مجرّد وجود ظروف الإستغلال و التفقير يمكن أن تكون كافية للحصول " آليّا " على الوعي الطبقي الذى تمثّله الإيديولوجيا الشيوعيّة . و بالفعل ، تمثّل ضرورة أن يكسب الشيوعيّون العمّال إلى وعي طبقيّ عنصرا جوهريّا في تعاليم لينين و قد وقع تطويرها ببعض التفصيل في " **ما العمل** ؟ " حيث يدافع بطريقة مقنعة عن أنّ النضال العفوي و واقع الإستغلال لا يترجمان آليّا إلى وعي بروليتاري . و شدّد على أنّ هذا الوعي يحتاج إلى أن " يأتى " إلى العمّال " من خارج " تجربتهم المباشرة ؟ ولن نبالغ في الإشارة إلى أنّ لينين تقدّم بهذه الأطروحة في ظروف بؤس و حرمان كبيرين في روسيا القيصريّة.

إعادة صياغة دى مالو للماويّة في إطار الديمقراطيّة الراديكاليّة و حرب الشعب معتمدة على الفلاحين في العالم الثالث تقطّع أوصال الدور الحيوي لمساهمات لينين ، اللينينيّة ، كجزء من الطابع المندمج و خلاصة الشيوعيّة – تقييم و فهم علميين لضرورة الثورة الشيوعيّة و دكتاتوريّة البروليتاريا و الإنتقال إلى الشيوعيّة كجزء من سيرورة عالميّة ، و الدور القيادي المؤسّساتي للحزب الطليعي طوال كامل هذه السيرورة . (XIII)

و حتّى في البلدان أين تعرف الجماهير منتهى الإستغلال و الإضطهاد و تتمرّد عادة في نضالات متنوّعة ، يظلّ صحيحا أنّ هذه الظروف لا تفضى عفويّا إلى الوعي الشيوعي . خلال موجة النضالات الثوريّة لستينات و بدايات سبعينات القرن الماضي ، نزع الوعي العفوي لثوريي آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة نحو ضرب من القوميّة الثوريّة . و عادة ما يتّخذ

صنفا من اللون " الماوي " – في جزء منه للإعتراف بالمساندة الحقيقيّة التي كانت الصين تقدّمها لهذه النضالات . و كان المشكل أنّ الكثير من الماويين ذاتهم كانوا مضطربين في التمييز بين القوميّة الثوريّة و الشيوعيّة الثوريّة .

و الآن ينبغي أن تكفي ملاحظة القوّة التي حملتها للأسف بعض الإيديولوجيّات الرجعيّة مثل الأصوليّة الدينيّة أو أرهاط متنوّعة من الإنتهازيّة ضمن قطاعات عامة من حتّى الجماهير التي هي عموما مسحوقة في العديد من البلدان المضطَهَدَة، لرؤية أنّ الإيديولوجيا الشيوعيّة الثوريّة لا تتطوّر عفويّا . و هذا الواقع ينبغي أن يحثّ على جهود خوض نضال إيديولوجي مصمّم ، و عدم التهرّب من هذه المعركة الضروريّة .

بالنسبة لماو تسى تونغ و الصين الثوريّة ، كان من المهمّ أن يدعموا بصراحة نضالات التحرّر الوطني التي كانت تتوسّع عبر العالم قاطبة في ستّينات القرن الماضى و بلغت أوجها مع حرب التحرير في الفتنام . و كان على ماو أن يناضل ضد الإتّحاد السوفياتي و تحريفيّون آخرون كانوا يقوّضون هذه النضالات و/ أو حاولوا التلاعب بها لتخدم الإتّحاد السوفياتي الذى حلّله ماو تحليلا صحيحا على أنّه صار قوّة عظمى " إمبريالية إشتراكيّة " . و في الوقت نفسه ، وُجدت مشاكل في كيفيّة إرتباط ماو و الحزب الشيوعي الصيني بالنضالات في البلدان المضطهَدة . مثلا ، لم يجتهدوا أقصى الإجتهاد لمساندة تطوّر منظّمات شيوعيّة مستقلّة ، مكتفين عادة بمساندة أنواع مختلفة من جبهات أو منظّمات التحرير كانت تسيطر عليها قوى برجوازيّة أو برجوازيّة صغيرة كمنظّمة تحرير فلسطين أو الإتّحاد الوطني الأفريقي لزمبابواي لروبار موغابى . و خاصة في السنوات الأخيرة ، لمّا واجه ماو تهديدا متصاعدا بالحرب من قبل الإتحاد السوفياتي ، بذل جهودا لبناء ضرب من " الجبهة المتّحدة " التي تشارك فيها حتّى الدول الرجعيّة المعارضة للاتحاد السوفياتي . و لم تكن أخطاء ماو بهذا الصدد (36) لا الأولى و لا الأسوء في تاريخ الحركة الشيوعيّة العالميّة . فمثلا ، ربط ستالين الثورة العالمية بمصالح دولة الإتّحاد السوفياتي لا سيما خلال الحرب العالمية الثانية و في الفترتين السابقة و اللاحقة مباشرة لها ، كان مثالا خطيرا جدّا . لكن أخطاء ماو في هذا المجال ، رغم نبذه للأطروحات التحريفيّة الأساسيّة ك " طريق التطوّر اللارأسمالي " ، قد تسبّبت في مشاكل حقيقيّة . و تداخلت الأخطاء في هذا المجال مع أخطاء أخرى في المنهج و المقاربة.

وقطعا وُجدت صلب الحزب الشيوعي الصيني في عهد ماو نزعة نحو تحديد " الماويّة " كإيديولوجيا نضال التحرّر الوطني ، نزعة تبنّاها و وسّعها بصورة كبيرة جدّا الكثير من الثوريين حينها و لم يتجاوزوا قط حدود النضال ضد الإمبريالية و الإقطاعيّة . و بكلمات أخرى ، هؤلاء هم أولئك الذين لم ينظروا أبدا أبعد من " الأفق الضيّق للحقّ البرجوازي " . و سيكون من الإجحاف الكبير أن نسوّي بين ماو و النظرة المحدودة لبعض أنصاره . لكن مع ذلك ، هنا أيضا ، يكمن أحد تناقضات الماويّة : الأفق التحريري المناسب لمهمّة البروليتاريا في المضيّ بالمجتمع الإنساني إلى أبعد من حدود الطبقات و الأمم ، تعايش مع نزعة ثانويّة لكن حقيقيّة عند ماو بأن يمزج أحيانا الإثنين في واحد في ما لايتّصل بالشيوعيّة و تحرير الأمم . و تنعكس هذه النزعة في تعليق لماو عادة ما يستشهد به و مفاده أنّ " في حروب التحرّر الوطني ، الوطنيّة تطبيق للأمميّة " (37) و يستخدم دى مالو عدم الوضوح و الأخطاء الثانويّة لدى ماو ليعيد صياغة جملة تعاليم ماو على أنّها عمل إنسان غير شيوعي ، " ديمقراطي راديكالي " .

الخطّ الجماهيرى :

و لنمعن النظر الآن في كيف يشرح دى مالو مفهوم الخطّ الجماهيري : " ... خاصيّة مميّزة للماويّة . منهج تشريك الجماهير مثلا في كيفيّة [إنجاز أصناف متنوعّة من النضالات] القيام بكلّ ما سبق ثمّ تطبيق ما تقرّر بمشاركتها . و هكذا يفهم قادة الحزب فهما صحيحا آراء الشعب و يصوغون السياسات المطلوبة بطريقة تجعل الجماهير تدعمها و تكرّسها بنشاط " .

أجل ، طوّر ماو نظريّة الخطّ الجماهيري غير أنّ هذا حقل آخر فيه الكثير من الماويين و كذلك الأكاديميين و أصدقاء الحركة الشيوعيّة قد أساؤوا فهم المظهر الأساسي . فلا يجب أن يتحوّل الخطّ الجماهيري إلى حجّة لمجرّد " الإستماع إلى الجماهير " و السماح لها بالنقد و أشياء من هذا القبيل ، أو فقط منهجة تفكيرها ، على أنّ كلّ هذه الأشياء حيويّة في فهم ماو و ممارسته . يجب أن تشتمل القيادة الشيوعيّة للجماهير على فهم عميق للجماهير و تفكيرها (يعنى ، تفكيرها **المتناقض**) . و على أساس فهم علميّ شامل لمهام الثورة و الإستراتيجيا و التكتيك الضروريين والوعي الثوريّ بصفة أعمّ ، يستطيع الشيوعيّون أن يطوّروا شعارات و سياسات و غيرها تركّز المصالح الجوهريّة للجماهير و حولها يمكن للقطاعات النامية من الجماهير أن تكسب إلى إستيعابها و النضال من أجلها . لا داعى لإستخدام خطّ الجماهير للمحاججة بأنّ شعارات و سياسات الشيوعيين مجرّد إنعكاس أو تكثيف تجريبيين لمشاعر الجماهير و عفويّتها ؛ و إن كان الأمر

كذلك سيشجّع الشيوعيّون كافة ألوان الأفكار الرجعيّة . (من الأكيد أنّ إلى هذا يؤدّى عادة التشويه التحريفي للخطّ الجماهيري). مثلا ، سيكون ضارا جدّا " الإتحاد " مع (و أقلّ من ذلك تكثيف) المشاعر الرائجة أو الدينيّة للجماهير ، مهما كانت منتشرة في أيّة لحظة من اللحظات . و قد رأينا هذا الضرب من الأخطاء حتّى ضمن الذين يبحثون عن تطبيق الماويّة ، أو يقولون إنّهم يفعلون ذلك .

يلغى دلى مالو الدور الديناميكي للسياسة و الإيديولوجيا ، الصراع الدائر في هذه المجالات ، و الدور الضروري للشيوعيين في خوض هذا النضال . هنا مجدّدا يجب أن نلاحظ أنّ تأكيد ماو على ضرورة خوض هذا النضال الإيديولوجي و السياسي ميزة مركزيّة للماويّة رغم أنّ القليل نلفيه بهذا المضمار في مقال دى مالو . (و هذا لا يعنى أنّه لا وجود لشيء في فهم ماو للخطّ الجماهيري أو للعلاقة بين الوعي و الموقع الطبقي الذى يمكن أن ينجم عنه التأويل الشعبوي لدى مالو كما سنشرح لاحقا) . لا يستطيع نوع الفهم التذيّلي للخطّ الجماهيري الذى يروّج له دى مالو (و يشاطره إيّاه العديد من الماويين ، الآن و تاريخيّا) ، لا يستطيع إلاّ أن يقلّص الدور الديناميكي للنظريّة الثوريّة في إرشاد السيرورة بأكملها . و بالفعل ، بعيدا عن أن تكون إنعكاسا سلبيّا لمشاعر الجماهير و أفكارها ، يجب على النظريّة الشيوعيّة العلميّة أن " تتقدّم على " الممارسة مثلما أشار إلى ذلك أفاكيان .

و في إرتباط بمشكل " الخطّ الجماهيري " كتبرير للتذيّل للجماهير هناك تاريخ نزعات خاطئة وسط الحركة الشيوعيّة العالميّة نحو ما أسماه أفاكيان " تجسيد البروليتاريا " (و التجسيد هو إتّخاذ تجريد و في هذه الحال البروليتاريا **كطبقة** و مصالحها الجوهريّة على المدى البعيد ، و خلطها مع تمظهراتها الملموسة الخاصة ، في هذه الحال مجموع **بروليتاريين** معيّنين و كيف يستطيعون رؤية مصالحهم **في لحظة معيّنة**).

و قد عبّرت هذه النزعة عن ذاتها بدرجات متفاوتة خلال الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى – بما في ذلك جهود أتباع الطريق الرأسمالي لتضليل العمّال بدعوات ديماغوجيّة لمصالحهم الضيّقة (مثلا ، محاولة جعل العمّال يركّزون نضالهم على الحصول على أجور أعلى) بينما كان الرهان حينها مستقبل البلاد برمّتها – إذ دعا ماو و القيادة الثوريّة في الحزب العمّال إلى " الإنتباه إلى شؤون الدولة ". و من جديد ، لم يحدث هذا دون تناقضات . فالثوريّون أنفسهم عمّقوا فهمهم و شدّدوا أكثر على النضال من أجل أن تستخدم الجماهير حينها ما كان متعارفا عليه كماركسيّة – لينينيّة – فكر ماو تسى تونغ بغاية التمييز بين الخطوط الصحيحة و الخطوط الخاطئة . يقال إنّ تشانغ تشن- تشياو طرح أنّ " النظريّة هي المظهر الأكثر ديناميكيّة في الإيديولوجيا " نسبة للمشاعر الطبقيّة . (38)

في عهد ماو تسى تونغ ، تمكّن الناس كذلك من رؤية الإختلافات المتصلة بكيفيّة فهم العلاقة بين عفويّة الجماهير و النظريّة الشيوعيّة الثوريّة . و على سبيل المثال ، في المراحل الأولى من الثورة الثقافيّة (نفس الفترة التى يعدّها دى مالو أوج تلك الثورة) عادة ما يتمّ الإستشهاد بلين بياو وهو يقول " التيّار الأغلبي في حركة الجماهير يتّبع دائما تطوّر المجتمع وهو دائما عقلاني " .(39)

يمكن مقارنة هذه الحجّة التي كفّ الحزب الشيوعي الصيني عن إستخدامها بشعار شدّد عليه ماو في المؤتمر العاشر للحزب سنة 1973 : " السير ضد التيّار مبدأ ماركسي – لينيني " (40) و أوضح تقرير ذلك المؤتمر كذلك أنّ الشيوعيّة الثوريّة وحدها تمكّن الإنسان من القدرة على التمييز بين التيّار الصحيح و التيّار الخاطئ .

و هنا نستطيع مجدّدا أن نلاحظ أنّ بعض العناصر الخاطئة و الجزئيّة في ما طرحه ماو و الشيوعيّون الصينيّون قبلا (في هذه الحال ، إيحاء بأنّ فهم الجماهير يجب أن يعدّ دائما صحيحا) يقع إستغلالها و رفعها أعلى من الفهم الأكثر علميّة وهو الرئيسي الذى كان ماو و أنصاره يطوّرون . سواء يجرى ذلك عن وعي تام أم لا ، يؤكّد دى مالو على التمسّك و الإعتماد على عناصر فكر ماو و ممارسته اللذان دعا ماو نفسه إلى مساءلتها أو إستبعادها . و عوض إتّباع تراجع دى مالو ، علينا النظر إلى الفهم المتقدّم الذى نحته أفاكيان بشأن العلاقة بين الشيوعيين و الجماهير . لقد شدّد أفاكيان على دور إثارة المسائل الحيويّة أمام الجماهير و تشريكها في الخوض فيها ، مطيحين ، إلى أقصى درجة ممكنة ، بالحواجز التي تعيق مشاركتها في هذا الحقل . و أكّد " لا يتعلّق الأمر ببساطة بخلق وضع تشعر فيه في كلّ مرّة أكثر الجماهير بأنّها منخرطة في السيرورة الثوريّة ، بل في الواقع بإيجاد حلول لهذه المشاكل و السماح للحزب كما للجماهير بالتعلّم على هذا النحو ". (41)

" الممارسة معيار الحقيقة " :

مجال آخر يركّز فيه دى مالو فهما خاطئا يشاركه فيه الكثيرون داخل الحركة الماويّة هو تحليله لما يوصف بأنّه جوهر الماويّة ، " البحث عن الحقيقة في الممارسة " . و بالرغم من أنّنى لست على علم بأيّ تصريح لماو يتناسب تماما و ما ذكره دى مالو ، فإنّ ماو قد كتب أنّ " الممارسة هي معيار الحقيقة " . (42)

و يحدّد دى مالو الماركسية ك " مرشد للحياة و الممارسة الإجتماعيّة و على المدى الطويل لا يمكن الحكم على صلوحيّتها إلاّ عبر نتائجها " ، و ذلك إعتمادا على إستشهاد لبول سويزي الذى يعيد دى مالو نشره ضمن مجموعة مقالاته . و تتجلّى بديهيّة أكثر خطورة هذا الخطأ حينما نقرأ كامل مقطع سويزي الذى يبقيه دى مالو كما هو " ربّما الأهمّ هو أنّ الماركسيّة نظريّة في التاريخ و مصير الإنسانيّة الذى هو بسيط في خطوطه العامة و إنعكاساته الواسعة التي لاتحصى و لا تعدّ . **إنّها نظريّة عقلانيّة و ليست تصوّفا** ، لكن ككلّ نظريّة من هذا القبيل لا يمكن **التثبّت منها بشكل دقيق أو علمي** . إنّها مرشد للحياة و الممارسة الإجتماعيّة و على المدى الطويل لا يمكن الحكم على صلوحيّتها إلاّ عبر نتائجها ". (التسطير مضاف) (43) و في ما يتصل هنا بالتشديد على تحديد الكلمات التي محاها دى مالو ، يبرز النبذ الأساسي لسويزى لكلّ قاعدة علميّة " للتثبّت " من الماركسية . (XIV)

الماركسيّة قبل كلّ شيء علم و ليست مجرّد " مرشد " (44) . و ككلّ علم ، يمكن و يحتاج التثبّت منه بإستمرار ، و إثراءه و كلّما كان ذلك ضروريّا تصحيحه . إلاّ أنّ هذا يختلف عن قول إنّه يجب أن يتمّ التثبّت عبر " نتائجه ".

و على سبيل المثال ، تعاليم ماو تسى تونغ حول طابع المجتمع الإشتراكي و أطروحته حول تحوّل الديمقراطيين البرجوازيين إلى أتباع للطريق الرأسمالي و أطروحته حول خطر إعادة تركيز الرأسماليّة ، و توقّعاته حول ما ستعنيه إعادة تركيز الرأسماليّة للشعب الصيني و للعالم – كلّ هذا لسوء الحظّ " أثبته " إنقلاب دنك سياو بينغ و بهذا المعنى وقع إثباته في الممارسة العمليّة . و بلا ظلّ للشكّ ، من العسير التفكير في عديد الأطروحات العلميّة الأخرى ، على الأقلّ في مجال العلوم الإجتماعيّة ، التي وقع إثباتها تماما كما وقع لأطروحات ماو . (XV)

وعلى ضوء هذا ، يجدر بنا أن نفكّر في لماذا **قلّة قليلة** من القوى الماويّة في العالم إستطاعت أن تفهم بالمعنى الأساسي ، ما كان يحدث في الصين عقب الإنقلاب إيّاه . لقد إتّبع الكثيرون عن عمى الصين و لم ينتبهوا إلاّ بعد بضعة سنوات إلى واقع أنّ التحريفيين الصينيين ليسوا في حاجة إلى قوى ماويّة على الصعيد العالمي .

و أسباب هذا الإنهيار متعدّدة غير أنّ لبعض قضايا الفهم و المقاربة صلة بنقاشنا هنا . و بوجه خاص ، كان الكثير من الناس يطبّقون فهما مبتذلا ل " معيار الممارسة " شبيه بكيف أنّ دى مالو ، مستعيرا كلمات سويزي ، صاغه في مقاله . وفق مثل هذه البراغماتيّة ، إن مُنيت الثورة بالهزيمة ، وهي نتيجة بلا شكّ مريرة ، فمن اليسير إستخلاص أنّ هذا يعود بالضرورة إلى " خطّ " ماو و تعاليمه . لم يكن الأمر إن كان ما دافع عنه ماو **صحيحا أم لا** . و هكذا عوض العلم و تحديده للحقيقة بإعتبارها أكبر إقتراب من العالم الموضوعي ، و يجب التثبّت منها عبر الممارسة و التجريب ، لدينا معيار موضوعي للحقيقة تتحدّد صلوحيّته بمنفعته المفترضة .

لسوء الحظّ ، محاججة دى مالو من أجل إستخدام المنفعة لتحديد الحقيقة ردّ فعل فطريّ لدى الكثير من الماويين . و يتمّ التعبير عن ذلك بعدّة أشكال منها البراغماتيّة الأكثر إبتذالا ل " إذا نجح فهو صحيح " و ما ينجرّ عنه من " إذا لم ينجح فيجب أن يكون خاطئا " . " فشل " الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى (التي يجب أن يستوعب بصفة أصحّ هزيمة) إستغلّها الكثيرون و منهم غالبيّة " الماويين " لتبرير مساندة القادة الجدد في الصين و للتخلّص تماما من الماويّة .

و كذلك من الضروري الإشارة إلى أنّ " معيار الممارسة " كما يفهمه عامة العديد من الناس في الحركة الماويّة (و كما يروّج له دى مالو في مقاله) يعتمد على تحديد ضيّق و فقير " للممارسة " – كتجربة مباشرة و النظريّة فقط كتعميم تجربة تلك الممارسة . الممارسة الإجتماعيّة لا تتمثّل فقط في التجربة الخاصة للنضال المباشر - هنا أهمّية التجربة ، " الممارسة " للصراع على المستوى العالمي و تاريخيّا . و هنا أيضا يجدر بنا أن نذكّر بأنّ ممارسة الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى و الثورات السوفياتيّة و الصينيّة عموما لا تزال بمسافات بعيدة الأهمّ و إنطلاقا منها يجب أن نتفحّص الفهم الموجود و أن نطوّر نظريّة جديدة . (XVI)

و فضلا عن ذلك ، لا تتطوّر النظريّة الثوريّة كتجربة للبروليتاريا نفسها و حسب ، حتّى وإن فُهمت بمعنى أوسع . فهناك مصادر أخرى للمعرفة كالعلوم الطبيعيّة التي تساهم إكتشافاتها و يساهم تقدّمها و يجب أن يساهموا في فهم العالم فهما علميّا تماما أو شيوعيّا ثوريّا . و لنضرب مثالا على ذلك . فهم مبدأ عدم التحديد في الفيزياء أو الخطوات الحديثة في الرياضيّات يمكن أن يساعدوا على تصحيح الماديّة الميكانيكيّة الخطّية ، مساهمة هكذا في فهم أصحّ و أكثر جدليّة و علميّة لقوانين الطبيعة و المجتمع ، و خاصة للعلاقة بين الضرورة و الصدفة .

أليست الماركسيّة نفسها نتاجا لقدر كبير من المعرفة الإنسانيّة المتراكمة في عدّة مجالات من النشاط الإنساني ؟ (45) فمن جهة يبدو هذا بديهيّا حتّى بالنظر إلى المقال الشهير جدّا للينين **" مصادر الماركسيّة الثلاثة وأقسامها المكوّنة الثلاثة"** (46). و لسوء الحظّ مع ذلك ، غالبا ما مرّت صلب الحركة الماويّة دون تحدّى الأبستيمولوجيا البراغماتيّة والتجريبيّة ـ المتوارية عادة خلف تأويل خاطئ لتصريح ماو بأنّ " الممارسة هي معيار الحقيقة ".

ملاحظات نهائيّة :

من سياسة و خطاب دى مالو ينبع إستنتاج مفتاح عن الماركسية / الماويّة كديمقراطيّة راديكاليّة هو نقيصة جوهريّة للثورة الإشتراكيّة : " كلّ الثورات التي ألهمها ماركس لم تتمتّع إلاّ بمساندة أو مشاركة أقلّية لها دلالتها " و عليه من الضروري إجراء " مساومة مع الديمقراطية **الراديكاليّة** لإنشاء تيّار للحصول على مساندة الأغلبيّة " . و رغم أنّنا لا نستطيع التوغّل في نقاش مستفيض لهذا الموضوع ، أودّ أن أسوق بعض الأفكار المقتضبة .

تعود الثورة الإشتراكية موضوعيّا بالفائدة على الغالبيّة العظمى من السكّان لكن هذا **مختلف بما فيه الكفاية عن العمل كما لو أنّ الثورة يجب أن تنتظر الموافقة الصريحة للغالبيّة قبل التقدّم .** الواقع هو أنّ الثورة عامة تبدأ بمساندة قلّة فقط ، رغم وجود القاعدة الماديّة للإنطلاق عموما في نضال أقلّية واعية لجلب و تعبئة في كلّ مرّة فئات أوسع من الشعب. و هذا صحيح أيضا حتّى في البلدان حيث الإضطهاد أشدّ و إستقرار و " شرعيّة " الطبقات المهيمنة ضعيفة جدّا . فمثلا ، أيمكن أن يفكّر أحد حقّا في أنّ في النيبال سنة 1996 كانت الغالبيّة في البلاد قاطبة موافقة على إنطلاق حرب الشعب ؟ أو في البيرو سنة 1980 ؟ أو في الصين سنة 1927 ؟ و لن يكون هذا تأكيدا سخيفا و حسب حين نتحدّث عن بلد بأسره ، فهو ينطبق كذلك إلى درجة كبيرة على المناطق القريبة أين إنطلق النضال المسلّح ، مثل آياكوتشو في البيرو و رولبا في النيبال و بهذا أودّ أن أقول إنّه بلا شكّ هناك قطاع عريض من المجتمع بما في ذلك في مثل هذه المناطق الريفيّة المضطهَدَة جدّا ، يخشى إندلاع النضال الثوري لأنّه يعرف جيّدا فظائع سياسات الطبقات الرجعيّة و مجرميها المسلّحين حين يتجرّأ أحد على رفع رأسه . و قد أشار الحزب الشيوعي البيروفي إلى أنّه كان علي مناضليه أن يعيشوا في كهوف في الستّة أشهر أو السنة الأولى من حرب الشعب في البيرو قبل أن تكسب الجماهير الثقة الكافية في القدرة على مقاومة الثوريين لإيوائهم .

و يمكن أن يتطوّر وضع مشابه أيضا عقب إفتكاك السلطة في كامل البلاد . و بكلمات أخرى ، في أوضاع حيويّة ، لأسباب عديدة يمكن لأغلبيّة أن تقتنع أو تتخطّى خشيتها من مساندة خطّ و قيادة تؤدّى إلى إعادة تركيز النظام الإستغلالي القديم . في الصين ، خلال السنوات الأخيرة للثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى ، ضغط النظام الإمبريالي العالمي و الوعي السياسي المتفاوت لدي الجماهير و عدم قدرة الكثيرين على فهم الطابع الحقيقي و ثقل الخطّ التحريفي ، قد عزّزوا قدرة أتباع الطريق الرأسمالي على كسب مساندة قطاعات هامة من السكّان . و علاوة على ذلك ، ساهمت الأخطاء التي إقترفها الثّوريّون و إن بطريقة ثانويّة ، في ميزان قوى و إستقطاب غير مناسبين في 1976 . إن وقعت المصادقة على إنقلاب هواو كوفينغ عن طريق إنتخابات ، أسيكون أكثر شرعيّة ؟ أكان على الثوريين أن يقبلوا بالثورة المضادة على أنّها " إرادة الشعب " ؟

من الصعوبات الكبرى للثورة الإشتراكية هي أنّها في مصلحة الغالبيّة العظمى من الشعب و يجب أن تعتمد أساسا عليها إلاّ أنّ الجماهير متكوّنة من قطاعات متقدّمة و متوسّطة التقدّم و متأخّرة . و حتّى في ظلّ الإشتراكيّة ، ليست الجماهير العريضة واعية تمام الوعي بمصالحها على المدى البعيد و بكيفيّة بلوغها – و يفرز هذا ضرورة مستمرّة لقيادة شيوعيّة طليعيّة . يجب إستنهاض الجماهير كلّ مرّة أكثر لتعير الإنتباه إلى شؤون الدولة و للمشاركة في إتّخاذ قرارات المجتمع . لكن هذا لا يعنى أنّه بإمكان الجماهير أن تحكم للتوّ و مباشرة دون منح جزء من سلطة دكتاتوريّة البروليتاريا لممثّليها .

فطوال فترة تاريخيّة مديدة ، ستوجد ضرورة الدولة و فضلا عن ذلك ، في العالم حيث لا تزال الإمبريالية تبحث عن الهيمنة ، يشمل هذا أيضا ضرورة وجود جيش قار .

في غالبيّة البلدان الإشتراكيّة المستقبليّة ، لا سيما في البلدان المضطهَدَة الأخرى ، ستوجد إختلافات عميقة بين المدينة و الريف و في كلّ البلدان ستبقى فجوة كبيرة بين العمل الفكري و العمل اليدوي ، و التناقض بين الرجل و المرأة سيكون ميزة محدّدة في المجتمع . و كلّ هذه الإختلافات جزء من الأساس المستمرّ لتراجع الثورة ، و قد أعار ماو الكثير من الإنتباه لكيفيّة التعاطى مع هذه المشاكل . و لئن عولجت بطريقة صحيحة ، يمكن لهذه التناقضات أن تكون جزءا محرّكا لتقدّم المجتمع . لن ينفع أبدا مجرّد تمنّى إضمحلال هذه المشاكل و التناقضات .

و لهذا صلة بنقد أفاكيان لإرساء الإيديولوجيا الرسميّة في بلد إشتراكي كما حصل في كلّ من الإتّحاد السوفياتي و الصين أين أعلن دستور 1975 أنّ " الماركسيّة – اللينينيّة – فكر ماو تسى تونغ هي الأساس النظريّ الذى يقود تفكير أمّتنا " . و فعلا ، في الثورات الماضية و لا شكّ في الثورات الإشتراكية القادمة ، قطاعات واسعة من المجتمع منها قطاع كبير من الأحزاب الممكنة للأنظمة الإشتراكيّة – مثلا ، عديد الذين يمتلكون معتقدات دينيّة – لا يمكن قول إنّهم يشاطرون الإيديولوجيا الشيوعيّة ، و تأكيد عكس ذلك خاطئ و ضار على حدّ سواء . و إضافة إلى ذلك ، التشديد على أنّ المجتمع في مجمله يوالى الإيديولوجيا الشيوعيّة في حين أنّ الكثيرين أو الغالبيّة لم يقع بعدُ كسبها إلى هذه الإيديولوجيا ، يقلّص إمكانيّة إطلاق و بذل الطاقة و التفكير الممكنين ، بأشكال متعدّدة الأوجه و ليس خطّيا ، للمساهمة في التقدّم نحو الشيوعيّة. و مثلما أشار أفاكيان ، سيكون على الحزب الطليعي أن يقود سيرورة جدليّة سيتطلّبها المرّة تلو المرّة " المضيّ إلى حدّ تقطّع الأوصال " و في نفس الوقت مواصلة النضال مع الجميع حول ضرورة الإستمرار في التغيير الثوري . لهذا الأفق ذاته ، أكّد أفاكيان كذلك على ضرورة تشجيع المعارضة في ظلّ الإشتراكيّة و الدمج الصحيح للمبدأ الذى صاغه جون ستوارت ميل " من المهمّ سماع حجج المدافعين المتحمّسين لفكرة و ليس فقط سماع معارضتهم " . (47)

لكن دى مالو ينظر إلى التناقض بين القيادة الشيوعيّة و الجماهير العريضة من منظوره ل " الديمقراطيّة الراديكاليّة " ، و يسيئ فهم كلّ من المشكل و الحلّ . و في وصفه لتطوّر الإشتراكية في الإتحاد السوفياتي ، يستشهد دى مالو و يعتمد على الكثير من المنظر السياسيّ الإشتراكيّ الديمقراطي البريطاني رالف مليباند : " نظرة لينين للدولة الإشتراكية لم تصمد أمام إفتكاك البلاشفة للسلطة " و مع ذلك " لم يتخلّى قط رسميّا على الآفاق التي ألهمتها " **الدولة و الثورة** " . و عندئذ يمكن أن نستخلص أنّ لينين كان يريد " إنشاء مجتمع تكون فيه الدولة مرتبطة إرتباطا لا تنفصم عراه بحكم الشعب وحكمه الذاتي " ؟ ... في هذا الصدد ، المقارنة بين النظريّة و الممارسة لا يمكن أن تكون أبرز من ذلك ... بعد كلّ شيء ما الذى جرى لمجلس السوفياتات – سوفياتات كانت لها سلطة أجهزة حكم ذاتيّة للعمّال و الفلاّحين – ظهرت تقريبا عفويّا بفعل حركة فيفري 1917 ؟ في صائفة 1918 ، لم يعد للسوفياتات غير وجود شكلي ... و في الواقع إعتبرت دكتاتوريّة البروليتاريا غير ممكنة إلاّ عبر قيادة حزب وحيد ؛ و كذلك إستبعدت الإشتراكية المتعدّدة الأحزاب " .

ينبغي أن نشير إلى أنّ تحليل مليباند ل " **الدولة و الثورة** " و الذى يكرّره دى مالو تشويه فجّ . فمليباند / دى مالو يحجب أنّ النقطة الرئيسيّة لكتاب لينين الشهير هو المحاججة من أجل دكتاتوريّة البروليتاريا !

و سيلاحظ القارء المعتاد على جدالات الحركة الماويّة المعاصرة فورا التشابه بين جميع حجج مليباند / دى مالو و الماوي السابق الهندي ك. فينو (48) في بدايات تسعينات القرن الماضي و بصفة أحدث بابوران باتاراي في النيبال و تأويله التحريفي ل " الديمقراطيّة البروليتاريّة " و النفي الإحادي الجانب لتجربة الثورة البروليتاريّة للقرن العشرين . (49)

و هنا أودّ أن أضع سطرا فقط تحت بضعة نقاط . ولئن كانت أشكال و هياكل السلطة السياسيّة و مبادرة الجماهير مهمّة ، فلا وجود لأيّ شكل سحريّ (سوفياتات أو غيرها) قادرة لوحدها أن تضمن السيطرة الفعليّة للجماهير . و لا ظلّ للشكّ أنّ " التصويت العام " المميّز للديمقراطيّة البرجوازيّة قد بيّن المرّة تلو المرّة ، و في البلد تلو البلد ، أنّه وسيلة جيّدة جدّا لتعزيز و تبرير سيطرة أقلّية صغيرة على العمّال (السوفياتات) أو المؤسّسات المشابهة و ستعالج مشكل المشاركة الواقعيّة و الفعليّة للجماهير في مؤسّسات الحكم و لن تضمن ، وهو الأهمّ ، أن توجّه المجتمع نحو التقدّم في تناغم مع مصالح طبقة البروليتاريا في أن تتخطّى في النهاية المجتمع الطبقي . و لا يجب أن ننسى أنّ " الديمقراطيين الراديكاليين " عندما يبلغون السلطة ، يمكن أن يصبحوا أسوأ الطغاة (و مثل ذلك لمّا بلغ جمال عبد الناصر السلطة في مصر ، وظّف

الجيش لسحق ما كان حركة جماهيريّة مزدهرة و أوقف و سجن آلاف الشيوعيين و آخرين جرى تعذيبهم و وضعهم في مخيّمات إعتقال).

قد يبدو ما يلصقه دى مالو بماو من ضرورة النضال ضد " نخبة حاكمة " مماثلا لتعاطى ماو مع الصراع الطبقي في ظلّ الإشتراكيّة . و مع ذلك ، في الواقع ، يفصل التناقض بين القادة و المقادين عن الطابع المتناقض للقاعدة الإقتصاديّة الإشتراكيّة التي توفّر أرضيّة ظهور برجوازيّة جديدة . و بكلمات أخرى ، ستوجد حاجة إلى مخطّطين و إداريين و قادة خلال كامل الفترة الإشتراكيّة : و المسألة الحيويّة هي أي خطّ تطبّقه هذه القوى ، في ما يتّصل بالدور الذى ينهض به محوريّا بشكل خاص قادة الحزب . يجب على الخطّ البروليتاري الثوري أن يقود المجتمع على طريق الإشتراكيّة و هذا يشمل تقليص الإنقسامات الباقية بين القادة و المقادين ، و تقليص فعل قانون القيمة و الحقّ البرجوازي و جعل في كلّ مرّة قطاعات أوسع من الجماهير تلتحق بسيرورات إتّخاذ القرارات إلخ . إذا إنتصر الخطّ الرأسمالي ، كما كان الحال أوّلا مع الإتّحاد السوفياتي و صعود خروتشوف إلى السلطة و تاليا في الصين عقب الإنقلاب إثر وفاة ماو، كافة ندوب الولادة من رحم المجتمع القديم ، كتقسيم العمل و قانون القيمة إلخ توسّعت بصورة هائلة و تمّت العودة إلى فظائع النظام الرأسمالي .

التوجّه نحو النضال ضد " نخبة حاكمة " متجانسة ، و في نفس الوقت ، تجنّب إنجاز تحليل علميّ للتناقضات الطبقيّة و مهام المجتمع الإشتراكي ، كما يفعل دى مالو ، ليس ما علّمنا إيّاه ماو و لا ما مارسه . و أتعس من خلط مضلّل ، هذا الضرب من المقاربة غير الماديّة يمكن أن يفتح الباب على الديماغوجيّة الشعبويّة . فأتباع الطريق الرأسمالي في ظلّ الإشتراكيّة قادرين على هذا مثلما هم قادرون على ذلك الديماغوجيون الشعبويّون في المجتمعات الرجعيّة الراهنة . و هناك الكثير من هذا الصنف من الستارات من الضباب الديماغوجي الحاجب لإنقلاب هواو كوفينغ و دنك سياو بينغ سنة 1976 ، على غرار الهجوم على تشانغ تشنغ على أنّها " منحطّة " للعبها الورق و مشاهدتها أفلاما أجنبيّة . و مجدّدا ، علينا أن نكرّر أنّ الكثير من الرفاق على الصعيد العالمي قد تبنّوا ذلك الموقف .

تتطلّب الشيوعيّة الثوريّة ديمقراطيّة مغايرة للديمقراطيّة البرجوازية ، ديمقراطيّة تعزّز دكتاتوريّة البروليتاريا و تساعد على ضمان جذب في كلّ مرّة أكثر فئات من الجماهير إلى سيرورة إتّخاذ القرارات و تساعد على ضمان أن تواصل الدولة التقدّم نحو الشيوعيّة . (XVII) و من التجربة التاريخيّة نعلم أنّه سيجرى صراع شرس للحفاظ على هذا الطريق كما نعلم أيضا أنّ الهياكل نفسها التي أرستها الثورة يمكن أن تتحوّل إلى أدوات للعودة إلى إستعباد الجماهير و دفع المجتمع إلى العودة إلى الرأسماليّة مثلما حدث في الإتّحاد السوفياتي و في الصين . و كذلك يمكننا أن نلخّص أنّ نقاشا مزدهرا و صراعا إيديولوجيّا على نطاق واسع ، صراعا إيديولوجيّا و سياسيّا ، بمنأى عن " الصبيانيّة " والتعقيد الذى يمكن أن تكون عليه هذه السيرورة ، يخلق ظروفا أكثر مواتاة للبقاء على الطريق الإشتراكي و إلحاق الهزيمة بمحاولات تغيير لون الدولة الإشتراكيّة . و من ناحية أخرى ، جهود التناغم و الإنسجام أو حتّى إيقاف الصراع السياسي و الإيديولوجي تستخدم في نهاية المطاف في مصلحة الذين يرغبون في العودة إلى الرأسماليّة . و مع ذلك ، في الأساس ، إنشاء مجتمع إشتراكي حيوي ليس رئيسيّا مسألة ديمقراطيّة .

و توفّر الخلاصة الجديدة لأفاكيان إطارا جديدا لإطلاق العنان للإبداع و التجريب و تشجيع الصراع و المعارضة و تقليص و تجاوز التناقضات بين العمل الفكري و العمل اليدوي ، بين القادة و المقادين – و كلّ هذا كجزء من التقدّم صوب الشيوعيّة. إنّه يوفّر إطارا جديدا لمعالجة التناقض بين قوى المجتمع المصمّمة على التقدّم نحو الشيوعيّة و القطاعات الأوسع المتناقضة في المجتمع . و يتركّز هذا في صياغة " لبّ صلب مع الكثير من المرونة " . " و هذا يعنى أنّه من جهة يجب أن يوجد توسيع مستمرّ للقوّة في المجتمع ، و الحزب الشيوعي الثوري كعنصرها القيادي ، يكون مقتنعا بصرامة بالحاجة إلى التقدّم نحو الشيوعيّة ، و يلتزم بعمق بالمضي قدما في هذا النضال ، عبر كافة الصعوبات و العراقيل ، و على هذا الأساس و في نفس الوقت ، معزّزين بإستمرار هذا " البّ الصلب " ، يجب أن تتوفّر مساحة و يتوفّر مدى لتنوّع التفكير و النشاط ، في صفوف الناس عبر المجتمع ، " ماضين في عدّة إتّجاهات " ، خائضين في و مجرّبين أفكارا و برامجا و مجالات نشاط مختلفة – و مرّة أخرى ، كلّ هذا يجب أن " يحتضنه " الحزب الطليعي و " اللبّ الصلب " بالمعنى العام و يسمح له بالمساهمة ، عبر عديد الطرق المتباينة ، في التقدّم في الطريق الواسعة نحو هدف الشيوعية . "

ثمّة قاعدة لبناء مجتمع حيويّ و مثير – مجتمع لا يلبّى الحاجيات المتصاعدة للجماهير فحسب بل يكون فيه الاقتصاد و تكون فيه المؤسّسات السياسيّة و الثقافة و العلاقات بين الناس أيضا بصدد التثوير ، و كلّ هذا في سيرورة نحو عالم شيوعي . هناك أساس لصياغة طريق إلى المستقبل يستطيع فيه البشر حقّا أن يزدهروا و يعملوا كحرّاس للكوكب . بكلمات أخرى ، أمامنا تحدّى ألا وهو الشروع في مرحلة جديدة من الثورة الشيوعية .

الهوامش بالأرقام الرومانيّة معرّبة (و نترك الهوامش العاديّة الأخرى بالأنجليزيّة كما وردت فى النصّ الأصلي لكونها تحيل أساسا على مراجع بالأنجليزيّة و روابطها على الأنترنت) :

I- هذا النوع من الفهم يتقاسم الكثير منه مع خطّ لين بياو الذى كان في وقت ما يعتبر رسميّا خليفة لماو تس تونغ ضمن الحزب I الشيوعي الصيني . و قد أثّر لين بياو في عدد كبير من الناس بمؤلّفه **" عاش إنتصار حرب الشعب ! "** الذى نظّر و كثّف عديد المفاهيم و الخطوط الخاطئة لوقتذاك . و من ضمن مشاكل أخرى ، يقدّم خوض حرب الشعب كمعيار حاسم في تقييم صحّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي . و قد تمّ هذا جوهريّا في إطار تحليل أنّ العالم دخل " عصرا جديدا " و بالتالى لم تعد القوانين الأساسيّة التي إكتشفها لينين بشأن عصر الإمبرياليّة صالحة . و وفق هذه النظرة ، ما كانت هناك حاجة إليه للتقدّم بالثورة العالميّة تقلّص ليتساوى و ليتراجع إلى تقدّم صراعات التحرّر الوطني ضد الإمبرياليّة . و قد حظي هذا الخطّ ، في ستّينات القرن العشرين ، بجاذبيّة على خلفيّة مثل هذه النضالات عبر العالم بما فيها النضال البطولي ضد عدوان الولايات المتحدة في الفتنام .

II- إتّبع عديد الآخرين أنور خوجا الألباني الذى إستغلّ الهزيمة في الصين ليشنّ هجوما على كامل تطوير ماو تسى تونغ للماركسيّة. فكان خوجا يدعو إلى العودة إلى نسخة كاريكاتوريّة لفهم ستالين ، محاججا خاصّة ضد مجمل أطروحة ماو حول الطبيعة المتناقضة للإشتراكيّة و الحاجة إلى مواصلة إنجاز الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا .(أنظروا **" في الردّ على الهجوم الدغمائيّ – التحريفي على فكر ماو تسى تونغ "** ، مجلّة **" الشيوعي "** عدد 5 ، 1979 . [و هذا الردّ متوفّر بالعربيّة ضمن كتاب شادى الشماوي **" الماويّة تدحض الخوجيّة و منذ 1979 "** ، مكتبة الحوار المتمدّن] .

III- لقد لخّص بوب أفاكيان ما تعنيه الخلاصة الجديدة فقال : " تعنى الخلاصة الجديدة إعادة تشكيل و إعادة تركيب الجوانب الإيجابية لتجربة الحركة الشيوعية و المجتمع الإشتراكي إلى الآن ، بينما يتمّ التعلّم من الجوانب السلبية لهذه التجربة بابعادها الفلسفية والإيديولوجية و كذلك السياسية ، لأجل التوصّل إلى توجه و منهج و مقاربة علميين متجذّرين بصورة أعمق و أصلب فى علاقة ليس فقط بالقيام بالثورة و إفتكاك السلطة لكن ثمّ ، نعم ، تلبية الحاجيات المادية للمجتمع و حاجيات جماهير الشعب ، بطريقة متزايدة الإتساع ، فى المجتمع الإشتراكي – متجاوزة ندب الماضى ومواصلة بعمق التغيير الثوري للمجتمع ، بينما فى نفس الوقت ندعم بنشاط النضال الثوري عبر العالم و نعمل على أساس الإقرار بأن المجال العالمي و النضال العالمي هما الأكثر جوهرية و أهمّية ، بالمعنى العام – **معا** مع فتح نوعي لمزيد المجال للتعبير عن الحاجيات الفكرية و الثقافية للناس ، مفهوما بصورة واسعة ، و مخوّلين سيرورة أكثر تنوّعا و غنى للإكتشاف و التجريب فى مجالات العلم و الفنّ و الثقافة و الحياة الفكرية بصفة عامة ، مع مدى متزايد لنزاع مختلف الأفكار و المدارس الفكرية و المبادرة و الخلق الفرديين و حماية الحقوق الفردية ، بما فى ذلك مجال للأفراد ليتفاعلوا فى " مجتمع مدني " مستقلّ عن الدولة – كلّ هذا ضمن إطار شامل من التعاون و الجماعية و فى نفس الوقت الذى تكون فيه سلطة الدولة ممسوكة و متطوّرة أكثر كسلطة دولة **ثورية** تخدم مصالح الثورة البروليتارية ، فى بلد معيّن وعالميا و الدولة عنصر محوري ، فى الإقتصاد و فى التوجّه العام للمجتمع ، بينما الدولة ذاتها يتمّ بإستمرار تغييرها إلى شيئ مغاير راديكاليا عن الدول السابقة ، كجزء حيوي من التقدّم نحو القضاء النهائي على الدولة ببلوغ الشيوعية على النطاق العالمي .

بمعنى ما ، يمكن قول إنّ الخلاصة الجديدة خلاصة للتجربة السابقة للمجتمع الإشتراكي و للحركة الشيوعية العالمية بصفة أعمّ ، من ناحية ، و للنقد من أنواع متنوّعة و من وجهات نظر متنوّعة ، لتلك التجربة ، منا ناحية ثانية . و هذا لا يعنى أنّ هذه الخلاصة الجديدة تمثّل مجرّد " تجميع " لتلك التجربة من جهة و للنقد من جهة أخرى . ليست مزجا إنتقائيّا لهذه الأشياء و إنّما هي غربلة و إعادة صهر و إعادة تشكيل على أساس نظرة و منهج علميّين و ماديّين و جدليّين و للحاجة إلى مواصلة التقدّم صوب الشيوعيّة ، كحاجة و هدف هذه النظرة و هذا المنهج يواصلان الإشارة إليها – و بقدر ما تتّخذ و تطبّق بأكثر شموليّة و عمق ، بقدر ما تشير بأكثر صلابة إلى هذه الحاجة و هذا الهدف ."

(بوب أفاكيان ، **" القيام بالثورة و تحرير الإنسانيّة "** الجزء الأوّل ؛

(http://revcom.us/avakian/makingrevolution/)

IV - " إنّ الرجال العظام الذين هيّأوا الأذهان في فرنسا للثورة القادمة كانوا هم أنفسهم ثوريين جدّا . إنّهم لم يعترفوا بأي سلطان خارجي هما كان . و تعرّض الدين و مفهوم الطبيعة و المجتمع و بناء الدولة لنقد لا رحمة فيه . و توجّب على جميع المفاهيم أن تقف أمام محكمة العقل ، فإمّا أن تبرّر وجودها أو تكفّ عن الوجود ...

و نحن نعرف الآن أنّ مملكة العقل هذه لم تكن غير مملكة مثاليّة للبرجوازيّة ، و أنّ العدالة الأبديّة قد وجدت تطبيقها في العدل البرجوازي ، و أنّ المساواة قد تحدّدت بمساواة المواطنين أمام القانون ، و أعلن أنّ الملكيّة البرجوازيّة ...هي من أهمّ حقوق الإنسان الجوهريّة .و لم تظهر دولة العقل – العقد الاجتماعي لروسو – و ما كان من الممكن أن تظهر إلاّ في شكل الجمهوريّة الديمقراطيّة البرجوازيّة . لم يستطع المفكّرون العظام في القرن الثامن عشر مثلهم مثل جميع أسلافهم أن يخرجوا من الإطار الذى وضعه لهم العصر الذى عاشوا فيه ".

(فردريك إنجلز ، **" ضد دوهرينج "** ، الطبعة العربيّة دار التقدّم ، موسكو 1984، صفحة 22-23)

V - " فيما يخصّنى ، ليس لى لا فضل إكتشاف وجود الطبقات في المجتمع المعاصر و لا فضل إكتشاف النضال فيما بينها . فقد سبقنى بوقت طويل مؤرّخون برجوازيّون بسطوا التطوّر التاريخي لهذا النضال بين الطبقات ، و إقتصاديّون برجوازيّون بسطوا تركيب الطبقات الاقتصادي . و إنّ الجديد الذى أعطيته يتلخّص في إقامة البرهان على ما يأتي :

1- أنّ **وجود الطبقات** لا يقترن إلاّ **بمراحل تاريخيّة معيّنة من تطوّر الإنتاج** ، 2- أنّ النضال الطبقي يفضى بالضرورة إلى **ديكتاتوريّة البروليتاريا** ، 3 – أنّ هذه الديكتاتوريّة نفسها لا تعنى غير الإنتقال إلى **القضاء على كلّ الطبقات و إلى المجتمع الخالى من الطبقات** . "

(رسالة **من ماركس إلى يوسف فيدماير** ، 5 آذار / مارس 1852 ؛ ماركس إنجلس ، **" رسائل مختارة "** ، الطبعة العربيّة دار التقدّم ، موسكو1982 ، صفحة 60)

VI- في تعارض مع شكلانيّة " الديمقراطيّة الراديكاليّة " لدى مالو و طابعها اللاطبقي و جهوده لجعل ماركس و ماو على تلك الصورة ، يمكن أن نقارنها بجمل بوب أفاكيان التالية حول الديمقراطية :

" فى عالم يتميّز بإنقسامات طبقية ولامساواة إجتماعية عميقين ، الحديث عن " الديمقراطية " دون الحديث عن **الطبيعة الطبقية** لهذه الديمقراطية ، بلا معنى وأسوأ. طالما أنّ المجتمع منقسم إلى طبقات ، لن توجد " ديمقراطية للجميع " : ستحكم طبقة أو أخرى وستدافع عن وتروّج لهذا النوع من الديمقراطية الذى يخدم مصالحها و أهدافها. المسألة هي : **ما هي الطبقة** التى ستحكم وإذا ما كان حكمها ونظام ديمقراطيتها، سيخدم **تواصل** أو فى النهاية **القضاء** على الإنقسامات الطبقية و علاقات الإستغلال والإضطهاد و اللامساواة المتناسبة معه ." (جريدة " **الثورة** " عدد 273 [+ 22: 1 من كتاب " **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته** " ترجمة شادي الشماوي ، مكتبة الحوار المتمدّن - المترجم])

VII - جوهر المسألة كان أنّ روبيسبيار – و اليعاقبة عامة – قد حاولوا أن يؤسّسوا مجتمعا يحقّق المثل العليا البرجوازيّة للمساواة و الحرّية و حقوق الإنسان العالميّة ، متحاشين منتهى الغناء و منتهى الفقر و إحتكار السلطة و إنعدام سلطة الشعب . و تكمن سخريّة التاريخ ليس في واقع – مثلما يزعم عادة الديمقراطيّون البرجوازيّون و المؤرّخون البرجوازيّون عامة – أنّ في محاولة القيام بهذا لجؤوا إلى الوسائل العنيفة ثمّ صاروا هم ذاتهم ضحايا لذلك ؛ بل يكمن في واقع أنّ هذا المثل الأعلى البرجوازي يتناسب عمليّا أكثر مع موقع البرجوازيّة الصغيرة ...- و مع ذلك هذه الطبقة (أو بدقّة أوفر ، هذه الفئات البرجوازيّة الصغيرة) غير قادرة على حكم المجتمع و إعادة تشكيله على صورتها . و يعزى هذا إلى كون علاقات الملكيّة ذاتها – و حتّى أكثر ، قوانين الإنتاج و التبادل السلعي – التي تعبّر عنا هذه الفئات ، و كامل سيرورة المراكمة التي هم متورّطون فيها حين تمسك بالأمر علاقات الإنتاج البرجوازي ، **تؤدّى لا محالة إلى إستقطاب المجتمع إلى عدد قليل من البرجوازية الكبرى من جهة و جماهير عريضة من البروليتاريين الذين لا ملكيّة لهم من الجهة الأخرى** - و تجد هذه الفئات البرجوازيّة الصغيرة نفسها بينهما . و قوّ ة من هتين القوّتين يجب أن تحكم المجتمع المعاصر".

(بوب أفاكيان ، **" الديمقراطية : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟ "** ؛ بانر براس ، شيكاغو 1986، الصفحة 35).

VIII - لكن ما يستحقّ التذكير به هنا هو تعليق لماركس على التاجر البرجوازي الصغير و المثقّفى الديمقراطي :

" إنّ المغزى يبقى واحدا ، ألا وهو تحويل المجتمعبطريقة ديمقراطيّة و لكنّه تحويل ضمن حدود البرجوازيّة الصغيرة غير أنّه لا يجوز للمرء أن يكوّن فكرة ضيئقة الأفق تزعم أنّ البرجوازيّة الصغيرة ترغب ، من حيث المبدأ ، في تحقيق مصلحتها الطبقيّة الأنانيّة . إنّها تعتقد بالعكس أنّ الشروط **الخاصة** لإنعتاقها هي في الوقت ذاته الشروط **العامة** التي لا يمكن إنقاذ المجتمع العصري و تفادى النضال الطبقي فيه إلاّ ضمن نطاقها . كذلك لا يجوز للمرء أن يتصوّر أنّ ممثّلى الديمقراطيّة هم جميعا بالفعل من أصحاب الحوانيت أو مدافعون متحمّسون عن أصحاب الحوانيت . فإنّهم بحسب تعليمهم و وضعهم الفردي قد يكونون بعيدين عن ذلك بعد السماء عن الأرض . إنّ ما يجعلهم ممثّلين للبرجوازيّة الصغيرة هو أنّهم عاجزون عن أن يتعدّوا في تفكيرهم النطاق الذى لا تتعدّاه حياة البرجوازيين الصغار ، و إنّهم يتوصّلون بالتالى ، نظريّا ، إلى القضايا و الحلول ذاتها التي تساق البرجوازيّة الصغيرة إليها عمليّا بدافع مصلحتها الماديّة و وضعها الاجتماعي . هذه بصورة عمة ، هي العلاقة بين الممثّلين السياسيين و الفكريين لطبقة من الطبقات و بين الطبقة التي يمثّلوها ". "

(كارل ماركس، " **الثامن عشر من برومير لويس بونابرت** "، الصفحة 126 من الطبعة بالأنجليزيّة لدار التقدّم موسكو ، و الصفحة 194-195 من " ماركس إنجلس – **مختارات في أربعة أجزاء** ؛ الجزء الأوّل ؛ الطبعة العربيّة لدار التقدّم ، موسكو .)

IX - و حريّ بنا أيضا ملاحظة أنّه إن لم يقع الحفاظ على الطريق الإشتراكي ، فإنّ حتّى عديد المظاهر الديمقراطيّة التغييرات من أجل الأفضل " التي يقرّ بها دى مالو و آخرون ستتعرّض لخطر محيق . و هناك البعض مثل وليام هنتن الذى ضمّن مقاله دى مالو في البحوث التي جمعها ، الذين كانوا غير واضحين بصدد إطار و طبيعة صراع الخطّن في الصين في السنوات الأخيرة لماو ستى تونغ ، و أدّت بهم هذه الضبابيّة إلى الوقوف إلى جانب معارضى مركز القيادة الثوريّة في الحزب . (هنتن ، " **ماو ، التطوّر في الريف و صراع الخطّين** " و " **حول دور ماو تسى تونغ** "). و بعد بضعة سنوات ، كانت النتائج بحيث أنّ نظام الملكيّ الجماعيّة في الريف الصيني الذى كان مصدرا كبيرا للإلهام لدى هنتن و عديد الآخرين ، تحوّل إلى الفلاحة الرأسماليّة الخاصة . و البون في الثروة الذى قلّصته الثورة قد إتّسع بسرعة ليتّخذ أشكالا جديدة مع مضيّ الرأسماليين بشراسة في تشديد الإستقطاب الطبقي ، منشئين طبقة جديدة من المليارات و نتيجتها المباشرة نزع ملكيّة و تفقير قطاعات كبرى من سكّان الريف و إستيعابهم في ما سمّاه البعض بصفة مناسبة " معامل العالم الهشّة ".

X - بالفعل ، نداء بوب أفاكيان إلى " إثراء " **ما العمل ؟** " [" **القيام بالثورة و تحرير الإنسانيّة** " ، الجزء الثاني] ينسحب بصفة واسعة على كافة البلدان و ليس نابعا بالأساس من وجود (أ عدم وجود) مرحلة ديمقراطية برجوازيّة للثورة و إنّما بالأحرى من الحاجة إلى الثورة البروليتاريّة لتحرير كافة الإنسانيّة و كنس أي مجال للإضطهاد . (www.revcom.us/avakian/makingrevolution/)

XI - و يتجسّد الفهم الخاطئ لدى مالو في موقفه تجاه بابوران باتاراي الذى يستشهد بإيجابيّة بمقاله الذى يُدمج ضمن المقالات التي جمّعها دى مالو . و باتاراي قائد من الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماويّ) و عند كتابة ذلك المقال ، كان وزيراأوّلا للبلاد وقد كسب إعجاب البرجوازيّة العالميّة ل " طاقته التي تنضب " و حتّى ل " إنكار الذات " خدمة لمصلحة الرأسماليّة . إلاّ أنّ خطّ الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماويّ) الذى يجد دى مالو أنّه " يعبّر عن إبداع " عمليّا خطّ لا يمكن أن يقود إلى الرأسماليّة مثلما تروّج الآن و بحيويّة قيادة الحزب . الفضائل الأخلاقيّة شأنها في ذلك شأن عناصر أخرى من الإيديولوجيا كالثقافة يجب في نهاية المطاف أن تعكس و تخدم القاعدة الإقتصاديّة الكامنة أو ، في حال الأخلاق الشيوعيّة ، تعكس القاعدة الاقتصادية المستقبليّة و الصراع الذى يخوضه الشيوعيّون من أجل إيجاده . يمكن أن نكون متأكّدين من أنّ " إنكار الذات " لدى التحريفيين و " عمل أتباع الطريق الرأسمالي الشاق " سيتحوّل تدريجيّا إلى المحسوبيّة و الفساد المرافقين لكلّ نظام إستغلالي و الذى تجده الجماهير بطبيعة الحال مغيظ للغاية لكنّها مظاهر للنظام الإستغلالي ، و ليست سببه . (دى مالو ، صفحة 261)

XII - في كتابه المؤثّر جدّا ، " **عاش إنتصار حرب الشعب** " ، حاجج لين بياو بأنّ أساس تحدد إن كان المرء ثوريّا أم لا هو إن تجرّأ على خوض حرب الشعب ضدّهم ، يعنى إن كان المرء ينخرط في الثورة . هذا هو أهمّ قاعدة فعّالة للتمييز بين الثوريّن و الماركسيّين – اللينينيّين الحقيقيين و المزيّفين " . و فعلا كان هذا النوع من التفكير منتشرا جدّا في أوساط القوى الماويّة الناشئة حديثا في أواخر ستّينات القلرن العشرين . بلإدراك متأخّر ، ليس من العسير رؤية مدى خطأ هذه النظرة . فقد وُجدت عدّة أصناف من القوى التي خاضت الكفاح المسلّح ضد الطبقات الحاكمة ، خاصة في ما سمّاه لين بياو " مراكز عواصف الثورة البروليتاريّة العالميّة " في آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة . وُجدت عدّة قوى ماويّة جديدة

شاركت في النهوض التاريخي إلاّ أنّ عدّة قوى أخرى كانت قوميّة إصلاحيّة شعرت في تلك الفترة من التاريخ بأنّه لم تكن أهدافهم لتتحقّق إلاّ بالمشاركة في الكفاح المسلّح و الوقوف إلى جانب الصين الثوريّة . فياسر عرفات في فلسطين و روبار موغابى في الزنبابوى كانا من المؤيّدين بنشاط للنضال المسلّح الثوريّ في تلك المرحلة وكانوا بالمعنى الواسع " موالين للصين " في ما يتصل بموقفهمالسياسي ، إن لم يكن بالإلتزام الإيديولوجي .

و تجدر الملاحظة بأنّ دى مالو يعتبر أنّ اعلى نقطة للثورة الثقافيّة تمّ بلوغها قبل إجهاض تمرّد لين بياو ضد ماو تسى تونغ و بداية نقد أكثر منهجيّة لبعض الجوانب الخاطئة لخطّ لين بياو . و بوضوح من المرجّح أنّ دى مالو لن يقبل بالكثير من مقترحات لين بياو ، و الكثير منها كان مرتبطابنوعمن الفكر العسكريو " اليساري " المتطرّف . غير أنّ مفهوم الماويّة على أنّها ماركسية " العالم الثالث " القائمة على الفلاّحين ، و نظرة أنّ " ريف العالم "(آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة) كانت تحاصر القلاع الإمبرياليّة لم تكن منحصرة في لين بياو وحده . و فعلا ، وُجدت عناصر في تفكير ماو نفيه و أكثر من ذلك حتّى لدى بعض مسانديه الحقيقيّين ، حيث تعايش هذا الصنف من الفهم مع فهم أصحّ لدى ماو تسى تونغ . لقد كانت قضيّة لين بياو جزءا من سيرورة " إنقسام الواحد إلى إثنين" . و قد أشار الثوريّون في الصين إلى وجود سيرورة من فضح لين بياو نفسه و سيرورة " تعرّفنا على لين بياو " . الجوهر الصحيح و العلمي لتفكير ماو كان بصدد التطوّر بما في ذلك ضد مظاهر " الماويّة " التي كانت قائمة موضوعيّا إلى درجة معيّنة في تفكيره الخاص و بالتأكيد تلقّى دعما واسعافى المعسكر الماوي ، في الصينو عالميّا . (لين بياو ، " **عاش إنتصار حرب الشعب "**

(www.marxists.org/ reference/archive/lin-biao/1965/09/peoples_war/index.htm

XIII - عند كتابة **" كسب العالم ؟..."** في 1980 ، نظّر بوب أفاكيان ببصيرة " لنضع ذلك بشكل إستفزازي نوعا ما ، الماركسيّة بلا لينينيّة إشتراكيّة –شوفينيّة مركزيّة أوروبيّة و ديمقراطيّة إشتراكيّة . و الماويّة بلا لينينيّة قوميّة (و أيضا أحيانا ، إشتراكيّة – شوفينيّة) و ديمقراطية برجوازيّة . و الآن قد يبدو هذا كالمسلّمات البسيطة الجيّدة غير أنّه قابل للتطبيق و له أهمّية حقيقيّة وهو برأيى تلخيص للتجربة لبعض الظواهر الموجودة في العالم و ينبغي خوض صراع أعمق حولها " .

(www.revcom.us/bob_avakian/conquerworld/index.html

XIV - يمارس دى مالو الإنتقائيّة في هذه النقطة . و بطريقة صحيحة يقدّم أنّ " الصلوحيّة العلميّة يجب الحكم عليها في المصاف الأوّل بمساهمتها في القدرة على تفسير الواقع ". بيد أنّه في الجملة الموالية يقول " و إليكم شيئا أدقّ حتّى – على المدى البعيد ، يجب الحكم على الماركسيّة إنطلاقا من ثمار مشروعها الرامى إلى أخذ الإنسانيّة على الطريق المؤدّى إلى المساواة و التعاون و التشارك و التضامن ". (دى مالو ، صفحة 24)

XV - و هذا لا يعنى طبعا أنّ تعاليم ماو أُثبت أنّها صحيحة تماما ففي حين أنّ الخطوط العريضة الأساسيّة لأطروحات ماو قد بيّن صلوحيّتها تفحّص علمي للتجربة ، فإنّ ذات هذه السيرورة من التفحّص و تطبيق الدروس المستخلصة من المجالات الأخرى للتجربة الإنسانية تجعل ممكنا كذلك تشخيص نقائص و أخطاء في جوانب من تفكير ماو تسى تونغ .

- لقد وصف أفاكيان الديناميكيّة القائمة بين النظريّة و الممارسة على النحو التالى : XVI

" العمل فى أي وقت معيّن على أساس نظرتنا و خطّنا، كما حدّدناه جماعيا وعبر هياكل كل الحزب و قنواته و سيروراته، و إستخلاص الدروس من ممارستنا و رفعها إلى مستوى التجريد النظري (لكن أيضا إستخلاص الدروس من عديد المصادر الأخرى ، بما فى ذلك تفكير و رؤى الآخرين و أفكارهم الثاقبة) و تطبيق النظرة و المنهج الشيوعيين العلميين، المادية الجدلية للتوليف / التلخيص المتكرّر لكلّ هذا إلى مستوى أرقى ، فى تطوير و جدال النظرية و الخطّ ، وإعادتهما إلى الممارسة العملية ، على ما ينبغى أن يكون أساسا أعمق و أغنى . و هكذا دواليك ."

(ذُكر في **" القانون الساسي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكيّة "** ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، 2008 ، صفحة 16

. (www.revcom.us/Constitution/Constitution/index.html

[و تعثرون على كامل هذا القانون الأساسي باللغة العربيّة ، ترجمة شادي الشماوي ، ضمن كتابه ، **" المعرفة الأساسيّة لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية "** بمكتبة الحوار المتمدّن - المرتجم].

XVII - كتب أفاكيان : " حكم الشعب – هذه هي الديمقراطيّة – ما سيكون معنى ذلك عندما نكون قد تجاوزنا تقسيم الناس إلى مستغَلّين و مستغِلّين ، عندما لن يوجد سوى التشارك في المجتمع بين الناس ؟ أجل ، سيظلّ هناك تناقض و صراع غير أنّه لن توجد علاقات إجتماعيّة و أشكال مؤسّساتيّة من خلالها جزء من المجتمع يهيمن و يتحكّم و يستغلّ و يضطهِد أجزاء أخرى من المجتمع . لذا ، أيّ معنى عندها سيكون ل " حكم الشعب " لمّا يوجد فقط أناس بترشاركهم الاجتماعي ، لا حاجة لهم إلى و لا وجود بالفعل لأجهزة قمع جزء من المجتمع لجزء آخر ؟ " .

(بوب أفاكيان ، **" ما تحتاج إليه الإنسانيّة – الثورة و الخلاصة الجديدة للشيوعيّة ، حوار صحفي مع بوب أفاكيان "** ، جريد **" الثورة "** عدد 267 ، 1 ماي 2012)

Footnotes

1 As of June 2012, the article could be found at http://mrzine.monthlyreview.org/2009/dmello021109.html. Bernard D'Mello, “What is Maoism?”, in D'Mello, ed., *What Is Maoism and Other Essays,* Cornerstone Publications, 2010.

2 D'Mello, p. 24. Karl Marx, Theses on Feuerbach, *Selected Works,* Vol. I, (Moscow, Foreign Languages Publishing House, 1946), p. 354.

3 D'Mello, p. 43-44.

4 See Bob Avakian, *Unresolved Contradictions, Driving Forces for Revolution.* A Talk, 2009. For more on this and related questions, see other works by Avakian such as the "Dictatorship and Democracy" talk, "Reaching for the Heights and Flying Without a Safety Net", "Birds Cannot Give Birth to Crocodiles, But Humanity Can Soar Beyond the Horizon," "Making Revolution and Emancipating Humanity," in the pamphlet *Revolution and Communism: A Foundation and Strategic Orientation* (May 1, 2008), the recent interview "What Humanity Needs – Revolution and the New Synthesis of Communism," and the GPCR interview in this issue of the journal - and other works that reflect the new synthesis such as the Manifesto of the RCP and the Constitution of the New Socialist Republic of North America. Most articles can be found at revcom.us/avakian/index.html and looking through the titles in the rubic Recent Talks and Writings. The interview "What Humanity Needs" can be found at revcom.us/avakian/what-humanity-needs/interview.html.

5 D'Mello, p. 52.

6 For more on this question, see the Website of the Set the Record Straight project: thisiscommunism.org.

7 See Mao Tsetung's 1967 "Talk to the Albanian Military Delegation," reprinted in *A World To Win* no. 1/1985.

8 *Communism: The Beginning of a New Stage, A Manifesto from the Revolutionary Communist Party, USA*. rev.com.us/Manifesto/Manifesto.html. Hereafter referred to as Manifesto from the RCP. For more discussion of this theme, see Lenny Wolf, "What Is Bob Avakian's New Synthesis?", revcom.us/a/129/New_Synthesis_Speech-

en.html, and Avakian, *Making Revolution and Emancipating Humanity,* Part 1. revcom.us/avakian/makingrevolution/.

9 Karl Marx, "The Class Struggles in France, 1848-1850," *Marx/Engels Selected Works,*Vol 1, (Moscow, Progress Publishers, 1969), p. 282.

10 *Constitution of the Revolutionary Communist Party, USA,* (Chicaog, RCP Publications, 2008), p. 42. Also revcom.us/Constitution/ Constitution/index.html

11 *Manifesto from the RCP* [emphasis added].

12 Report to the Ninth National Congress of the Communist Party of China, April 1969. marxists.org/reference/ archive/lin-biao/1969/04/01.htm.

13 A leading exponent of this kind of view among academics is the French ex-Maoist Alain Badiou. See Raymond Lotta, Nayi Duniya, and K. J. A., "Alain Badiou's 'Politics of Emancipation' A Communism Locked Within the Confines of the Bourgeois World," Demarcations, no. 1., demarcations-journal.org.

14 Jiang Qing (Chiang Ching) was Mao's wife and principal revolutionary leader on the cultural front. For more, see "Chiang Ching: The Revolutionary Ambitions of a Communist Leader," *A World to Win,* no. 19, 1993.

15 Zhang Chunqiao (Chang Chun-chiao played a leading role in the 1967 January Storm in Shanghai and was both a major theoretician and a key leader of the revolutionary headquarters. See his seminal work *On Exercising All-Round Dictatorship over the Bourgeoisie,* (Peking, Foreign Languages Press, 1975).

16 Avakian, *Mao Tsetung's Immortal Contributions,* (Chicago, RCP Publications, 1979).

17 Other important works were to follow that further elaborated on Mao's contributions but also began to explore important areas in which mistakes in practice and conception existed. See, among others, *Conquer the World? The International Proletariat Must and Will,* revcom.us/bob_avakian/conquerworld/index.html; *For a Harvest of Dragons* (Chicago, RCP Publications, 1983); *Democracy: Can't We Do Better than That?* (Chicago, Banner Press, 1986).

18 See *Conquer the World.*

19 See and contrast "On Marxism-Leninism-Maoism," Documents from the Communist Party of Peru (PCP) First Congress, *A World to Win,* no. 11, 1985; and "Marxism-Leninism-Maoism," by the RCP,USA, *A World to Win,* no. 12, 1988.

20 See Avakian, *Advancing the World Revolutionary Movement: Questions of Strategic Orientation* (a talk given shortly after *Conquer the World?,* first published in Revolution magazine, Spring 1984, revcom.us/bob_avakian/advancingworldrevolution/advancingworldrevolution.html. Also see *On Materialism and the Material Basis for Revolution, for Socialism and the Advance to Communism.* bobavakian.net/articles/ basis-goals-methods/.html.

21 RIM's basis of unity at its founding in 1984 was stated in the *Declaration of the Revolutionary Internationalist Movement.* In 1993 RIM also adopted *Long Live Marxism-Leninism-Maoism.*

22 For more on these themes see Bob Avakian, *Bringing Forward Another Way,* 2006. revcom.us/avakian/ anotherway/index.html.

23 For a more thorough discussion on the relation between "equality" and the struggle for communism see Lotta et al., "Alain Badiou..." chapter 1.

24 See Text 38, "From Bourgeois Democrats to Capitalist-Roaders," and Text 39: Capitalist-Roaders Are the Bourgeoisie Inside the Party," in Raymond Lotta, ed., *And Mao Makes Five.* (Chicago, Banner Press, 1978).

25 Marx, *Critique of the Gotha Programme,* The Marx-Engels Reader, Second Edition, ed. Robert Tucker, (W.W. Norton, 1978) p. 530 – 531.

26 Frederick Engels, *The Origin of the Family, Private Property and the State.* Cited by Avakian in his 2005 talk *Views on Socialism and Communism: A Radically New Kind of State, a Radically Different and Far Greater Vision of Freedom, Revolution,* March 8, 2006. revcom.us/avakian/index.html.

27 "On Developments in Nepal and the Stakes for the Communist Movement: Letters to the Communist Party of Nepal (Maoist) from the Revolutionary Communist Party, USA, 2005-2008 (With a Reply from the CPN(M), 2006)," *Demarcations*, no. 1. demarcations-journal.org.

28 See Lotta et al., "Alain Badiou..." chapter IV, "Rereading the Cultural Revolution in Order to Bury the Cultural Revolution."

29 Avakian, *The Loss in China and the Revolutionary Legacy of Mao Tsetung,* (Chicago, RCP Publications, 1978).

30 See Bob *Avakian, Advancing the World Revolutionary Movement,* op. cit.; and *Conquer the World?;* op. cit.

31 Marx, *The Class Struggles in France, 1848-1850.* Marx/Engels Selected Works, Vol 1. (Moscow, Progress Publishers, 1969).

32 Avakian, "The Need for Communists to Be...Communists," *Revolution* no. 38, March 12, 2006. revcom.us/a/038/avakian-need-for-communists.html.

33 *The Tenth National Congress of the Communist Party of China* (Documents), (Peking, Foreign Languages Press, 1973). Maoist documention Project/mao/cpc/10cong.htm#p1

34 Avakian. *Ruminations and Wranglings – On the Importance of Marxist Materialism, Communism as a Science, Meaningful Revolutionary Work, and a Life With a Meaning.* 2009. revcom.us/avakian/ruminations/BA-ruminations-en.html.

35 D'Mello, op cit. Also see especially the Sweezy essay "What Is Marxism?" in this anthology.

36 See *Advancing the World Revolutionary Movement.*

37 Mao, "The Role of the Chinese Communist Party in the National War," *Selected Works,* Vol. 2, (Peking, Foreign Languages Press, 1967), p. 196.

38 Quoted by Avakian, “The Need for Communists to Be … Communists.”

39 Originally in *Peking Review* 39, September 22, 1967. Also quoted by Avakian, "The Need for Communists to Be … Communists.

40 To find the 10th Party Congress, www.prisoncensorship.info/archive/etext/classics/mao/cpc/10cong.html

41 This is part of what he describes as "Enriched What Is To Be Done-ism." See *Making Revolution and Emancipating Humanity,* Part II.

42 Mao, "On Practice", *Selected Readings from the Works of Mao Tsetung,* (Peking, Foreign Languages Press, 1971), p. 68.

43 Paul Sweezy, "What is Marxism?," op. cit., p. 58.

44 See Avakian's discussion of this question in the section "Marxism as a Science – Refuting Karl Popper." Part I of *Making Revolution, Emancipating Humanity.*

45 “Stuck in the 'Awful Capitalist Present' or Forging a Path to the Communist Future? - A Response to Mike Ely's Nine Letters,” by a writing group in the RCP, revcom.us/a/126/polemic-note-en.html.

46 Lenin, Three Sources and Three Component Parts of Marxism, in Karl Marx Selected Works, (Moscow, Foreign Languages Publishing House, 1945), p. 45.

47 "Bob Avakian in a Discussion with Comrades, On Epistemology, On Knowing and Changing the World,” *Observations on Art and Culture, Science and Philosophy,* (Chicago, Insight Press, 2005), p. 43.

48 See CRC,CP(ML), “On Proletarian Democracy,” and Avakian, “Democracy: More Than Ever We Can and Must Do Better Than That,” *A World to Win,* no. 17, 1992.

49 See also the letters from the RCP,USA to the UCPN(M).

+++

ملحق الكتاب 29 ، العدد 29 من " الماويّة : نظريّة و ممارسة " :

فهارس كتب شادي الشماوي

28 كتابا
متوفّرا للتنزيل من مكتبة الحوار المتمدّن

(" الماوية : نظرية و ممارسة " - من العدد 1 إلى العدد 28)

شكر :

و من الشكر جزيله إلى كلّ من ساهم و يساهم بشكل أو آخر فى نشر أعمالنا و نقدها نقدا بنّاء و تقديم المقترحات ... خدمة للثورة البروليتارية العالمية و لقضيّتنا و هدفنا الأسمى ، الشيوعية على المستوى العالمي .

فهرس الكتاب الأوّل :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 1 –

علم الثورة البروليتاريّة العالميّة : الماركسيّة – اللينينيّة - الماويّة

ملاحظتان لا بدّ منهما :

1- الترجمة غير رسمية .

2- الفصل الأول معتمد على ترجمة قديمة أعدّها رفاق جرى العمل على ضبطها قدر الإمكان.

فهرس الكتاب الثاني :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 2 –

6- الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى صراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي.

7- هزيمة الصين الإشتراكية و الدروس المستخلصة للمستقبل.

8- البناء على أساس الموجة الأولى من الثورات الإشتراكية .

خاتمة :

- هدف الماركسية هو الشيوعية.

ملاحظة : المقدّمة العامة و الخاتمة العامّة وملحق الفصل الأوّل بقلم المترجم. و نصوص الفصلين الأوّل و الثاني مقالات وردت فى "الثورة" لسان حال الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية أمّا الفصل الثالث فهو محاضرة لريموند لوتا نشرت فى "الثورة " و ترجمها إلى الفرنسية و نشرها رفاق الكندا على حلقات فى " الأرسنال أكسبريس ".

فهرس الكتاب الثالث :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 3 –

لندرس الثورة الماويّة فى النيبال و نتعلّم منها

(من أهمّ وثائق فترة 1995- 2001)

فهرس الكتاب الرابع :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 4 –

الثورة الماويّة فى الصين : حقائق و مكاسب و دروس

5- الفصل الرابع : من تحرير المرأة إلى إستعبادها :

1- كسر سلاسل التقاليد جميعها .

2- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

3- النساء فى الصين : السوق الحرة الرأسمالية القاتلة.

4- النساء فى الصين : عبودية السوق الحرة .

5- النساء فى الصين : منبوذات السوق الحرة .

6- الفصل الخامس : من مكاسب الثورة الماوية فى الصين :

1- المكاسب الإقتصادية و الإجتماعية فى ظل ماو.

2- المعجزات الإقتصادية للصين الماوية، حين كانت السلطة بيدي الشعب.

3- كيف قضت الثورة الماوية على الإدمان على المخدرات فى الصين.

4- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

5- كسر سلاسل التقاليد جميعها.

6- معطيات و أرقام من كتاب "25 سنة من الصين الجديدة ".

7- الفصل السادس : إلى الأمام على الطريق الذى خطّه ماو تسى تونغ

8 – خاتمة

المراجع : بإستثناء-1- نصّ "مقتطفات من وثيقة صيغت..." و " إلى الأمام...."وهي نصوص للحركة الأممية الثورية صدرت فى "عالم نربحه" و-2- "خرافات حول الماوية " للرفيق أريك سميث من كندا ، و "معطيات و أرقام من كتاب " 25 سنة من الصين الجديدة"، و-3- المقدّمة العامة و مقدّمة "حقيقة ماو تسى تونغ والثورة الشيوعية فى الصين" و مقال "من صين ماو الإشتراكية إلى صين دنك الرأسمالية..." للمترجم ،

فإن بقية الوثائق مرجعها "الثورة" جريدة الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب الخامس :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 5 –

الثورة الماويّة فى النيبال و صراع الخطّين صلب الحركة الأمميّة الثوريّة

- الديمقراطية : الشكل و المضمون.

- الديمقراطية الشكلية فى ظلّ الإشتراكية.

- الجمهورية الشعبية أم أشكال إنتقالية؟

- التكتيك و الإستراتيجيا.

- إقتراح يبعث على التساؤل.

- حول "المجتمع الدولي".

- النيبال و النظام الإمبريالي العالمي.

- الديمقراطية و الفئة الوسطى.

ملاحق رسالة أكتوبر 2005 :

- ملحق 1: "التطوير الخلاق للماركسية-اللينينية-الماوية ، ليس للتحريفية".

- ملحق 2 : "مزيدا من التفكير حول : الدولة الإشتراكية بما هي دولة من نوع جديد".

-3 : **رسالة 19 مارس 2008** إلى أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية :

- تكتيكات مربكة تطبيقا لخطّ إيديولوجي و سياسي خاطئ.

- ما الهدف : "إعادة هيكلة الدولة " أم "تحطيمها"؟

- الديمقراطية البرجوازية و الديمقراطية الجديدة.

- الديمقراطية البرجوازية "النسبية " أم نظام الديمقراطية الجديدة ؟

- الأرض لمن يفلحها.

- حول الدستور و الحكم الطبقي.

- الممارسة الثورية.

- من يخدع من ؟

- تسليح الجماهير بالحقيقة أم نسج الإرتباك عمدا؟

- توغلياتي و توريز.

- إعادة كتابة تاريخ الحزب.

- مزيد التنكّر للحقائق التاريخية.

- البعد العالمي.

- "مزج الإثنين فى واحد " أم "إزدواج الواحد" ؟

- الدفاع عن الإنتقائية.

- جوهر المسألة - الخطّ الإيديولوجي و السياسي.

- ما هو نوع التلخيص الإيديولوجي الذى نحتاج إليه؟

رسالة نوفمبر 2008 إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و إلى كافة أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية:

- المشكلة هي خطّ الحزب

- الديمقراطكية الجديدة والإشتراكية حجرين أساسيين فى الطريق نحو الشيوعية.

- معجزة الإنتخابات؟

-" دون جيش شعبي لن يكون هناك شيئ للشعب "

- جزء من إعادة بعث الشيوعية الثورية أم جزء من قبرها ؟

- تلخيص جديد أم ديمقراطية برجوازية قديمة ممجوجة ؟

- "محرّرو الإنسانية" أم مشيّدو سويسرا جديدة ؟

- صراع خطّين أم صراع " الخطوط الثلاثة" ؟

- خلاصة القول : لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة !

3- رسالة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية:

1 جويلية 2006

-الإطار التاريخي.

- التجربة التاريخية و جهودنا.

- الدولة ، الديمقراطية و دكتاتورية البروليتاريا.

- الجمهورية الديمقراطية - شكل إنتقالي .

- الإستراتيجيا و التكتيك.

- الجمهورية الديمقراطية الجديدة للنيبال و الجيش .

- نقاط ملخصة.

- خاتمة

4-" لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة فى النيبال"، الشيوعيون الثوريون الألمان :.

1- دور النظرية و الأخطاء الإستراتيجية التاريخية.

2- الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و النظرة المادية للمجتمع و التاريخ.

3- الهجوم الإستراتيجي ، "حلّ سياسي" و المنهج العلمي الشيوعي.

4- مسألة الإستراتيجيا ،إتفاق السلام الشامل وإفتكاك السلطة عبر البلاد بأسرها.

5- الواقع وواقع المزج القاتل بين الإختزالية و البراجماتية.

الخاتمة.

5- رسالة مفتوحة إلى الحزب الشيوعى النيبالى الموحّد (الماوى) من الحزب الشيوعى الهندي (الماوى) :

1- تحديد طبيعة الدولة فى النيبال و آفاق إنهاء الثورة.

2- بصدد الحكومة الإئتلافية.

3- بصدد قواعد الإرتكاز و نزع سلاح جيش التحرير الشعبي.

4- بصدد ديمقراطية القرن الواحد و العشرين.

5- بصدد طريق الثورة فى البلدان شبه المستعمرة شبه الإقطاعية : نظرية المزج.

6- بصدد مرحلة الثورة فى النيبال.

7- بصدد فهم الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) للتوسعية الهندية.

8- بصدد الفيدرالية السوفياتية لجنوب آسيا.

9- بصدد طريق برانشندا.

10- بصدد الأممية البروليتارية.

11- لن يتمكّن خط ثوري من إعادة تركيز نفسه و إنجاز الثورة النيبالية إلاّ عبر خوض صراع صارم ضد الخطّ الإنتهازي اليميني الذى تتبعه قيادة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي).

6- ملاحق :

1- حول طرد الحزب الشيوعي النيبالي (ماشال) من الحركة الأممية الثورية.

2- بعض الوثائق النيبالية المتصلة بالإنتخابات و نتائجها في النيبال:

3- تصريحات ماويين آخرين حول النيبال:

فهرس الكتاب السادس :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 6 –

جمهوريّة إيران الإسلاميّة : مذابح للشيوعيّين و قمع و إستغلال و تجويع للشعب

I / الجزء الأول : تحاليل ماوية.

II / الجزء الثاني : تغّير فى التكتيك الأمريكي.

III / الجزء الثالث : مواقف الثوريات الإيرانيات.

VI / الجزء الرابع : الشيوعيون الماويون فى خضم الإنتفاضة.

V / *الجزء* الخامس: بصدد الإنتخابات الإيرانية – بيان الشيوعيين الماويين.

IV/ الفصل الرابع : الإسلام إيديولوجيا و أداة فى يد الطبقات المستغِلّة:

المسار .

نظرة الحركات الإسلامية المعاصرة للعالم و موقفها و برنامجها السياسي وإستراتيجيتها السياسية .

العوامل التي تقف وراء صعود القوى الإسلامية .

الحماقة الإمبريالية ليست أفضل من الأصولية الإسلامية.

الثورة الديمقراطية الجديدة و الاشتراكية – الحل الوحيد.

بدلا من الخاتمة

فهرس الكتاب السابع :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 7 –

مدخل لفهم حرب الشعب الماويّة فى الهند

فهرس الكتاب الثامن :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 8 –

تحرير المرأة من منظور علم الثورة البروليتاريّة العالميّة :

الماركسيّة –اللينينيّة– الماويّة

2- الإعداد للثورة الشيوعية مستحيل دون النضال ضد إضطهاد المرأة **!** و تحرير المرأة مستحيل دون بلوغ المجتمع الشيوعي**!**

3- مساهمات فى تغيير الواقع ثوريا.

الفصل الخامس : الثورة البروليتارية و تحرير النساء

1- الثورة البروليتارية و تحرير النساء ...

2- بيان : من أجل تحرير النساء و تحرير الإنسانية جمعاء.

فهرس الكتاب التاسع :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 9 –

المعرفة الأساسيّة لخطّ الحزب الشيوعيّ الثوريّ ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

(من أهمّ وثائق الحزب الشيوعى الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية)

فهرس الكتاب العاشر:

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 10 –

الثورة البروليتارية فى أشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة

و فى

البلدان الإمبريالية – تركيا و الولايات المتحدة الأمريكية

فهرس الكتاب 11 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 11 –

الماويّة تدحض الخوجيّة ومنذ 1979

1- **بإحترام و حماس ثوريين عميقين، نحيّي القائد الخالد للبروليتاريا الصينية، الرفيق ماو تسى تونغ، فى الذكرى الثالثة لوفاته! – الحزب الشيوعى التركى / الماركسى-اللينينى، جويلية 1979.**

2- **دفاعا عن فكر ماو تسى تونغ؛ وثيقة تبنّاها مؤتمر إستثنائى للحزب الشيوعى بسيلان إنعقد فى جويلية 1979 .**

(و إضافة إستثنائية: " **دحض أنور خوجا** " ؛ **ن. ساموغاتاسان، الأمين العام للحزب الشيوعي بسيلان - 1980.)**

3- "***تقييم عمل ماو تسى تونغ***"؛ **للحزب الشيوعي الثوري الشيلي**- جويلية 1979.

4-**" فى الردّ على الهجوم الدغمائى - التحريفى على فكر ماو تسى تونغ " بقلم ج. وورنار**؛ ماي 1979.

فهرس الكتاب 12 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 18 –

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ

18- الوطنية و الأممية.

19- البطولة الثورية.

20- بناء بلادنا بالعمل المجد و الإقتصاد فى النفقة.

21- الإعتماد على النفس و النضال الشاق.

22- أساليب التفكير و أساليب العمل.

23- التحقيقي و الدراسة.

24- تصحيح الأفكار الخاطئة.

25- الوحدة و التضامن.

26- النظام.

27- النقد و النقد الذاتي.

28- الشيوعيون.

29- الكوادر.

30- الشباب.

31- النساء .

32- الثقافة و الفنّ.

ملحق أعدّه شادي الشماوى:

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ بصدد الثورة الثقافية

===

فهرس الكتاب 13 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 13 –

الماويّة تنقسم إلى إثنين

ردّ على رسالة غرّة ماي للحزب الشيوعى الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية .

(الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني)

الفصل الخامس : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (2): ردّ من المكسيك.

الخلاصة الجديدة للشيوعية و بقايا الماضى .

المنظمة الشيوعية الثورية ، المكسيك – ماي 2012

الفصل السادس : خلافات عميقة بين الحزبين الماويين الأفغانى و الإيرانى :

أ- الحزب الشيوعى الإيرانى (الماركسي – اللينينى – الماوى) سقط فى تيه طريق " ما بعد الماركسية – اللينينية – الماوية ".

ب- نظرة على الإختلافات بين الحزب الشيوعى الإيرانى (الماركسى – اللينينى – الماوي) و الحزب الشيوعى (الماوي) الأفغانى .

فهرس الكتاب 14 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 14 –

برنامج الحزب الشيوعى الإيرانى (الماركسى - اللينينى – الماوى) (2000)

الدولة البروليتارية : الديمقراطية و الدكتاتورية :

الدولة و الحزب :

الدولة و الإيديولوجيا :

الدولة و الدين :

الدولة و الثقافة :

الدولة و الدعاية :

الحرّية و القمع و المقاربة المتصلة بالمعارضة :

الإقتصاد الإشتراكي :

العلاقة بين البلدان الإشتراكية و الثورة العالمية :

تناقضات النظام العالمي و صورة العالم الراهن :

II / الثورة فى إيران و البرنامج الأدنى

لمحة عن إيران المعاصرة

الهيمنة الإمبريالية :

الرأسمالية البيروقراطية :

شبه الإقطاعية :

ثلاثة جبال و علاقات إنتاج مهيمنة على المجتمع :

الدولة شبه المستعمرة فى إيران :

الطبقات و موقعها فى سيرورة الثورة فى إيران

طبقات البرجوازية – الملاكين العقاريين :

البرجوازية الوسطى (أو البرجوازية الوطنية) :

البرجوازية الصغيرة المدينية :

المثقّفون :

الفلاحون :

الفلاحون الأغنياء :

الفلاّحون المتوسّطون :

الفلاحون الفقراء و الذين لا يملكون أرضا (أشباه البروليتاريا فى الريف) :

شبه البروليتاريا المدينية :

الطبقة العاملة :

بعض التناقضات الإجتماعية المفاتيح

النساء :

القوميات المضطهَدة :

الشباب :

طبيعة الثورة و آفاقها

فى المجال السياسى :

فى المجال الإقتصادى :

فى المجال الثقافي :

الخطوات الفورية و إرساء إتجاه التغيير

بشأن العمّال :

بشأن الفلاحين :

بشأن النساء :

بشأن القوميات المضطهَدة :

بشأن التعليم :

بشأن الدين و النشاطات الدينية :

عن بعض أمراض المجتمع

البطالة :

الإدمان على المخدّرات :

البغاء :

المدن المنتفخة و اللامساواة بين الجهات :

السكن :

الوقاية الصحّية و الرعاية الطبيّة :

الجريمة و العقاب :

العلاقات العالمية :

طريق إفتكاك السلطة فى إيران

أدوات الثورة الجوهرية الثلاث : الحزب الشيوعي و الجبهة المتحدة و الجيش الشعبى :

قواعد الإرتكاز و السلطة السياسية الجديدة :

الإعداد للإنطلاق فى حرب الشعب :

نزوح سكّان الريف و نموّ المدن :

مكانة المدن فى حرب الشعب :

الأزمة الثورية عبر البلاد بأسرها :

حول إستراتيجيا الإنتفاضة المدينية :

حرب شاملة و ليست حربا محدودة :

لنتقدّم و نتجرّأ على القتال من أجل عالم جديد!

فهرس الكتاب 15 / 2014 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 15 –

مقال " ضد الأفاكيانيّة " و الردود عليه

نقاش حاد و جدال ملحّ : النضال من أجل عالم مغاير راديكاليّا و النضال من أجل مقاربة علمية للواقع.

لريموند لوتا

I - إختراق حيوي : " القوّة المحرّكة للفوضى " كديناميكية حاسمة للرأسمالية :

أ- خلفية :

ب- حفريّات فى الإقتصاد السياسي :

II - رفض معالجة طبيعة المراكمة الرأسمالية – أو لماذا " الرأسمالي تجسيد لرأس المال " :

مزيدا عن المنافسة :

III - القوّة المحرّكة للفوضى و العالم الذى يخلقه رأس المال و يدمّره :

أ- الأزمة البيئية :

ب- التمدين والأحياء القصديرية :

ت- الأزمة العالمية ل2008-2009 :

IV - الرهانات : نظام لا يمكن إصلاحه ... هناك حاجة إلى الثورة :

- الهوامش :

ملحق : فهارس كتب شادي الشماوي .

فهرس الكتاب 16 / 2014 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 16 –

الأساسيّ من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته

<u>الملحق 1 : رسالة مفتوحة إلى الشيوعيين الثوريين و كلّ شخص يفكّر جدّيا فى الثورة بصدد دور بوب أفاكيان و أهمّيته.</u>

<u>الملحق 2 : فهارس كتب شادي الشماوي .</u>

===

فهرس الكتاب 17 / 2014 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 17 –

قيادات شيوعيّة ، رموز ماويّة

مقدّمة :

الفصل الأوّل : تشانغ تشنغ : الطموحات الثورية لقائدة شيوعيّة

18- لنتجرّا على أن كون مثل تشانغ تشنغ

<u>الفصل الثاني : تحيّة حمراء لشانغ تشن – تشياو أحد أبرز قادة الثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى الماويين</u>

1- التجرّأ على صعود الجبال من أجل تحرير الإنسانية (جريدة " **الثورة** ")

2- عاصفة جانفي بشنغاي (جريدة " **الثورة** ")

3- بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية (تشانغ تشن- تشياو)

4- على رأس الجماهير و فى أقبية سجون العدوّ : مدافع لا يلين عن الشيوعية.(أخبار "**عالم نربحه** ".)

<u>الفصل الثالث : إبراهيم كايباكايا قائد بروليتاري شيوعي ماوي</u>

1- لن ننسى الرفيق إبراهيم كايباكايا

2- موقف حازم إلى جانب حقّ الأمّة الكردية التى تعاني من الإضطهاد القومي الوحشي فى تركيا ، فى تقرير مصيرها

3- خطّ كايباكايا هوطليعتنا – مقتطف من الماوية تحيى و تناضل ، تكسب و تواصل الكسب

4- بصدد الكمالية (مقتطف)

5- المسألة القومية فى تركيا

<u>الفصل الرابع : شارو مازومدار أحد رموز الماوية و قائد إنطلاقة حرب الشعب فى الهند</u>

1- خوض الصراع ضد التحريفية المعاصرة

2- لننجز الثورة الديمقراطية الشعبية بالنضال ضد التحريفية

3- ما هو مصدر التمرّد الثوري العفوي فى الهند؟

4- لنستغلّ الفرصة

5- مهامنا فى الوضع الراهن

6- لنقاتل التحريفية

7- المهمّة المركزيّة اليوم هي النضال من أجل بناء حزب ثوري حقيقي عبر النضال بلا مساومة ضد التحريفية

8- حان وقت بناء حزب ثوري

9- الثورة الديمقراطية الشعبية الهندية

10- الجبهة المتحدة و الحزب الثوري

الفصل الخامس : تحيّة حمراء للرفيق سانموغتسان الشيوعي إلى النهاية

و ملحق : فهارس كتب شادي الشماوي .

==

فهرس الكتاب 18 / 2015 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 18 –

من ردود أنصار الخلاصة الجديدة للشيوعيّة على مقال " ضد الأفاكيانيّة " لآجيث

مقدّمة

1- حول " القوّة المحرّكة للفوضى " و ديناميكية التغيير

نقاش حاد و جدال ملحّ : النضال من أجل عالم مغاير راديكاليّا و النضال من أجل مقاربة علمية للواقع

I - إختراق حيوي : " القوّة المحرّكة للفوضى " كديناميكية حاسمة للرأسمالية :

أ- خلفية :

ب- حفريّات فى الإقتصاد السياسي :

II - رفض معالجة طبيعة المراكمة الرأسمالية – أو لماذا " الرأسمالي تجسيد لرأس المال " مزيدا عن المنافسة :

III - القوّة المحرّكة للفوضى و العالم الذى يخلقه رأس المال و يدمّره :

أ- الأزمة البيئية :

ب- التمدين والأحياء القصديرية :

ت- الأزمة العالمية ل2008-2009 :

IV - الرهانات : نظام لا يمكن إصلاحه ... هناك حاجة إلى الثورة :

- الهوامش :

2- الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي (الجديد)
و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية :

مقدّمة

الجزء الأوّل : الوضع اليوم و إدعاءات الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي

الجزء الثاني : الحركة الشيوعية العالمية و الحزب الجديد

المنعرج اليميني فى النيبال : مناسبة للغبطة لدى بعض المراكز

ملاحظات مقتضبة ختاميّة عن الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي و الصراع صلب الحركة الأممية الثورية ، و الخلاصة الجديدة للشيوعية :

ملحق من إقتراح المترجم

الثورة النيبالية و ضرورة القطيعة الإيديولوجية و السياسية مع التحريفية .

كلمة للمترجم :

مفترق طرق حاسم : رسالة مناصر للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي المعاد تنظيمه .

3- الشيوعية أم القومية ؟

مقدّمة

1- موقفان متعارضان ، هدفان مختلفان و متعارضان جوهريا :

2- مواصلة تطوير علم الشيوعية أم التمسك بأخطاء الماضى و تمجيدها ؟

3- النظام الرأسمالي – الإمبريالي نظام عالمي :

4- فى البلدان المضطهَدَة : القتال من أجل بلد رأسمالي مستقلّ أم من أجل ثورة تتبع الطريق الإشتراكي كجزء من الإنتقال إلى الشيوعية العالميّة ؟

5- إدماج بلدان فى النظام الرأسمالي – الإمبريالي جعل الثورة الإشتراكية ممكنة فى البلدان الأقل تطوّرا رأسمالياّ :

6- البروليتاريا : طبقة أمميّة فى الأساس أم " بصفة خاصة قوميّة شكلا و مميّزات " ؟

7- الأساس الفلسفي للأممية البروليتارية :

8- عدم قدرة القوميّة الضيّقة على تصوّر السيرورة العالميّة و تفاعلها الجدلي مع التناقضات الداخليّة للبلدان :

9- ما الذى تعلمنا إيّاه التجربة التاريخية الحقيقيّة للثورة البلشفيّة ؟

10 – هل أنّ حملة الحروب الإمبريالية محدّدة أساسا بخصوصيّات كلّ بلد ؟

11- القوميّة و الإقتصادويّة بإسم " الخصوصيّات " أم تغيير الظروف إلى أقصى درجة ممكنة للقيام بالثّورة ؟

12- الأممية – العالم بأسره فى المصاف الأوّل :

13- فى البلدان الإمبريالية " نداء العزّة القوميّة " أم تطبيق الإنهزاميّة الثوريّة ؟

14- الإيديولوجيا الشيوعية فى البلدان المضطهَدَة يجب أن تكون أيضا الشيوعية و ليس القومية :

15- التغيير التاريخي – العالمي من النظام الرأسمالي – الإمبريالي إلى النظام الشيوعي العالمي :

16- الشيوعية أم القوميّة ؟

الهوامش :

4- آجيث – صورة لبقايا الماضى

I - تمهيد : طليعة المستقبل أم بقايا الماضي

II - الثورة الشيوعية و الشيوعية كعلم و مهمّة البروليتاريا ولماذا الحقيقة هي الحقيقة :

- رفض آجيث للشيوعية كعلم

- الماديّة التاريخية : نقطة محوريّة فى الماركسية

- المنهج العلمي فى كلّ من العلوم الطبيعية و الإجتماعية

- آجيث يرفض المنهج العلمي فى العلوم الإجتماعية

- آجيث وكارل بوبر

III - الموقع الطبقي و الوعي الشيوعي :

- " مجرّد المشاعر الطبقية " و الوعي الشيوعي

- دفاع آجيث عن تجسيد البروليتاريا

- مساهمة لينين الحيوية فى الوعي الشيوعي

- البروليتاريا وكنس التاريخ

- القومية أم الأممية ؟

- التبعات السلبيّة للتجسيد فى الثورات الإشتراكية السابقة

IV - هل للحقيقة طابع طبقي ؟

- " الحقيقة الطبقية " كنزعة ثانوية فى الثورة الثقافية

- آجيث و التحزّب الطبقي

V - إستهانة آجيث بالنظريّة :

- نظرة ضيّقة للممارسة و الواقع الإجتماعي

- " الممارسة المباشرة " لماركس و إنجلز لم تكن مصدر تطوّر الماركسية

- يجب على التحزّب أن يقوم على العلم

- الدروس المكلفة ل" الحقيقة السياسيّة "

VI - بعض النقاط عن الفلسفة و العلم :

- مكانة الفلسفة فى الماركسية

- آجيث يفصل بين الفلسفة و العلم

- مقاربة آجيث شبه الدينيّة للمبادئ الأساسية للماركسية

- الحقيقة المطلقة و الحقيقة النسبيّة و تقدّم المعرفة

- إلى أي مدى يمكن أن نكون متأكّدين من معرفتنا ؟

VII - الثورة الشيوعية ضرورية و ممكنة لكنّها ليست حتميّة ... ويجب إنجازها بوعي :

- ماركس و أفاكيان بصدد " الترابط المنطقي " فى التاريخ الإنساني

- الديناميكية الحقيقية للتاريخ و النظرات الخاطئة صلب الحركة الشيوعية

- الحرّية و الضرورة و تغيير الضرورة

- فهم آجيث الخاطئ للحرّية و الضرورة

- قفزة لكن ليس إلى حرّية **مطلقة**

- لا جبريّة فى الثورة

- كيف نفهم القوانين التاريخية ؟

VIII - آجيث يجد نفسه بصحبة ما بعد الحداثة و الدين :

- تقييم أفاكيان الجدلي للتنوير

- هجوم آجيث على التنوير و تشويهه لوجهات نظر أفاكيان

- عن موقف ماركس تجاه الحكم البريطاني فى الهند

- معارضة آجيث ل " الوعي العلمي "

- العلم و المعرفة التقليدية

- آجيث يسقط فى أحضان ما بعد الحداثة

- تعويض الحقيقة ب " رواية شخصية "

- نقد غير علمي للرأسمالية

- معانقة آجيث لمدرسة فرانكفورت

- آجيث و التقليد الكانطي

IX – آجيث يدافع دفاعا بشعا و معذّبا عن الدين و سلاسل التقاليد :

- وضع حجاب على إضطهاد النساء

- التذيّل للقومية و تجميل الأصولية

- أفاكيان بشأن الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " و الصراع الإيديولوجي مع الدين

- الإختيار بين الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " أم التقدّم بطريقة أخرى ؟

X - الخاتمة

فهرس الكتاب 19 / 2015 :

الماوية : نظرية و ممارسة – 19 –

نصوص عن الإنتفاضات فى بلدان عربيّة من منظور الخلاصة الجديدة للشيوعيّة

الفصل الرابع : مصر و تونس و الإنتفاضات العربية : كيف وصلت إلى طريق مسدود و كيف الخروج منه - مقال من مجلّة " تمايزات " :

ملحق 1 : من المقالات الهامة الأخرى .

ملحق2 : مقال إسرائيل ، غزّة ، العراق و الإمبريالية : المشكل الحقيقي والمصالح الحقيقيّة للشعوب

ملحق 3 : فهارس كتب شادي الشماوي.

===

فهرس الكتاب 20 / 2015 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 20 –

نضال الحزب الشيوعيّ الصينيّ ضد التحريفيّة السوفياتية 1956 - 1963 :

تحليل و وثائق تاريخية

==

فهرس الكتاب 21 / 2015 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 21 –

مقدّمات عشرين كتابا عن " الماويّة : نظريّة و ممارسة "

و فى ثنايا هذا العدد 21 من " **الماوية : نظريّة و ممارسة** " ، فضلا عن المقدّمات التى ألفّنا للأعداد السابقة لهذه المجلّة ، بعض الخواتم من تأليفنا و أيضا ملاحق أردناها مكمّلة و متمّمة لمضامين الكتاب برمّته . و هذه الملاحق هي على التوالي :

الملحق 1 : قراءة فى شريط – العدو على الأبواب – ستالينغراد (Enemy at the gates)

الملحق 2 : فهارس كتب شادي الشماوي

الملحق 3 : روابط تحميل العشرين كتابا من مكتبة الحوار المتمدّن

الملحق 4 : كتابات شادى الشماوى و تواريخ نشرها بموقعه الفرعي فى الحوار المتمدّن

(لتنزيل الكتاب بأكمله نسخة بى دة أف ، عليكم بمكتبة الحوار المتمدّن)

http://www.4shared.com/file/p--2OUQsce/__-______-__.html

====================================

فهرس الكتاب 22 / 2015 :

الماوية : نظرية و ممارسة – 22 –

المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ

تأليف بوب أفاكيان

فهرس الكتاب :

==========

تفاصيل الفصول السبعة (إضافة من المترجم) :

فهرس الكتاب 23 / 2016 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 23 –

لا تعرفون ما تعتقدون أنّكم " تعرفون " ...

الثورة الشيوعيّة و الطريق الحقيقيّ للتحرير :

تاريخها و مستقبلنا

ريموند لوتا

عدد خاص من جريدة " الثورة " (عدد 323) ، 24 نوفمبر 2013

www.revcom.us

http://revcom.us/a/323/you-dont-know-what-you-think-you-know-en.html

محتويات الكتاب 23 :

- أكاذيب الفكر التقليدي

- نحتاج إلى ثورة و عالم جديد تماما

الفصل الثانى : بزوغ الفجر – كمونة باريس

- إستخلاص ماركس الدرس الأساسي من الكمونة : نحتاج إلى سلطة دولة جديدة

الفصل الثالث : 1917 – الثورة تندلع عبر روسيا

- لينين و الدور الحيوي للقيادة الشيوعية
- نوع جديد من السلطة
- تغييرات راديكالية فى وضع النساء
- التغييرات الراديكالية : الأقلّيات القومية
- الفنون
- جوزاف ستالين
- بناء إقتصاد إشتراكي
- الصراع فى الريف
- تغيير الظروف و تغيير التفكير
- منعرج : سحق الثورة فى ألمانيا و وصول النازيين إلى السلطة
- الأخطاء و النكسات
- مسألة توجّه
- نوعان من التناقضات
- علاقة حيويّة : التقدّم بالثورة العالمية و الدفاع عن الدولة الإشتراكية

الفصل الرابع : ربع الإنسانيّة يتسلّق مرتفعات تحرير جديدة

- ولادة ثورة
- الصين عشيّة الثورة

المـلاحق

بحثان حول الإبستيمولوجيا :

- " لكن كيف نعرف من الذى يقول الحقيقة بشأن الشيوعية ؟ "

- ردّ قارئ لجريدة " الثورة " على " أين الخطأ فى " التاريخ من خلال المذكّرات " " ؟

التاريخ الحقيقى للثورة الشيوعية

==

ملاحق إضافية من إقتراح المترجم :

الملحق 1 : لهوغو تشافيز إستراتيجيا نفطية ... لكن هل يمكن لهذا أن يقود إلى التحرير ؟

الملحق 2 : كوريا الشماليّة ليست بلدا إشتراكيّا

الملحق 3 : الإستعمار من جديد بإسم التطبيع وراء إعادة إرساء العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة و كوبا

الملحق الرابع : فهارس كتب شادى الشماوى

=====================================

فهرس الكتاب 24 / 2016 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 24-

الصراع الطبقيّ و مواصلة الثورة في ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا :

الثورة الثقافيّة البرولتاريّة الكبرى قمّة ما بلغته الإنسانيّة في

تقدّمها صوب الشيوعيّة

بمناسبة الذكرى الخمسين للثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى التى ألهمت و لا تزال تُلهم عبر العالم قاطبة ملايين الشيوعيين الثوريين و الجماهير الشعبيّة التوّاقين لتحرير الإنسانيّة و تشييد عالم آخر ضروري و ممكن ، عالم شيوعي ، و مساهمة منّا في مزيد التعريف بهذه الثورة و رفع رايتها الحمراء ، أتممنا صياغة فصول أضفناها إلى أخرى سبق نشرها لتأليف هذا الكتاب الذى ننشر اليوم.

الفصل الخامس :

الثورة الثقافية فى الصين...الفنّ والثقافة...المعارضة والصراع...والمضيّ بالثورة نحو الشيوعية (بوب أفاكيان)

خاتمة الكتاب

ملاحق (3) : 1- قرار ال16 نقطة.
2 - ماو تسى تونغ يحلّل الثورة الثقافية .
3- الرئيس ماو تسى تونغ يناقش مظاهر البيروقراطية.

المراجع الأساسية المعتمد
أدبيات إضافية متوفرة على الأنترنت

فهارس كتب شادي الشماوي

=======================================

فهرس الكتاب 25 / 2016 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 25 –

عن بوب أفاكيان و أهمّية الخلاصة الجديدة للشيوعية

تحدّث قادة من الحزب الشيوعيّ الثوريّ ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

إضافات إلى الجزء الأوّل من الكتاب

(1)

Prisoners write about Bob Avakian

What People Are Saying about Bob Avakian and *BAsics*

Comments and Reviews

(2)

سيرة مخترصة لبوب أفاكيان

المزيد بصدد بوب أفاكيان

عن موقع

Revolution Newspaper | revcom.us

=================================

(3)

حول القادة و القيادة

======================================

الجزء الثانى : عن أهمّية الخلاصة الجديدة للشيوعية

1- ما هى الخلاصة الجديدة لبوب أفاكيان؟

لينى وولف ، جريدة " الثورة " عدد 129 ، 18 ماي 2008

2- إطار نظري جديد لمرحلة جديدة من الثورة الشيوعية

مقتطفات من كتاب : **" العلم و الثورة – حول أهمّية العلم و تطبيقه على المجتمع و الخلاصة الجديدة للشيوعية و قيادة بوب أفاكيان " لأرديا سكايبرك - 2015**

3- الخلاصة الجديدة للشيوعية : التوّجه و المنهج و المقاربة الجوهريّين و العناصر الأساسيّة

بوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية - صائفة 2015

جريدة " **الثورة** " عدد 395 ، 13 جويلية 2015

3- إضافات إلى الجزء الثاني من الكتاب

(1)

ستّة قرارات صادرة عن اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعى الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

(1 جانفي 2016 ، نشرت فى جريدة " **الثورة** " عدد 423 ، 25 جانفي 2016)

(2)

حان وقت التنظّم من أجل ثورة فعلية

رسالة من اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعى الثورى ، الولايات المتّحدة الأمريكية

(جريدة " **الثورة** " عدد 440 ، 23 ماي 2016)

(3)

مبادئ نوادى الثورة

(جريدة " **الثورة** " عدد 444 ، 20 جوان 2016)

(4)

كيف يمكننا الإنتصار – كيف يمكننا فعلا القيام بالثورة

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية

جريدة " **الثورة** " عدد 457 ، 19 سبتمبر 2016

===

ملاحق الكتاب 25

(1)

إلى الشيوعيّين الثوريّين فى العالم و أفغانستان : قطيعتنا مع الحزب الشيوعى (الماوي) الأفغانى

مجموعة الشيوعيّين الثوريّين - أفغانستان – سبتمبر 2015

(2)

حاجة ملحّة : رفع راية الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان ،

بيان للمجموعة الشيوعيّة الثوريّة بكولمبيا ، غرّة ماي 2016

الإطار الجديد الضروري للمرحلة الجديدة للثورة !

(3)

هذا نداء إستعجالي لغرّة ماي ! لا وقت نضيّعه !

عالم مغاير جذريّا ممكن ! فقط إن رفعنا راية الخلاصة الجديدة للشيوعية !

الحزب الشيوعى الإيرانى (الماركسى – اللينينى – الماوى) - غرّة ماى 2016

(4) فهارس كتب شادي الشماوي

==

==
================

فهرس الكتاب 26 / 2017

الماويّة : نظريّة و ممارسة -26-

المعرفة الأساسيّة للحزب الشيوعىّ الصينىّ (الماويّ – 1974)

IV- الخط الأساسى للحزب

الخط الأساسى هو قوام حياة الحزب

ينبغى الاعتراف تماما بالطابع المتواصل للصراع الطبقي و الصراع بين الخطين

يجب التحلّى بالرّوح الثوريّة للذهاب ضد التيّار

يجب تسوية العلاقة بين "الحبل الرئيسى " و "عقد الشبكة " بطريقة صحيحة

V- مبادئ الحزب الثلاثة حول الأشياء التى يجب القيام بها و الأشياء الثلاثة التى يجب عدم القيام بها

ممارسة الماركسية و نبذ التحريفية

العمل من أجل الوحدة و نبذ الانشقاق

التحلى بالصراحة و الاستقامة و عدم حبك المؤامرات و الدسائس

"الأشياء الثلاثة التى يجب القيام بها و الأشياء الثلاثة التى يجب عدم القيام بها " هى المبادئ الأساسية التى يجب على أعضاء الحزب احترامها

VI - القيادة الموحّدة للحزب

يجب أن يقود الحزب كلّ شيء ، هذا مبدأ أساسى فى الماركسية – اللينينيّة

القيادة الموحّدة للحزب هى بالأساس قيادة إيديولوجيا و خطّ سياسى

المسك الجيّد بالمسائل الهامة و تعزيز القيادة الموحّدة للحزب

يجب على أعضاء الحزب الشيوعى أن يخضعوا عن وعى للقيادة الموحّدة للحزب وأن يحافظوا عليها

VII - المركزية الديمقراطية فى الحزب

المركزية الديمقراطية هى المبدأ التنظيمى للحزب

المسك بالعلاقة بين القيادة الجماعية و المسؤولية الشخصيّة بطريقة صحيحة

تطوير الديمقراطية داخل الحزب و الحفاظ على الوحدة الممركزة

VIII- الإنضباط فى صفوف الحزب

الإنضباط ضمان لتطبيق الخطّ

الإحترام الواعي للإنضباط الحزبي

التطبيق الصحيح للإنضباط الحزبي

IX- أساليب عمل الحزب الثلاث العظمى

أساليب العمل الثلاث العظمى عادة جيدة فى حزبنا

أسلوب دمج النظرية بالممارسة

أسلوب الحفاظ على علاقات وثيقة مع الجماهير

أسلوب عمل ممارسة النقد و النقد الذاتى

X – تكوين خلف قضيّة الثورة البروليتاريّة

تكوين خلف قضيّة الثورة مهمّة إستراتيجيّة هامة

تكوين خلف القضيّة الثوريّة و إختيارهم فى خضمّ النضال

ليعمل الحزب كلّه لإنجاز عمل تكوين خلف للثورة على أفضل وجه

XI – مهام منظّمات الحزب القاعدية

أهمّية الدلالة التى يكتسيها تعزيز بناء منظّمات الحزب القاعدية

المهام القتالية لمنظمات الحزب القاعدية

يجب على منظّمات الحزب القياديّة أن تضمن بناءها الخاص

XII - الدور الطليعي و النموذجي لأعضاء الحزب

الدور الطليعى و النموذجى لأعضاء الحزب فى غاية الأهمية

للنهوض بالدور الطليعى و النموذجى يجب أن نتّبع " المتطّلبات الخمس "

عن وعى نعيد تشكيل نظرتنا للعالم بهدف الإنخراط فى الحزب إيديولوجيا

XIII- ظروف الإنخراط فى الحزب و إجراءاته

XIV- رفع راية الأممية البروليتارية

==

===

فهرس الكتاب 27 / 2017

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 27 -

متابعات عالميّة و عربيّة – نظرة شيوعيّة ثوريّة (2016-2013)

5 - الحضارة الغربيّة : " الموت للمهاجرين ! "

6 - عالم من المهاجرين و الإمبريالية و الحدود : غير مقبول و غير ضروري

7 - عدد كبير من الموتى فى البحر الأبيض المتوسّط : " لم يحدث شيء "

8 - أفغانستان : عقود ثلاثة من الهجرة الجماعية

9 - إلى متى يتواصل القبول بالمجازر فى البحر ؟

10 - منظّمة أطبّاء بلا حدود تتّخذ موقفا ضد السياسة الخبيثة للإتحاد الأوروبي تجاه مواجهة العدد التاريخي المتصاعد من المهاجرين إلى عالم لا يرحّب بهم

المحور الرابع : الإنتخابات الأمريكيّة و صعود الفاشيّة وضرورة ثورة شيوعية حقيقيّة وإمكانيّتها

الإنتخابات الأمريكية 1 : مزيد الإضطهاد والجرائم ضد الإنسانيّة فى الأفق... وضرورة ثورة شيوعية حقيقيّة وإمكانيّتها

1- المرشّحون للرئاسة يصرّحون بنيّتهم إقتراف جرائم حرب
2- الولايات المتّحدة الأمريكيّة : حول صعود دونالد ترامب ... و ضرورة ثورة حقيقيّة وإمكانيّتها

3- مقاربة علميّة جدّية لما يقف وراء صعود ترامب

بعض مؤلّفات بوب أفاكيان حول كيف وصلنا إلى هذا الوضع – و إمكانية شيء أفضل بكثير

4- ردّا على ترامب : الإجهاض ليس جريمة !

5- سؤالان إلى لويس فراخان و " أمّة الإسلام "

6- لنتعمّق فى أطروحات برنى سندارس

الإنتخابات الأمريكية 2 : ترامب و كلينتون وجهان لسياسة برجوازية إمبريالية واحدة

1- سيكون إنتخاب الديمقراطيين دعما لجرائم الحرب

2- لا – ليست إمبراطوريتنا !

ردّ ثوري على خطاب هيلاري كلينتون ضد ترامب

3- لماذا لا يجب علينا أن نصفّق لحكّامنا... و لماذا من الأفضل أن يخسروا حروبهم

الإنتخابات الأمريكية 3 : نقد الشيوعيين الثوريين لمواقف الخضر و نعوم تشومسكى

1- إلى الخضر : فى ظلّ هذا النظام لا تغيّر الإنتخابات أبدا أي شيء

نحتاج إلى الإطاحة بهذا النظام و ليس إلى التصويت له

نحتاج إلى ثورة فعلية !

2- لسنا فى حاجة إلى " التصويت للأقلّ شرّا " أو إلى " التصويت لطرف ثالث "

نحن فى حاجة إلى الإطاحة بالنظام برمّته فى أقرب وقت ممكن !

الإنتخابات الأمريكية 4 : موقف الحزب الشيوعي الثوري من إنتخاب فاشيّ لعين رئيسا للولايات المتحدّة

1- وقع إنتخاب فاشيّ لعين رئيسا للولايات المتحدّة –

لا يجب أن توجد أيّة أوهام بأنّ الأمر سيكون على ما يرام . لن يكون كذلك

2- لماذا لن أصوّت فى هذه الإنتخابات و لماذا يجب أن لا تصوّتوا أنتم أيضا ... و لماذا أدافع عن حقّ السود و غيرهم من المضطهَدين فى الإنتخاب !

3- لماذا لم تكن هيلاري كلينتون قط و ليست و لا يمكنها أن تكون مدافعة عن النساء

الإنتخابات الأمريكيّة 5 : بإسم الإنسانيّة ، نرفض القبول بأمريكا فاشيّة

1- بإسم الإنسانيّة ، نرفض القبول بأمريكا فاشيّة

إنهضوا ... إلتحقوا بالشوارع ... إتّحدوا مع الناس فى كلّ مكان لبناء مقاومة بكلّ السبل الممكنة

لا تقفوا : لا تساوموا ...لا تقبلوا بالتسويات ، لا تتواطؤوا

2- كيف يسير هذا النظام الرأسمالي – الإمبريالي و لماذا يجب الإطاحة به

3- أسئلة تطرح عادة بشأن الثورة والشيوعية (فى الولايات المتّحدة الأمريكية)

الإنتخابات الأمريكية 6 : ما هي نواة فريق إدراة دونالد ترامب الفاشي ؟ و ما هي إستراتيجيّته ؟

1- مع تشكيل ترامب لفريقه الفاشيّ ، يجب ان تتعزّز المقاومة !

2- مايك بانس : مسيحي فاشيّ ضربات قلبه ليست بعيدة عن رئاسة الولايات المتحدة

3- إعادة تكليف بانون الفاشي كأكبر القادة الإستراتيجيّين لدي ترامب

4- مستشار الأمن القومي لدى ترامب : الجنرال مايك فلين – " فى حرب مع الإسلام "

5- للإشراف على وكالة المخابرات المركزيّة إختار ترامب : مايك بمبيو – داعية للتعذيب و تمزيق حكم القانون

6- المدّعى العام لترامب جاف سيشينز : فارض تفوّق البيض و التطرّف البطرياركي

7- دونالد ترامب لن " يستعيد مواطن الشغل الأمريكيّة " ...بل بإسم مواطن الشغل الأمريكيّة سيرتكب فظائعا جديدة

8- ما يعنيه فوز ترامب للنساء : خطر لا يضاهى و الحاجة إلى قدر كبير من المقاومة الجماهيريّة

9- فوز ترامب – كارثة على البيئة تتطلّب مقاومة جماهيريّة

10- ترامب يهاجم الممثّلين ويقدّم فكرة عن مقاربته للفنّ والمعارضة : لن يسمح بأي نقد

11- إلى الذين لا زالوا ينظرون إلى برنى سندارس ...

12- يقول أوباما وكلينتون " لنتجاوز الأمر " لكنّ عشرات الآلاف يتمرّدون فى الشوارع

13- دفوس السكرتيرة الجديدة لل" تعليم " : الإقتطاع من التعليم العمومي و فرض المسيحيّة الفاشيّة

المحور الخامس : نظام عالمي إمبرياليّ قابل للإنفجار

1 ـ إستفتاء فى فنيزويلا : مكيدة الولايات المتحدة و حدود مشروع هوغوتشافيز و تناقضاته

2 ـ كوريا الشمالية ـ الولايات المتحدة : من يمثّل تهديدا نوويّا حقيقيّا ؟ و ما هي خلفية النزاع ؟

الجزء الثانى : متابعات عربيّة

فهرس الكتاب 28 / 2017

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 28 -

ماتت الشيوعية الزائفة ...

عاشت الشيوعية الحقيقية !

تأليف بوب أفاكيان

محتويات العدد 28 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " ، فضلا عن مقدّمة المترجم :

ماتت الشيوعية الزائفة ... عاشت الشيوعية الحقيقية !

ب- مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا :

4/ الماركسية ـ اللينينية ـ الماوية : توليف كلّي القدرة لأنّه صحيح

الجزء الأوّل

الهجوم الراهن ضد الماركسيّة : المراوغات و الردود

1/ أسطورة الأسواق الحرّة فى مقابل الإشتراكية الحقيقية :

2/ بصدد البرجوازية و " الطبيعة الإنسانية " و الدين : الردّ الماركسى :

3/ مرّة أخرى حول الإقتصاد البرجوازيّ و خلط البرجوازيّة للأمور:

4/ من يدافع حقا عن التحرر الوطنيّ و ما هو مفهوم الأمميّة :

5/ دكتاتورية البروليتاريا : ألف مرّة أكثر ديمقراطيّة ... بالنسبة للجماهير :

6/ الشيوعيّة ليست " طغيانا طوباويّا " بل هدفا قابلا للتحقيق و هدفا تحرّريا :

7/ " الماديّة التاريخيّة " الميكانيكيّة و الماديّة التاريخيّة الجدليّة :

الجزء الثاني

مرّة أخرى حول التجربة التاريخيّة للثورة البروليتاريّة – مرّة أخرى حول كسب العالم

1/ مسألة قوى الإنتاج :

2/ تقدّم الثورة العالميّة و تعزيزها :

3/ الثورة البروليتاريّة و الأمميّة : القاعدة الإجتماعيّة :

القيام بالثورة و دفع الإنتاج

1/ تحويل العلاقات بين الناس و تحويل الملكيّة :

2/ المساواة و الوفرة العامة فى ظلّ الإشتراكيّة :

3/ ماذا يعنى أن تكون الجماهير سيّدة المجتمع ؟

4/ البناء الإشتراكيّ في الإطار العالميّ :

خاتمة

1/ المواجهة الإيديولوجيّة :

2/ نظرتان إلى العالم ، رؤيتان متناقضتان للحرّية :

3/ أبعد من الحقّ البرجوازيّ :

4/ التكنولوجيا و الإيديولوجيا :

5/ تغيير المجتمع و تغيير " طبيعة الإنسان " :

6/ الماديّة التاريخيّة و تقدّم التاريخ :

الديمقراطية :

أكثر من أيّ زمن مضى بوسعنا و يجب علينا إنجاز أفضل من ذلك

مقدّمة :

1 / بصدد الأحداث الأخيرة بالكتلة السوفياتية السابقة و بالصين

2/ أفق كمونة باريس : الثورتان البلشفيّة و الصينيّة كإمتداد و تعميق لها :

3 / ممارسة السلطة في المجتمع الإشتراكيّ : القيادة و الجماهير و دكتاتوريّة البروليتاريا :

4/ الصراع الطبقيّ في ظلّ الإشتراكيّة و أشكال الحكم الجماهيريّ :

5 / مشكلة البيروقراطيّة و دور الحزب و هياكل الدولة في ظلّ الإشتراكيّة :

6/ تصفية التحليل الطبقيّ بإسم معارضة " الإختزاليّة الطبقيّة " :

ملحق " الديمقراطية :

أكثر من أيّ زمن مضى بوسعنا و يجب علينا إنجاز أفضل من ذلك " حول الديمقراطة البروليتارية

(اللجنة المركزية لإعادة تنظيم الحزب الشيوعي الهندي (الماركسيّ – اللينينيّ))

ملحق الكتاب

فهارس كتب شادي الشماوي

====================================